ديوان

محمود درويش





دار العودة بيروت

ديوان
محمود درويش

ديوان
محمود درويش

دار العودة - بيروت

الطبعة الثانية عشر

١٩٨٧م

كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر

تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

تلكس AWDA 23682 LE

ص . ب ١٤٦٢٨٤

أوراق الزيتون

١٩٦٤

إلى القارئ

الزنبقاتُ السودُ في قلبي
وفي شَفَتي ... اللهبْ
من أي غابٍ جئتني
يا كلَّ صلبانِ الغضبْ ؟

بايعتُ أحزاني ..
وصافحتُ التشردَ والسَّغَبْ
غضبٌ يدي ..
غضبٌ فمي ..
ودماءُ أوردتي عصيرٌ من غضبْ !
يا قارئي !
لا ترجُ مني الهمسَ !

لا ترجُ الطربْ

هذا عذابي . .
ضربةٌ في الرمل طائشةٌ
وأُخرى في السُّحُبْ !
حسبي بأني غاضبٌ
والنارُ أولُها غَضَبْ !

ولاء

حملتُ صوتكَ في قلبي وأوردتي

فما عليك إذا فارقت معركتي

كل الرواية في دمّي مفاصلُها

تفصّلُ الحقد كبريتاً على شفتي !

أطعمتُ للريح أبياتي وزخرفها

إن لم تكن كسيوف النار . . قافيتي !

آمنت بالحرفِ . . إما ميتاً عَدَماً

أو ناصباً لعدوّي حبلَ مشنقةِ

آمنت بالحرف ناراً . . لا يضير إذا

كنتُ الرمادَ أنا . . أو كان طاغيتي !

فإن سقطتُ . . وكفي رافع علمي

سيكتبُ الناس فوق القبر :

« لم يَمُتِ »

نشيد ما

عَسَلٌ شفاهكِ ، واليدان
كأسا خمور . .
للآخرين . .

*

الدوح مروحةٌ ، وحرشُ السنديان
مشط صغير
للآخرين . .
وحَرير صدركِ ، والندى ، والأقحوانْ
فرش وثير
للآخرين

*

وأنا على أسوارك السوداء ساهدْ
عَطَشُ الرمالِ أنا . . وأعصابُ المواقد !
من يوصدُ الأبوابَ دوني ؟
أي طاغية ومارد !!

سأحب شهدكِ . .
رغم أن الشهدَ يُسكب في كؤوس الآخرين
يا نحلةً
ما قَبَّلت إلاّ شفاه الياسمين !

عن انسان

وضعوا على فمه السلاسلْ
ربطوا يديه بصخرة الموتى ،
وقالوا : أنت قاتلْ !

*

أخذوا طعامه ، والملابس ، والبيارقْ
ورموه في زنزانة الموتى ،
وقالوا : أنت سارقْ !

*

طردوه من كل المرافىء
أخذوا حبيبته الصغيرة ،

ثم قالوا : أنت لاجىء !

*

يا داميَ العينين ، والكفين !
إن الليل زائلْ
لا غرفةُ التوقيف باقيةٌ
ولا زَرَدُ السلاسل !
نيرون مات ، ولم تمت روما . . .
بعينيها تقاتل !
وحبوبُ سنبلةٍ تموت
ستملأ الوادي سنابلْ . . !

أمل

ما زال في صحونكم بقية من العسلْ
ردوا الذباب عن صحونكم
لتحفظوا العسلْ !

*

ما زال في كرومكم عناقد من العنبْ
ردوا بنات آوى
يا حارسي الكروم
لينضج العنب . .

*

ما زالَ في بيوتكم حصيرةٌ . . وبابْ

سدوا طريق الريح عن صغاركمْ
ليرقد الأطفال
الريح برد قارسٌ . . فلتغلقوا الأبواب .

*

ما زال في قلوبكم دماءْ
لا تسفحوها أيها الآباء . .
فإن في أحشائكم جنين . .

*

ما زال في موقدكم حطب
وقهوةٌ . . وحزمة من الذهب . .

مرثية

لملمتُ جرحكَ يا أبي

برموش أشعاري

فبكت عيون الناس

من حزني .. ومن ناري

وغمست خبزي في التراب ..

وما التمست شهامة الجار !

وزرعت أزهاري

في تربةٍ صمَّاء .. عارية

بلا غيم .. وأمطار

فترقرقتْ لما نذرت لها

جرحاً بكى برموش أشعاري !

عفواً أبي !

قلبي موائدهم

وتمزُّقي .. وتيتُّمي العاري !

ما حيلة الشعراء يا أبتي

غير الذي أورثت أقداري

إن يشرب البؤساء من قدحي

لن يسألوا

من أي كرم خمريَ الجاري !

وعاد .. في كفن

- ١ -

يحكون في بلادنا
يحكون في شَجَنْ
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفن

●

كان اسمه . . .
لا تذكروا اسمه !
خلوه في قلوبنا . .
لا تدعوا الكلمةْ
تضيع في الهواء ، كالرماد . .

خلوه جرحاً راعفاً .. لا يعرف الضماد
طريقه إليه ..
أخاف يا أحبتي .. أخاف يا أيتام ..
أخاف أن ننساه بين زحمة الأسماء
أخاف أن يذوب في زوابع الشتاء !
أخاف أن تنام في قلوبنا
جراحنا ..
أخاف أن تنام !!

ـ ٢ ـ

العمر .. عمر برعمٍ لا يذكر المطر ..
لم يبك تحت شرفة القمر
لم يوقف الساعات بالسهر ..
وما تداعت عند حائطٍ يداه ..
ولم تسافر خلف خيط شهوةٍ .. عيناه !
ولم يُقَبِّل حلوةً ..
لم يعرف الغزل
غير أغاني مطرب ضيَّعه الأمل
ولم يقل لحلوة : الله !
إلاّ مرتين !

لم تلتفت إليه .. ما أعطته إلاّ طرف عين
كان الفتى صغيراً ..
فغاب عن طريقها
ولم يفكر بالهوى كثيراً ..!

- ٣ -

يحكون في بلادنا
يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفن
ما قال حين زغردت خطاه خلف الباب
لأمه : الوداع !
ما قال للأحباب .. للأصحاب :
موعدنا غداً !
ولم يضع رسالة .. كعادة المسافرين
تقول : إني عائدٌ .. وتُسكتُ الظنون
ولم يَخُطَّ كلمةً ..
تُضيء ليلَ أمه التي ..
تخاطب السماء والأشياء ،
تقول : يا وسادة السرير !
يا حقيبة الثياب !

'

يا ليل ! يا نجوم ! يا إله ! يا سحاب ! :

« أمارأيتم شارداً . . عيناه نجمتان ؟

يداه سلتان من ريحان

وصدره وسادة النجوم والقمر

وشعره أرجوحةٌ للريح والزهر !

أما رأيتم شارداً

مسافراً لا يحسن السفر !

راح بلا زوّادة ، من يطعم الفتى

إن جاع في طريقه ؟

من يرحم الغريب ؟

قلبي عليه في غوائل الدروب !

قلبي عليك يا فتى . . يا ولداه !

قولوا لها ، يا ليل ! يا نجوم !

يا دروب ! يا سحاب !

قولوا لها : لن تحملي الجواب

فالجرح فوق الدمع . . فوق الحزن والعذاب !

لن تحملي . . لن تصبري كثيراً

لأنه . .

لأنه مات ، ولم يزل صغيراً !

- ٤ -

يا أمه !

لا تقلعي الدموع من جذورها !

للدمع يا والدتي جذور ،

تخاطب المساء كل يوم :

تقول : يا قافلة المساء !

من أين تعبرين ؟

غصَّتْ دروبُ الموت . . حينَ سَدَّها المسافرون

سُدَّتْ دروب الحزن . . لو وقفتِ لحظتينِ

لحظتين !

لتمسحي الجبين والعينين

وتحملي من دمعنا تذكار

لمن قضوا من قبلنا . . أحبابنا المهاجرين

يا أمه !

لا تقلعي الدموع من جذورها

خلِّي ببئر القلب دمعتين !

فقد يموت في غد أبوه . . أو أخوه

أو صديقه أنا

خلي لنا . .

للميتين في غد لو دمعتين . . دمعتين !

- ٥ -

يحكون في بلادنا عن صاحبي الكثيرا
حرائقُ الرصاصِ في وجناته
وصدره .. ووجهه ..
لا تشرحوا الأمور !
أنا رأيت جرحه
حدقت في أبعاده كثيرا ..
« قلبي على أطفالنا »
وكل أم تحضن السريرا !
يا أصدقاء الراحل البعيد
لا تسألوا : متى يعود
لا تسألوا كثيراً
بل اسألوا : متى
يستيقظ الرجال !

الموت في الغابة

نامي !

فعين الله نائمةٌ

عنا . . وأسراب الشحاريرِ

والسنديانةُ . . والطريق هنا

فتوسدي أجفانَ مصدورِ

وثلاثَ عشرةَ نجمةً خمدتْ

في دربِ أوهامِ المقاديرِ

لاشيء ! قصةُ طفلة همدت

لا شيء يوحي صمت تفكيرِ

جرحٌ صغير . . مات صاحبُهُ

فطواه ليل كالأساطيرِ

تاريخه .. أنفاسُ مزرعةٍ
تسطو عليها كفُّ شريرِ
كانت ، فلا نقرات قبَّرةٍ
بقيت ، ولا صيحات ناطورِ
وغصونُ زيتونٍ مقدسةٌ
ذبلت عليها قطرة النورِ !
لا شيءَ يستدعي غناءَ أسى
فالموت أكبر من مزاميري ..
نامي ... عيون الله نائمة
عنا ، وأسرابُ الشحاريرِ
وضِمادُ جرحكِ زهرةٌ ذبلت !
في مسربٍ في السفح مهجورِ
لكنَّ عين أخيك ساهرةٌ
خلف الضباب ، ووحشة السورِ
وفؤاده ملقى على جسد
ينهدُّ كالأطلالِ .. مصدورِ
ويداه ممسكتان في لَهَفٍ
بترابه .. رغم الأعاصيرِ !..

ثلاث صور

ـ ١ ـ

كان القمر

كعهده ـ منذ ولدنا ـ باردا

الحزن في جبينه مرقرق . .

روافدا . . روافدا

قرب سياج قرية

خرَّ حزيناً

شاردا . .

ـ ٢ ـ

كان حبيبي

كعهده ـ منذ التقينا ـ ساهما

،

الغيم في عيونه
يزرع أفقاً غائما . .
والنار في شفاهه
تقول لي ملاحما . .
ولم يزل في ليله يقرأ شعراً حالما
يسألني هدية . .
وبيت شعر . . ناعما !

- ٣ -

كان أبي
كعهده ، مُحمَّلاً متاعبا
يطارد الرغيفَ أينما مضى . .
لأجله . . يصارع الثعالبا
ويصنع الأطفال . .
والتراب . .
والكواكبا . .
أخي الصغير اهترأت
ثيابه . . فعاتبا
وأختي الكبرى اشترت جواربا !
وكل من في بيتنا يقدم المطالبا

ووالدي ـ كعهده ـ
يسترجع المناقبا
ويفتل الشواربا !
ويصنَعُ الأطفال . .
والتراب . .
والكواكبا !

الموعد الأول

شدَّتْ على يدي
ووشوشتني كلمتين
أعزَّ ما ملكته طوال يوم :
« سنلتقي غداً »
ولفَّها الطريق .

*

حلقتُ ذقني مرتين !
مسحت نعلي مرتين
أخذت ثوب صاحبي .. وليرتين ..
لأشتري حلوى لها ، وقهوة مع الحليب !

*

وحدي على المقعد
والعاشقون يبسمون . .
وخافقي يقول :
ونحن سوف نبتسم !

*

لعلها قادمة على الطريق . .
لعلها سهت .
لعلها . . لعلها
ولم تزل دقيقتان !

*

النصف بعد الرابعه
النصف مرّ
وساعة . . وساعتان
وامتدت الظلال
ولم تجىء من وعدتْ
في النصف بعد الرابعه

أغنية

وحين أعود للبيتِ
وحيداً فارغاً ، إلاّ من الوحده
يداي بغير أمتعةٍ ، وقلبي دونما ورده
فقد وزعت ورداتي
على البؤساء منذ الصبح .. ورداتي
وصارعت الذئاب ، وعدت للبيت
بلا رنّات ضحكةِ حلوة البيت
بغير حفيف قبلتها
بغير رفيف لمستها
بغير سؤالها عني ، وعن أخبار مأساتي،
وحيداً أصنع القهوه

وحيداً أشرب القهوه
فأخسر من حياتي .. من كفاحي
أخسر النشوه
رفاقي ها هنا المصباح والأشعار ، والوحده
وبعض سجائر .. وجرائد كالليلِ مسودَّه
وحين أعود للبيت
أحس بوحشة البيتِ
وأخسر من حياتي كل وردآتي
وسرَّ النبعِ .. نبعِ الضوء في أعماق مأساتي
وأختزن العذاب لأنني وحدي
بدون حنان كفيكِ
بدون ربيع عينيكِ ! ..

رسالة من المنفى

- ١ -

تحيةٌ .. وقبلةً
وليس عندي ما أقول بعدْ
من أين أبتدي ؟ .. وأين أنتهي ؟ .
ودورة الزمان دون حد
وكل ما في غربتي
زوادةٌ ، فيها رغيفٌ يابسٌ ، وَوجْد
ودفترٌ يحمل عني بعض ما حملت
بصقتُ في صفحاته ما ضاق بي من حقدْ
من أين أبتدي ؟
وكل ما قيل وما يقال بعد غدْ

لا ينتهي بضمةٍ . . . أو لمسةٍ من يدْ ،
لا يُرجع الغريبَ للديار
لا ينزل الأمطار
لا ينبت الريش على
جناح طير ضائع . . منهد
من أين أبتدي
تحيةً . . وقبلةً . . وبعدْ . .

- ٢ -

أقول للمذياع . . قل لها أنا بخيرْ
أقول للعصفورِ
إن صادفتها يا طيرْ
لا تنسني، وقلْ : بخيرْ
أنا بخير
أنا بخير
ما زال في عيني بصر !
ما زال في السما قمر !
وثوبي العتيق،حتى الآن ، ما اندثر
تمزقت أطرافهُ
لكنني رتقتهُ . . ولم يزل بخير
وصرت شاباً جاوز العشرين

تصوَّريني .. صرت في العشرينْ
وصرت كالشبابِ يا أُماه
أُواجه الحياه
وأحمل العبءَ كما الرجال يحملون
وأشتغل
في مطعم .. وأغسلُ الصحون .
وأصنع القهوة للزبون
وأُلصق البسمات فوق وجهي الحزين
ليفرح الزبون

- ٣ -

أنا بخير
قد صرت في العشرين
وصرت كالشباب يا أُماه
أُدخن التبغ ، وأتكي على الجدار
أقول للحلوة : آه
كما يقول الآخرون
« يا إخوتي ؛ ما أطيب البنات ،
تصوروا كم مُرَّة هي الحياة
بدونهن .. مُرَّة هي الحياة » .
وقال صاحبي : « هل عندكم رغيف ؟

يا إخوتي ؛ ما قيمة الإنسان
إن نام كل ليلةٍ . . جوعان ؟ »
أنا بخير
أنا بخير
عندي رغيف أسمر
وسلة صغيرة من الخضار

- ٤ -

سمعت في المذياع
تحية المشردين . . للمشردين
قال الجميع : كلنا بخير
لا أحدٌ حزين ؛
فكيف حال والدي ؟
ألم يزل كعهده ، يحب ذكر الله
والأبناء . . والتراب . . والزيتون ؟
وكيف حال إخوتي
هل أصبحوا موظفين ؟
سمعت يوماً والدي يقول :
سيصبحون كلهم معلمين . .
سمعته يقول :
(أجوع حتى أشتري لهم كتاب)

لا أحد في قريتي يفك حرفاً في خطاب
وكيف حال أختنا
هل كبرت .. وجاءها خُطّاب ؟
وكيف حال جدتي
ألم تزل كعهدها تقعد عند الباب ؟
تدعو لنا ..
بالخير .. والشباب .. والثواب !
وكيف حال بيتنا
والعتْبَةِ الملساء .. والوجاق .. والأبواب ؟
سمعت في المذياع
رسائل المشردين .. للمشردين
جميعهم بخير !
لكنني حزين ..
تكاد أن تأكلني الظنون
لم يحمل المذياع عنكم خبراً ..
ولو حزين
ولو حزين

ـ ٥ ـ

الليل ـ يا أمّاه ـ ذئبٌ جائعٌ سفاحْ
يطارد الغريب أينما مضى ..

ويفتح الآفاق للأشباح
وغابة الصفصاف لم تزل تعانق الرياح
ماذا جنينا نحن يا أُماه ؟
حتى نموت مرتين
فمرة نموت في الحياة
ومرة نموت عند الموت !

هل تعلمين ما الذي يملأني بكاء ؟
هبي مرضت ليلةً .. وهدَّ جسمي الداء !
هل يذكر المساء
مهاجراً أتى هنا .. ولم يعد إلى الوطن ؟
هل يذكر المساء
مهاجراً مات بلا كفن ؟
يا غابة الصفصاف ! هل ستذكرين
أن الذي رَمَوْه تحت ظلك الحزين
- كأي شيء مَيِّتٍ - إنسان ؟
هل تذكرين انني إنسان
وتحفظين جثتي من سطوة الغربان ؟

أماه يا أماه .
لمن كتبت هذه الأوراق
أي بريد ذاهب يحملها ؟

سُدَّت طريق البر والبحار والآفاق . .
وأنت يا أُماه
ووالدي ، وإخوتي ، والأهل ، والرفاق . .
لعلكم أحياء
لعلكم أموات
لعلكم مثلي بلا عنوان
ما قيمة الإنسان
بلا وطن
بلا عَلَمْ
ودونما عنوان
ما قيمة الإنسان ؟

عن الصمود

•

- ١ -

لو يذكرُ الزيتون غارسه

لصار الزيت دمعا !

يا حكمة الأجداد

لو من لحمنا نعطيك درعا !

لكنَّ سهل الريح ،

لا يعطي عبيد الريح زرعا !

إنّا سنقلع بالرموش

الشوك والأحزان .. قلعا !

وإلام نحمل عارنا وصليبنا !

والكونُ يسعى ..

سنظل في الزيتون خَضرتهَ ،
وحولَ الأرضِ درعا !!

ـ ٢ ـ

إنّا نحب الورد ،
لكنّا نحب القمح أكثرْ
ونحب عطر الورد ،
لكن السنابل منه أطهر
فاحموا سنابلكم من الأعصار
بالصدر المسَمَّرْ
هاتوا السياج من الصدور . .
من الصدور ؛ فكيف يكسر ؟؟
إقبض على عنق السنابل
مثلما عانقتَ خنجر !
الأرض ، والفلاح ، والإصرار ،
قل لي : كيف تقهر . .
هذي الأقانيم الثلاثة ،
كيف تقهر ؟

؟

عيناك يا صديقتي العجوز .. يا صديقتي المراهقة
عيناك شحاذان في ليل الزوايا الخانقه
لا يضحك الرجاء فيهما ، ولا تنام الصاعقه
لم يبق شيء عندنا .. إلاّ الدموع الغارقه
قولي : متى ستضحكين مرة ، وإن تكن منافقه ؟!

*

كفاك يا صديقتي .. ذئبان جائعان
مصي بقايا دمنا ، وبعدنا الطوفان
وإن سغبت مرة .. لا تتركي الجثمان
وإن سئمت بعْدها ، فعندك الديدان
إنا خُلقنا غلطةً .. في غفلة من الزمان

٤

وأنت يا صديقتي العجوز .. يا صديقتي المراهقه
كوني على أشلائنا ، كالزنبقات العابقه !

*

الغاب يا صديقتي يكفِّن الأسرار
وحولنا الأشجارُ لا تهرِّب الأخبار
والشمس عند بابنا معمية الأنوار
واشية ، لكنها لا تعبر الأسوار
إن الحياة خلفنا غريبة منافقه
فابني على عظامنا دار عُلاك الشاهقه

*

أسمعُ يا صديقتي ما يهتف الأعداء
أسمعهم من فجوة في خيمة السماء :
« يا ويل من تنفست رئاته الهواء
من رئة مسروقةٍ !..
يا ويلَ مَنْ شرابه دماء !
ومن بنى حديقة .. ترابها أشلاء
يا ويله من وردها المسموم » !!

لا تقل لي :

ليتني بائع خبز في الجزائرْ

لأغني مع ثائر !

لا تقل لي :

ليتني راعي مواشٍ في اليمنْ

لأغني لانتفاضات الزمن !

لا تقل لي :

ليتني عامل مقهى في هفَانا

لأغني لانتصارات الحزانى !

لا تقل لي :

ليتني أعمل في أسْوَان حمّالاً صغيرْ

لأغني للصخور

*

يا صديقي !

لن يصب النيل في الفولغا

ولا الكونغو ، ولا الأردن ، في نهر الفرات !

كل نهر ، وله نبع . . ومجرى . . وحياة !

يا صديقي ! . . أرضنا ليست بعاقر

كل أرض ، ولها ميلادها

كل فجر ، وله موعد ثائر !

أزهارها الصفراء . . والشفة المشاعْ
وسريرها العشرون مهترىء الغطاء
نامت على الإسفلت . . لا أحد يبيع . . ولا يباع
وتقيأت سأم المدينة . . فالطريق
عار من الأضواء . .
والمتسولين على النساء
نامت على الإسفلت . . لا أحد يبيع . . ولا يباع !
يا بائع الأزهار ! إغمد في فؤادي
زهرة صفراء تنبت في الوحول !
هذا أوان الخوف ، لا أحد سيفهم ما أقول
أحكي لكم عن مومسٍ . . كانت تتاجر في بلادي

بالفتية المتسولين على النساء
أزهارها صفراء ، نهداها مشاع
وسريرها العشرون مهترىء الغطاء
هذي بلاد الخوف ، لا أحد سيفهم ما أقول
إلاّ الذين رأوا سحاب الوحل . . يمطر في بلادي !
يا بائع الأزهار . . إغمد في فؤادي
زهر الوحول . . عساي أبصق
ما يضيق به فؤادي

الشاعر العربي محرومٌ
دم الصحراء يغلي في نشيدهْ
وقوافل النوق العطاش
أبداً تسافر في حدوده
والحلوة السمراء في صدف البحار !
الشاعر العربي محرومٌ
تعوَّد أن يموت بسيف صمته
ألقى على عينيه كل السر
قال: غداً ستفهمها عيوني
وأنا تركت لك الكلام على عيوني
لكن ، أظنك ما فهمت !

البكاء

ليس من شوقٍ إلى حضنٍ فقدتُهْ
ليس من ذكرى لتمثال كسرته
ليس من حزنٍ على طفل دفنته
أنا أبكي !

*

أنا أدري أن دمع العين خذلان .. وملحُ
أنا أدري ،
وبكاءُ اللحن ما زال يلحُّ
لا تَرُشّي من مناديلك عطراً
لست أصحو .. لست أصحو

ودعي قلبيَ . . يبكي !

*

شوكة في القلب ما زالت تغز
قطراتٍ . . قطراتٍ . . لم يزل جرحي ينز
أين زر الورد ؟
هل في الدم ورد ؟
يا عزاء الميتين !
هل لنا مجد وعز !
أتركي قلبيَ يبكي !

*

خبِّئي عن أذُني هذي الخرافات الرتيبهْ
أنا أدرى منك بالإنسان . . بالأرض الغريبهْ
لم أبعْ مُهري . . ولا راياتِ مأساتي الخضيبهْ
ولأني أحمل الصخرَ وداء الحب . .

والشمسَ الغريبهْ
أنا أبكي !

*

أنا أمضي قبل ميعادي . . مبكرْ
عمرنا أضيق منا ،

عمرنا أصغر . . أصغرْ
هل صحيحٌ ، يُثمر الموت حياةً
هل سأثمرْ
في يدِ الجائع خبزاً . . في فم الأطفال سكَّر ؟
أنا أبكي !

لن نفترق
أمامنا البِحار ، والغابات
وراءنا . فكيفَ نفترق ؟
يا صاحبي ! يا أسود العينينِ
خذني ! كيف نفترق ؟
وليس لي سواك !

*

لعلني سئمتُ مقلتيكْ
يا ظامئاً إلى الأبد !
لعلني أخاف مِن يديكْ
يا قاسياً . . إلى الأبد !

لكنني ، بلا أحدْ
بلا أحد !
فكيف نفترق ؟

*

يا أجمل الوحوش ! يا صديقي
ما بيننا سوى النفاق
والخوفِ من متاعب الطريق
البحرُ من أمامنا .
والغابُ من ورائنا ،
فكيف نفترق ؟

عن الشعر

- ١ -

أمس ، غنينا لنجم فوق غيمةْ
وانغمسنا في البكاء !
أمس ، عاتبنا الدوالي ، والقمر
والليالي . . والقدر ،
وتوددنا النساء !
دقت الساعة ، والخَيّامُ يسكرْ
وعلى وقع أغانيه المُخَدَّرْ
قد ظللنا بؤساء !

يا رفاقي الشعراء !

،

نحن في دنيا جديده
مات ما فات ، فمن يكتبْ قصيده
في زمانِ الريحِ والذرَّة ،
يخلقْ أنبياء !

- ٢ -

قصائدنا ، بلا لون
بلا طعمٍ .. بلا صوتِ !
إذا لم تحمل المصباحَ من بيتٍ إلى بيتِ !
وإن لم يفهم « ألبُسَطا » معانيها
فأولى أن نُذَرِّيها
ونخلدَ نحنُ .. للصمتِ !!

- ٣ -

لو كانت هذي الأشعارْ
إزميلاً في قبضة كادحْ
قنبلة في كف مُكافح !
لو كانت هذي الأشعار !

*

لو كانت هذي الكلماتْ
محراثاً بين يَدَيْ فلاحْ

وَقميصاً . . أو باباً . . أو مفتاح !
لو كانت هذي الكلمات

*

أحَدُ الشعراء يقول :
لو سَرَّت أشعاري خلّاني
وأغاظت أعدائي
فأنا شاعر . .
وأنا . . سأقول !

الحزن والغضب

الصوت في شفتيكَ لا يُطربْ
والنار في رئتيكَ لا تُغلبْ
وأبو أبيكَ على حذاء مهاجرٍ يُصلبْ
وشفاهُها تُعطي سواكَ ، ونهدُها يُحلبْ
فعلام لا تغضبْ ؟

- ١ -

أمس التقينا في طريقِ الليلِ . . من حانٍ لحانِ
شفتاكَ حاملتانِ
كلَّ أنينِ غابِ السنديانِ
ورويتَ لي للمرةِ الخمسينَ
حبَّ فلانةٍ ، وهوى فلانِ

وزجاجة الكونياك ،
والخيّام ، والسيف اليماني !
عبثاً تخدِّرُ جرحكَ العربيَّ
عربدة القناني !
عبثاً تُطوِّع يا كنارَ الليلِ جامحةَ الأماني !
الريحُ في شفتيكَ .. تهدم ما بنيتَ من الأغاني !
فعلام لا تغضب ؟

- ٢ -

قالوا : ابتسمْ لتعيشَ !
فابتسمتْ عيونكَ للطريقْ
وتبرَّأتْ عيناكَ من قلبٍ يُرَمِّده الحريقْ
وحلفتَ لي : إني سعيدٌ يا رفيق !
وقرأت فلسفة ابتسامات الرقيق :
الخمر ، والخضراء ، والجسد الرشيق !
فإذا رأيتَ دمي بخمركَ ،
كيف تشرب يا رفيق ؟؟

- ٣ -

القرية الأطلال ،
والناطور ، والأرض اليباب
وجذوع زيتوناتكم ..

أعشاش بُومٍ أو غراب !
من هَيَّأ المحراثَ هذا العام ؟
من ربى التراب
يا أنت ! . . أين اخوكَ . . أينَ أبوكَ ؟
إنهما سراب !.
من أين جئتَ ؟ . . أمن جدارٍ ؟
أم هبطتَ من السحاب ؟
أتُرى تصون كرامة الموتى ،
وتطرق في ختام الليل باب ؟
وعلام لا تغضب ؟

- ٤ -

أتحبها ؟
أحببت قبلك ،
وارتجفتُ على جدائلها الظليله
كانت جميله
لكنها رقصت على قبري ، وأيامي القليله
وتخاصرت والآخرين . . بحلبة الرقص الطويله
وأنا وأنت ، نعاتبُ التاريخَ
والعَلَمَ الذي فقد الرجوله
مَن نحن ؟

دع نَزَقَ الشوارعِ
يرتوي من ذل رايتنا القتيلهْ
فعلام لا تغضب ؟

- ٥ -

إنا حملنا الحزن أعواماً وما طلع الصباحْ
والحزن نارٌ تُخْمِدُ الأيامُ شهوتَها ،
وتوقظها الرياح
والريح عندكَ ، كيف تُلْجِمُها ؟
وما لكَ من سلاح . .
إلاَّ لقاءُ الريحِ والنيرانِ . .
في وطنٍ مُباحْ ؟!

أجمل حب

كما ينبت العشب بين مفاصل صخره
وُجدنا غريبين يوماً
وكانت سماء الربيع تؤلف نجماً .. ونجما
وكنت أؤلف فقرة حب ..
لعينيكِ .. غنيتها !

أتعلمُ عيناكِ اني انتظرت طويلا
كما انتظرَ الصيفَ طائرْ
ونمتُ .. كنوم المهاجر
فعينٌ تنام ، لتصحوَ عين .. طويلا
وتبكي على أختها ،

حبيبان نحن ، إلى أن ينام القمر
ونعلم أن العناق ، وان القبل
طعام ليالي الغزل
وان الصباح ينادي خطاي لكي تستمر
على الدرب يوماً جديداً !
صديقان نحن ، فسيري بقربيَ كفاً بكف
معاً ، نصنع الخبز والأغنيات

لماذا نسائل هذا الطريق . . لأي مصير
يسير بنا ؟
ومن أين لملم أقدامنا ؟
فحسبي ، وحسبك أنا نسير . .
معاً ، للأبد

لماذا نفتش عن أُغنيات البكاء
بديوان شعر قديم ؟
ونسأل : يا حبنا ! هل تدوم ؟
أُحبكِ حُبَّ القوافل واحةَ عشب وماء

وحب الفقير الرغيف !

كما ينبت العشب بين مفاصل صخره
وجدنا غريبين يوماً
ونبقى رفيقين دوماً .

وطني ! لم يعطني حبي لَك
غير أخشاب صليبي !
وطني ، يا وطني ، ما أجملك !
خذ عيوني ، خذ فؤادي ، خذ .. حبيبي !

*

في توابيتِ أحبّائي أُغنّي
لأراجيحِ أحبّائي الصغارْ
دَمُ جَدّي عائدٌ لي ، فانتظرني
آخِرُ الليلِ نهارْ ! ..

*

شهوةُ السكّينِ لن يفهمَها عطرُ الزنابقْ

وحبيبي لا ينامْ ..
سأغني ، وليكنْ منبرُ أشعاري مشانقْ
وعلى الناس سلامْ ..

*

أجملُ الأشعارِ ما يحفظُهُ عن ظهر قلبْ
كلُّ قارىءْ ..
فإذا لم يشرَبِ الناسُ أناشيدَكَ شُربْ
قلْ ، أنا وحديَ خاطىءْ ..

*

ربما أذكر فرساناً ، وليلى بَدَوِيَّهْ
ورعاةً يحلِبون النّوقَ في مغربِ شمسِ
يا بلادي ، ما تمنيتُ العصورَ الجاهليهْ
فغَدِي ، أفضلُ من يومي وأمسي !! .

*

الممرُّ الشائكُ المنسيُّ ما زالَ ممرا
وستأتيه الخُطى في ذاتِ عامْ
عندما يكبرُ أحفاد الذي عمَّرَ دهرا
يقلعُ الصخرَ ، وأنيابَ الظلامْ ..

*

من ثقوبِ السجنِ لاقيتُ عيونَ البرتقالِ

وعناقَ البحرِ والأفقِ الرحيبِ
فإذا اشتدَّ سوادُ الحزن في إحدى الليالي
أتعزّى بجمالِ الليلِ ، في شَعرِ حبيبي !! .

*

حُبُّنا أنْ يضغطَ الكفُّ على الكفِّ ، ونمشي
وإذا جعنا تقاسمنا الرغيفْ . .
في ليالي البردِ أحميك برمشي
وبأشعارٍ على الشمس تطوفْ !! .

*

أجملُ الأشياءِ أن نشرب شاياً في المساءْ
وعن الأطفالِ نحكي . .
وغد لا نلتقي فيه خَفاءْ
وَمِنَ الأفراح ، نبكي !! .

*

لا أُريد الموت ، ما دامت على الأرض قصائد
وعيون لا تنام !
فإذا جاء ، ولن يأتي بإذن ، لن أُعاند
بل سأرجوه ، لكي أرثي الختام

*

لم أجد أين أنام
لا سرير أرتمي في ضفتيهْ
مومس مرت . وقالت دون أن تلقي السلام :
سيدي ! إن شئتَ . . عشرين جنيه !!

لوركا

عفوَ زهر الدم ، يا لوركا ، وشمس في يديكْ
وصليب يرتدي نار قصيده .
أجمل الفرسان في الليل . . يحجون إليك
بشهيد . . وشهيده

*

هكذا الشاعر ، زلزال . . وإعصار مياه
ورياح . . إن زأر
يهمس الشارع للشارع : قد مرت خطاه
فتطاير يا حجر !

*

هكذا الشاعر ، موسيقى ، وترتيل صلاه

ونسيم ، إن همسْ
يأخذ الحسناء في لين إله !
وله الأقمار عش ، إن جلس !

*

لم تزل إسبانيا أتعس أمْ
أرخت الشعر على أكتافها
وعلى أغصان زيتون المساء المدلهمّ
علقت أسيافها !

*

عازف الجيتار في الليل يجوب الطرقات
ويغني في الخفاء
وبأشعارك يا لوركا ، يلم الصدقات
من عيون البؤساء !

*

العيون السود في إسبانيا ، تنظر شزرا
وحديث الحب أبكمْ
يحفر الشاعر في كفيه قبرا
إن تكلم !

*

نسي النسيان أن يمشي على ضوء دمك

فاكتست بالدم بسمات القمر
أنبل الأسياف .. حرفٌ من فمك
عن أناشيد الغجر !

*

آخر الأخبار من مدريد ، أن الجرح قال
شبع الصابر صبرا !
اعدموا غوليان في الليل ، وزهرُ البرتقال
لم يزل ينشر عطرا .

*

أجمل الأخبار من مدريد ،
ما يأتي غداً

حنين إلى الضوء

ماذا يثير الناسَ لو سرنا على ضوء النهارْ
وحملتُ عنكِ حقيبة اليد .. والمظلهْ
وأخذت ثغرك عند زاوية الجدار
وقطفت قبله !
عيناك !
أحلم أن أرى عينيك يوماً تنعسانْ !
فأرى هدوء البحرعند شروقَ شمسٍ
شفتاك !
أحلم أن أرى شفتيك حين تقبِّلان
فأرى اشتعال الشمس في ميلاد عرس !
ماذا يغيظ الليل ، لو أوقدتِ عندي شمعتين

ورأيت وجهكِ حين يغسله الشعاعْ
ورأيت نهر العاج ، يحرسه رخام الزورقين
فأعود طفلاً للرضاع !
من بئر مأساتي . . أُنادي مقلتيك
كي تحملا خمر الضياء إلى عروقي
ماذا يثير الناس لو ألقيت رأسي في يديك
وطويت خصرك في الطريق !!

بطاقة هوية

سَجِّلْ !

أنا عربي

ورقمُ بطاقتي خمسون ألفْ

وأطفالي ثمانيةٌ

وتاسِعُهم .. سيأتي بعد صيفْ !

فهل تَغضب ؟

*

سجل !

أنا عربي

وأعمل مع رفاق الكدح في محجرْ

وأطفالي ثمانية

أسلُ لهم رغيفَ الخبزِ ،
والأثوابَ والدفترْ
من الصخرِ . .
ولا أتوسَّلُ الصَّدَقاتِ من بابِك
ولا أصغرْ
أمام بلاط أعتابك
فهل تغضبْ ؟
سجل !
أنا عربي
أنَا إسمٌ بلا لَقَبِ
صَبورٌ في بلاد كل ما فيها
يعيش بفَوْرةِ الغضب
جذوري . .
قبل ميلاد الزمان رستْ
وقبل تفتّحِ الحقبِ
وقبل السرو والزيتونْ
. . وقبل ترعرع العشبِ
أبي . . . من أسرةِ المحرات
لا من سادةٍ نُجُب
وجدي كان فلاحاً

بلا حسبٍ .. ولا نسبِ !

يُعَلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتبِ

وبيتي ، كوخُ ناطورٍ

من الأعوادِ والقصبِ

فهل تُرضيك منزلتي ؟

أنا إسمٌ بلا لقبِ !

*

سجل !

أنا عربي

ولون الشعر .. فحميٌّ

ولون العين .. بنيٌّ

وميزاتي :

على رأسي عقالٌ فوق كوفيَّه

وكفي صلبةٌ كالصخر ...

تخمشُ من يلامسها

وعنواني :

أنا من قريةٍ عزلاء .. منسيَّهْ

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها .. في الحقل والمحجرْ

فهل تغضب ؟

•

سجل
أنا عربي
سلبتُ كروم أجدادي
وأرضاً كنتُ أفلحها
أنا وجميعُ أولادي
ولم تترك لنا .. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخورِ ..
فهل ستأخذُها
حكومتكم ... كما قيلا !؟
إذن !
سجل ... برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكرهُ الناس
ولا أسطو على أحد
ولكني ... إذا ما جعتُ
آكلُ لحم مغتصبي
حذارِ ... حذار ... من جوعي
ومن غضبي !!

عاشق من فلسطين

عاشق من فلسطين

عيونكِ ، شوكةٌ في القلبِ
توجعني .. وأعبدُها
وأحميها من الريحِ
وأُغمدها وراء الليل والأوجاع .. أغمدها
فيشعل جُرحُها ضوءَ المصابيحِ
ويجعل حاضري غدُها
أعز عليَّ من روحي
وأنسى ، بعد حينٍ ، في لقاء العين بالعينِ
بأنّا مرة كنّا ، وراءَ الباب ، إثنينِ !

كلامُكِ .. كان أغنيةْ

وكنت أحاول الإنشاد
ولكنَّ الشقاء أحاط بالشفة الربيعيَّه
كلامك ، كالسنونو ، طار من بيتي
فهاجر باب منزلنا . وعتبتنا الخريفيه
وراءك .. حيث شاء الشوقُ ..
وانكسرت مرايانا
فصار الحزن ألفين
ولملمنا شظايا الصوت ..
لم نتقن سوى مرثّة الوطن !
سنزرعها معاً في صدر قيثار
وفوق سطوح نكبتنا ، سنعزفها
لأقمارٍ مشوَّهةٍ ... وأحجار
ولكنّي نسيتُ .. نسيتُ يا مجهولةَ الصوت :
رحيلك أصدأ القيثار .. أم صمتي ؟!
رأيتكِ أمسِ في الميناء
مسافرة بلا أهلٍ .. بلا زاد
ركضتُ إليكِ كالأيتام ..
أسأل حكمة الأجداد :
لماذا تُسحبُ البيَّارة الخضراء
إلى سجن ، إلى منفى ، إلى ميناء

وتبقى ، رغم رحلتها
ورغم روائح الأملاح والأشواقِ ،
تبقى دائماً خضراء ؟
وأكتب في مفكرتي :
أُحبُّ البرتقال . وأكرهُ الميناء
وأُردف في مفكرتي :
على الميناء
وقفتُ . وكانت الدنيا عيون شتاء
وقشر البرتقال لنا . وخلفي كانت الصحراء !
وأيتُكِ في جبال الشوك
راعيةً بلا أغنام
مطارَدةً ، وفي الأطلال . .
وكنت حديقتي ، وأنا غريب الدار
أدقُّ الباب يا قلبي
على قلبي . .
يقوم الباب والشبّاك والإسمنت والأحجار !

رأيتكِ في خوابي الماء والقمحِ
محطَّمةً . رأيتك في مقاهي الليل خادمةً
رأيتك في شعاع الدمع والجرحِ .

وأنتِ الرئة الأخرى بصدري . .
أنتِ أنتِ الصوتُ في شفتي . .
وأنتِ الماء ، أنتِ النار !

رأيتكِ عند بابِ الكهف . . عند النار
مُعَلَّقَةً على حبل الغسيل ثيابَ أيتامك
رأيتك في المواقد . . في الشوارع . .
في الزرائب . . . في دمِ الشمسِ
رأيتك في أغاني اليُتم والبؤسِ !

رأيتك ملء ملح البحر والرملِ
وكنتِ جميلة كالأرض . . كالأطفال . . كالفلِّ
وأُقسم :
من رموش العين سوف أُخيط منديلا
وأنقش فوقه شعراً لعينيكِ
وإسماً حين أسقيه فؤاداً ذاب ترتيلا . .
يمدُّ عرائش الأيكِ . .
سأكتب جملة أغلى من الشهداء والقبلِ :
« فلسطينيةً كانت . ولم تزل ! »

فتحتُ الباب والشباك في ليل الأعاصيرِ
على قمرٍ تصلَّب في ليالينا
وقلتُ لليلتي : دوري !
وراء الليل والسورِ . .
فلي وعد مع الكلمات والنورِ .
وأنتِ حديقتي العذراءُ . .
ما دامت أغانينا
سيوفاً حين نشرعها
وأنتِ وفيَّة كالقمح . .
ما دامت أغانينا
سماداً حين نزرعها
وأنت كنخلة في البال .
ما انكسرت لعاصفة وحطّابِ
وما جزّت ضفائرها
وحوشُ البيد والغابِ . .
ولكني أنا المنفيُّ خلف السور والباب
خُذيني تحت عينيكِ
خذيني ، أينما كنتِ
خُذيني ، كيفما كنتِ
أردّ إليّ لون الوجه والبدنِ

وضوء القلب والعينِ
وملح الخبز واللحنِ
وطعم الأرض والوطنِ !

خُذيني تحت عينيكِ
خذيني لوحة زيتيَّةً في كوخ حسراتِ
خذيني آيةً من سفر مأساتي
خذيني لعبة . . . حجراً من البيتِ
ليذكر جيلنا الآتي
مساربه إلى البيتِ !

فلسطينيةَ العينين والوشمِ
فلسطينية الاسمِ
فلسطينية الأحلام والهمِّ
فلسطينية المنديل والقدمَين والجسمِ
فلسطينية الكلمات والصمتِ
فلسطينية الصوتِ
فلسطينية الميلاد والموتِ
حملتك في دفاتريَ القديمة
نارَ أشعاري
حملتُك زادَ أسفاري

وباسمك ، صحتُ في الوديانْ :
خيول الروم ! .. أعرفها
وإن يتبدَّل الميدان !
خذوا حذراً ..
من البرق الذي صكّته أُغنيتي على الصوَّان
أنا زينُ الشباب ، وفارس الفرسان
أنا . ومحطِّم الأوثان .
حدود الشام أزرعها
قصائد تطلق العقبان !
وباسمك ، صحت بالأعداء :
كلي لحمي إذا ما نمت يا ديدان
فبيض النمل لا يلد النسورْ ..
وبيضة الأفعى ...
يخبىء قشرها ثعبان !
خيول الروم .. أعرفها
وأعرف قبلها أني
أنا زينُ الشباب ، وفارس الفرسان !

قال المغني

هكذا يكبرُ الشجرْ
ويذوب الحصى . . .
رويداً رويداً
من خرير النهر !

المغني ، على طريق المدينهْ
ساحرُ اللحن . . كالسهرْ
قال للريح في ضجرْ :
ـ دمّريني ما دمتِ أنتِ حياتي
مثلما يدّعي القدر ـ
. واشربيني نَخب انتصار الرفاتِ

هكذا ينزل المطر
يا شفاه المدينة الملعونه !

أبعَدُوا عنه سامعيهْ
والسكارى . .
وقيَّدوه
ورموهُ في غرفة التوقيفِ
شتموا أُمه ، وأُمَّ أبيه
والمغني . .
يتغنى بشَعر شمس الخريفِ
يضمدُ الجرح . . بالوترْ !

المغني على صليب الألمْ
جرحُه ساطع كنجم
قال للناس حوله
كلٌّ شيء . . سوى الندم :
هكذا متُّ واقفاً
واقفاً متُّ كالشجر !
هكذا يصبح الصليبْ

منبراً . . أو عصا نغمْ

ومساميره . . وترا

هكذا ينزل المطرْ

هكذا يكبر الشجر . .

صوت وسوط

لو كان لي برجٌ ،
حبست البرق في جيبي
وأطفأتُ السحابْ . .

لو كان لي في البحر أشرعةٌ ،
اخذتُ الموج والأعصار في كفّي
ونوّمت العبابْ . .

لو كان عندي سلّمٌ ،
لغرستُ فوق الشمسِ رايتي التي
اهترأت على الأرض الخراب . .

لو كان لي فرسٌ ،
تركت عنانها
ولجمتُ حوذيّ الرياح على الهضابْ .

لو كان لي حقل ومحراثٌ ،
زرعت القلب والأشعارَ
في بطن التراب . .

لو كان لي عودٌ ،
ملأتُ الصمتَ أسئلةً ملحَّنةً ،
وسلَّيتُ الصحاب . .

لو كان لي قَدَمٌ ،
مشيتُ . . مشيتُ حتى الموت
مِنْ غاب لغاب . .

ـ ماذا تبقّى أيها المحكومُ ؟

لو كان لي . .
حتى صليبي ليسَ لي ،
إنّي له ،
حتى العذاب !

إنَّ الليل خيَّم مرَّة أخرى .
وتهتفُ : لا أهاب ؟!

ـ يا سيداتي . . سادتي !
يا شامخين على الحرابْ !
الساق تقطع . . والرقاب
والقلبُ يُطفأ ـ لو أردتم ـ
والسحابْ . .
يمشي على أقدامكم . .
والعينُ تُسمل ، والهضابْ
تنهار لو صحتم بها
ودمي المملَّح بالترابْ !
إن جفَّ كرمكمُ ،
يصير إلى شرابْ !
والنيل يسكب في الفرات ،
إذا أردتم ، والغرابْ . .
لو شئتم . . في الليل شاب !

لكنَّ صوتي صاح يوماً :
لا أهابْ !

فلتجلدوه إذا استطعتم . .
واركضوا خلف الصدى
ما دام يهتف : لا أهابْ !

ملوَّحةٌ ، يا مناديل حبّي
عليكِ السلامْ !
تقولين أكثر مما يقول
هديل الحمام
وأكثر من دمعةٍ
خلف جفن . . ينام
على حُلُمٍ هاربٍ !

مفتَّحة ، يا شبابيك حبّي
تمرُّ المدينه
أمامكِ ، عرسَ طغاة
ومرثاة أمّ حزينه

وخلف الستائر ، أقمارنا
بقايا عفونه .
وزنزانتي . . موصده !

ملوَّثة ، يا كؤوس الطفولهْ
بطعم الكهولهْ
شربنا ، شربنا
على غفلة من شفاه الظما
وقلنا :
نخاف على شفتينا
نخاف الندى . . والصدأ !
وجلستنا ، كالزمان ، بخيله
وبيني وبينك نهر الدمِ

معلَّقة ، يا عيون الحبيبه
على حبل نورٍ
تكسَّر من مقلتينْ
ألا تعلمين بأني

أسير اثنتين ؟
جناحاي : أنت وحريتي
تنامان خلف الضفاف الغريبه
أحبكما ، هكذا ، توأمين !

ولادة

ـ كانت أشجار التينْ
وأبوكَ . .
وكوخ الطين
وعيون الفلاحين
تبكي في تشرين !

ـ المولود صبي
ثالثهم . .
والثدي شحيحْ
والريحْ
ذرُت أوراق التين !

حزنتْ قارئةَ الرملِ
وروتْ لي .
همساً ،
هذا الغصنُ حزين !

ـ يا أُمي
جاوزت العشرين
فدعي الهمَّ ، ونامي !
إن قصفتْ عاصفة
في تشرين . .
ثالثهم . .
فجذور التين
راسخة في الصخر . . وفي الطين
تعطيك غصوناً أُخرى . .
وغصون !

إلى أمي

أحنُّ إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي . .
وتكبرُ فيَّ الطفولةُ
يوماً على صدر يومِ
وأعشَقُ عمري لأني
إذا مُتُّ ،
أخجل من دمع أمي !

خذيني ، إذا عدتُ يوماً
وشاحاً لهدبكْ

وغطّي عظامي بعشب
تعمَّد من طهر كعبك
وشُدّي وثاقي ..
بخصلة شَعر ..
بخيطٍ يلوِّح في ذيل ثوبك ..
عساني أصيرُ إلهاً
إلهاً أصير ..
إذا ما لمستُ قرارة قلبك !

ضعيني ، إذا ما رجعتُ
وقوداً بتنور نارِكْ ..
وحبل غسيل على سطح دارك
لأني فقدتُ الوقوفَ
بدون صلاة نهارك
هَرِمْتُ ، فردّي نجوم الطفولة
حتى أُشارك
صغار العصافيرِ
درب الرجوع ..
لعُشِّ انتظارِك !

أهديها غزالا

وشاحُ المغرب الورديِّ فوق ضفائر الحلوهْ
وحبةَ برتقال كانت الشمسُ .
تحاول كفها البيضاءُ أن تصطادها عُنوهْ
وتصرخ بي ، وكل صراخها همسُ :
أخي ! يا سُلَّمي العالي !
أريدُ الشمس بالقوهْ !

. . وفي ليلٍ رماديٍّ ، رأينا الكوكب الفضي
ينقط ضوءه العسلي فوق نوافذ البيتِ .
وقالت ، وهي حين تقول ، تدفعني إلى الصمت :
تعال غداً لنزرعه . . مكان الشوك في الأرضِ !

أبي من أجلها صلّى وصامَ . .

وجاب أرض الهند والإغريقْ

إلهاً راكعاً لغبار رجليها

وجاع لأجلها في البيد . . أجيالاً يشدُّ النوق :

وأقسمَ تحت عينيها

يمين قناعة الخالق بالمخلوق !

تنام ، فتحلم اليقظة في عيني مع السَّهَرِ

فدائيٌّ الربيع أنا ، وعبدُ نعاس عينيها

وصوفي الحصى ، والرمل ، والحجرِ

سأعبدهم ، لتلعب كالملاك ، وظلُّ رجليها

على الدنيا ، صلاة الأرض للمطرِ

حريرٌ شوكُ أيّامي ، على دربي إلى غدها

حريرٌ شوكُ أيّامي !

وأشهى من عصير المجد ما ألقى . . لأسعدها

وأنسى في طفولتها عذاب طفولتي الدامي

وأشرب ، كالعصافير ، الرضا والحُبَّ من يدها

سأُهْديها غزالاً ناعماً كجناح أُغنيهْ

له أنفٌ ككرملنا . .
وأقدامٌ كأنفاس الرياح ، كخط حريّه
وعنقٌ طالع كطلوع سنبلنا
من الوادي . . إلى القمم السماويّه !

سلاماً يا وشاح الشمس ، يا منديل جنتنا
ويا قَسَمَ المحبة في أغانينا !
سلاماً ، يا ربيعاً راحلاً في الجفن ! يا عَسَلاً بغصَّتنا
ويا سهر التفاؤل في أمانينا
لخضرة أعين الأطفال . . ننسج ضوء رايتنا !

شهيد الأغنية

نَصَبُوا الصليبَ على الجدارْ
فكّوا السلاسل عن يدي .
والسوط مروحةٌ . ودقاتُ النعال
لحن يصفِّرُ : سيدي !
ويقول للموتى : حذار !

ـ يا أنت !
قال نباح وحشْ :
أعطيكَ دربكَ لو سجدتَ
أمام عرشي سجدتينْ !
ولثمتَ كفي ، في حياء ، مرتينْ

تعتلي خشب الصليبِ
شهيد أغنية . . وشمسْ !

ما كنتُ أول حامل إكليل شو
لأقول للسمراء : إبكي !
يا من أُحبك ، مثلَ إيماني ،
ولاسمك في فمي المغموسِ
بالعطش المعفَّر بالغبار
طعمُ النبيذ إذا تعتَّق في الجرار

ما كنتُ أول حامل إكليل شوكٍ
لأقول : إبكي !
فعسى صليبي صهوةً ،
والشوك فوق جبيني المنقوش
بالدم والندى
إكليلُ غار !
وعساي آخرُ من يقول :
أنا تشهَّيت الردى !

تموز والأفعى

تموزُ مرَّ على خرائبنا
وأيقظ شهوة الأفعى .
القمح يحصد مرة أُخرى
ويعطش للندى .. المرعى

تموز عاد ، ليرجم الذكرى
عطشاً .. وأحجاراً من النار
فتساءل المنفيُّ :
كيف يطيع زرعُ يدي
كفاً تسمم ماء آباري ؟

وتساءل الأطفال في المنفى :

آباؤنا ملأوا ليالينا هنا .. وصفا
عن مجدنا الذهبي
قالوا كثيراً عن كروم التين والعنبِ
تموز عاد ، وما رأيناها

وتنهّد المسجونُ : كنتَ لنا
يا محرقي تموز ... معطاءً
رخيصاً مثل نور الشمس والرملِ
واليوم ، تجلدنا بسوط الشوق والذلِ

تموز .. يرحل عن بيادرنا
تموز . يأخذ معطف اللهبِ
لكنهُ يبقى بخربتنا
أفعى
ويترك في حناجرنا
ظمأ
وفي دمنا ..
خلود الشوق والغضبِ

برقية من السجن

من آخر السجن ، طارت كفُّ أشعاري
تشد أيديَكُمْ ريحاً . . على نارِ

أنا هنا ، ووراء السورِ ، أشجاري
تُطوِّعُ الجبلَ المغرورَ . . أشجاري

مذ جئتُ أدفع مهر الحرف ، ما ارتفعتْ
غيرُ النجوم على أسلاك أسواري

أقول للمُحْكِم الأصفادَ حول يدي :

هذي أساور أشعاري وإصراري

في حجم مجدكم نعلي ، وقيدُ يدي
في طول عمركم المجدول بالعارِ ؛

أقول للناس ، للأحباب : نحن هنا
أسرى محبتكم في الموكب الساري

في اليوم ، أكبر عاماً في هوى وطني
فعانقوني عناق الريح للنارِ

السجن

تغيُّر عنوان بيتي
وموعد أكلي
ومقدار تبغي تغيَّر
ولون ثيابي ، ووجهي ، وشكلي
وحتى القمر
عزيزٌ عليَّ هنا . .
صار أحلى وأكبر
ورائحة الأرض : عطرٌ
وطعم الطبيعة : سكّرْ
كأني على سطح بيتي القديم
ونجم جديد . .
بعيني تسمَّرْ

روما على جلودنا
أرقام أسرى . والسياطْ
تفكها إذا هوت ، أو ترتخي . .
كان العبيد عزُلاً
ففتنوا البلاط !

بابل حول جيدنا
وشمُ سبايا عائدهْ
تغيرت ملابس الطاغوتْ
من عاش بعد الموت
لو آمنت . . لا يموت

متنا وعشنا ، والطريق واحده !

إفريقيا في رقصنا
طبل .. ونار حافيهْ
وشهوةٌ على دخان غانيه .
في ذات يوم .. أحسن العزف على
ناي الجذوع الهاويه .
أنوّمُ الأفعى
وأرمي نابها في ناحيه
فتلتقي في رقصة جديدة .. جديدة
إفريقيا ... وآسيه !

صوت من الغابة

من غابة الزيتون
جاء الصدى . .
وكنتُ مصلوباً على النارِ !

أقول للغربان : لا تنهشي
فربما أرجعُ للدارِ
وربما تشتي السما
ربما . .
تطفىء هذا الخشب الضاري !

أنزل يوماً عن صليبي
ترى . .
كيف أعود حافياً . . عاري !؟

في انتظار العائدين

أكواخُ أحبابي على صدر الرمالِ
وأنا مع الأمطار ساهرْ . .
وأنا ابن عوليس الذي انتظر البريد من الشمالِ
ناداه بحّار ، ولكن لم يسافرْ .
لجمَ المراكب ، وانتحى أعلى الجبالِ
ـ يا صخرة صلّى عليها والدي لتصون ثائر
أنا لن أبيعك باللآلي .
أنا لن أُسافر . .
لن أُسافر . .
لن أُسافر !

أصوات أحبابي تشق الريح ، تقتحم الحصونْ

ـ يا أُمنا انتظري أمام الباب . إنّا عائدون
هذا زمانٌ لا كما يتخيلون . .
بمشيئة الملّاح تجري الريح . .
والتيار يغلبه السفين !
ماذا طبخت لنا ؟ فإنّا عائدون .
نهبوا خوابي الزيت ، يا أُمي ، وأكياس الطحين
هاتي بقول الحقل ! هاتي العشب !
إنّا عائدون !

خطوات أحبابي أنين الصخر تحت يد الحديدِ
وأنا مع الأمطار ساهدْ
عبثاً أُحدِّقُ في البعيدِ
سأظل فوق الصخر . . تحت الصخر . . صامد

مطر

- ١ -

ناري ،
وخمس زنابق شمعية في المزهريهْ
وعزاؤنا الموروث :
في الغيمات ماءْ
والأرض تعطش . والسماء
تروي . وخمس زنابق شمعية في المزهريهْ .

- ٢ -

عفويةٌ صلواتُ جدتنا ، وكانْ
جدي يحب الكستنا
وطعام أُمي

قد كنت كالحمل الوديع
وكان همي
أن يفاجئنا الربيع !
يا جدي المرحوم ! أهلاً بالمطر
يروي ثراك . فلا يزال السنديان
من يومها يدمي الحجر !

- ٣ -

لنقل مع الأجداد : خيرْ !
هذا مخاض الأرض : خير !
تضع الوليد غداً . . ربيعاً أخضرا !
كعيون سائحة أطلّتْ ذات فجر !
لا الأم أمي . .
لا الوليد أخي ، ولا
ذات العيون الخضر لي
وأقول : خير !

- ٤ -

يا نوح !
هبني غصن زيتونٍ
ووالدتي . . حمامه !

إنّا صنعنا جنة
كانت نهايتها صناديق القمامة
يا نوح !
لا ترحل بنا
إن الممات هنا سلامه
إنّا جذور لا تعيش بغير أرض .
ولتكن أرضي قيامه !

قمر الشتاء

سألمُّ جثته الشهيدهْ

وأُذيبها بالملح والكبريت . .

ثم أعبُّها . .

كالشاي . .

كالخمرة الرديئة . .

كالقصيده

في سوق شعر خائب

وأقول للشعراء :

يا شعراء أُمتنا المجيده !

أنا قاتل القمر الذي

كنتم عبيده !!

سيقال : كالمتسول المنفي .. كانْ
ردّوه عن كل النوافذ
وهو يبحث عن حنان .
لا عاشقان
ذكراه ..
لا .. لا لسان !

- قلبي على قمر
تحجَّر في مكان
ويقال .. كان !
وأنا على الإسفلت
تحت الريح والأمطار
مطعون الجنان
لا تفتح الأبواب في وجهي
ولا تمتدّ نحو يدي يدان

عيني على قمر الشتاء .
وقد ترمّد في دمي ..
قلبي على قرص الدخان !
لا تظلموني أيها الجبناء
لم أقتل سوى نذل جبان
بالأمس عاهدني
وحين أتيته في الصبح .. خان ..

خواطر في شارع

يا شارع الأخضر ! ما لون السماء
وعلام يرقُص هؤلاء ؟
من أين أعبر ، والصدور على الصدور
والساق فوق الساق . ما جدوى بكائي
أي عاصفة يفتتها البكاء ؟
فتيممي يا مقلتي حتى يصير الماء ماء
وتحجّري يا خطوتي !
هذا المساء . .
قذرٌ أسلّمه سعير الكبرياء !
من أي عام . .
أمشي بلا لون ، فلا أصحو ولا أغفو

وأبحث عن كلام ؟
أتسلق الأشجار أحياناً
وأحياناً أجدِّف في الرغام
والشمس تشرق ثم تغرب .. والظلام
يعلو ويهبط . والحمام
ما زال يرمز للسلام !
يا شارع الأضواء ، ما لون الظلام
وعلام يرقص هؤلاء ؟
ومتى تكفُّ صديقتي بالأمس ، قاتلتي
تكفُّ عن الخيانة والغناء ؟
الجاز يدعوها ؟
ولكني أُناديها .. أُناديها .. أُناديها .
وصوت الجاز مصنوع
وصوتي ذوب قلب تحت طاحون المساء

لو مرة في العمر أبكي ،
يا هدوء الأنبياء
لكن زهر النار يأبى أن يعرِّض للشتاء

يا وجه جدي

يا نبياً ما ابتسم

من أي قبر جئتني ،

ولبست قمبازاً بلون دم عتيق

فوق صخره

وعباءة في لون حفره

يا وجه جدي

يا نبياً ما ابتسم

من أي قبر جئتني

لتحيلني تمثال سم .

الدين أكبرُ

لم أبع شبراً ، ولم أخضع لضيم

لكنهم رقصوا وغنوا فوق قبرك . .

فلتنم

صاحِ أنا . . صاحِ أنا . . صاحِ أنا

حتى العدم

تحد

شُدّوا وثاقي
وامنعوا عني الدفاتر
والسجائرْ
وضعوا الترابَ على فمي
فالشعر دمُ القلب . .
ملح الخبز . .
ماءُ العينِ
يكتب بالأظافر
والمحاجر
والخناجرِ
سأقولها

في غرفة التوقيف .

في الحمام . .

في الإسطبل . .

تحت السوط . .

تحت القيد . .

في عنف السلاسل :

مليون عصفور

على أغصان قلبي

يخلق اللحن المقاتل

٤

ناي

لا تقتلوني أيها الرعاه
لا تعزفوا
خافوا عليَّ الله
أستحلف الفحيح أن ينام
في ألحانكم ..
حتى أمرَّ في سلام

زنجار ! يا قاتلتي زنجار
لا تنتظري
إني سمعتُ الناي
لا تنتظري
إني هجرتُ الدار !

كمقـابـر الشهــداء صمتُـكِ
والــطريـق إلى امتــدادِ

ويـداكِ ... أذكـرُ طـائـرين
يُحوِّمان عـلى فـؤادي

فَـدَعي مخـاض البــرق
لـلأفق المعبَّأ بـالــسـوادِ

وتوقَّعي قُـبَــلاً مُـدمَّـاةً
ويــومــاً دون زادِ

وتعوَّدي مــا دمـت لــي
مـوتي ... وأحـزان البعــادِ !

كفَنٌ مناديل الوداع
وخفقُ ريح في الرمادِ

ما لوّحتْ ، إلاّ ودم سال
في أغوار وادِ

وبكى ، لصوتٍ ما ، حنين
في شراع السندبادِ

رُدّي ، سألتُكِ ، شهقة المنديل
مزماراً ينادي . .

فرحي بأن ألقاكِ وعداً
كان يكبر في بعادي

ما لي سوى عينيك ، لا تبكي
على موتٍ معادِ

لا تستعيري من مناديلي
أناشيد الودادِ

أرجوكِ ! لفّيها ضماداً
حول جرحٍ في بلادي

خبّئيني . أتى القمر
ليت مرآتنا حجر !
ألفُ سرّ سرّي
وصدركِ عارٍ
وعيون على الشجر
لا تغطّي كواكباً
ترشح الملح والخدر
خبّئيني .. من القمر !

وجهُ أمسي مسافرٌ
ويدانا على سَفَر

منزلي كان خندقاً

لا أراجيح للقمر ..

خبِّئيني .. بوحدتي

وخذي المجد .. والسهر

ودعي لي مخدَّتي

أنتِ عندي

أم القمر ؟!

أبيات غزل

سألتكِ : هزّي بأجمل كفّ على الأرض
غصنَ الزمان !
لتسقط أوراق ماض وحاضرْ
ويولد في لمحة توأمان :
ملاك .. وشاعر !
ونعرف كيف يعود الرماد لهيباً
إذا اعترف العاشقان !

أتُفاحتي ! يا أحب حرام يباحْ
إذا فهمتْ مقلتاك شرودي وصمتي
أنا ، عجباً ، كيف تشكو الرياح

بقائي لديك ؟ وأنتِ
خلودُ النبيذ بصوتي
وطعم الأساطير والأرض .. أنتِ !

لماذا يسافر نجم على برتقاله
ويشرب يشرب حتى الثمالهْ
إذا كنتِ بين يديّ
تفتّتَ لحن ، وصوت ابتهالهْ

لماذا أُحبك ؟
كيف تخر بروقي لديك ؟
وتتعب ريحي على شفتيك
فأعرف في لحظةٍ
بأن الليالي مخدّه
وأن القمر
جميل كطلعة ورده
وإني وسيم .. لأني لديك !
أتبقين فوق ذراعي حمامه
تغمّس منقارها في فمي ؟
وكفُّك فوق جبينيَ شامه

تخلّد وعد الهوى في دمي ؟
أتبقين فوق ذراعي حمامه
تجنّحني . . كي أطير
تهدهدني . . كي أنام
وتجعل لاسميَ نبض العبير
وتجعل بيتيَ برج حمام ؟

أُريدك عندي
خيالاً يسير على قدمين !
وصخر حقيقه
يطير بغمزة عين !

لوحة على الأفق

رأيت جبينكِ الصيفيَّ
مرفوعاً على الشفقِ
(وشعركِ ماعز) يرعى
حشيش الغيم في الأفقِ

تودُّ العين .. لو طارت إليك
كما يطير النوم من سجني
يود القلب لو يحبو إليك
على حصى الحزنِ

يود الثغر لو يمتصّ

عن شفتيكِ . .
ملح البحر ، والزمنِ

يود . . يود ، لكني
وراء حديد شباكي
أودِّع وجهك الباكي
غريقاً فوق دمّ الشمس . .
مهدوراً على الأفقِ
فأحمل فوق جرحِ القلب جرحين
ولكني . .
أحاول أن أضمدها . . أوسِّدها
ذراع تمرُّد الحزنِ !

دعوة للتذكار

مرّي بذاكرتي !
فأسواق المدينةْ
مرّتْ
وباب المطعم الشتوي
مرّ .
وقهوة الأمس السخينة
مرّتْ .
وذاكرتي تنقرها . .
العصافير المهاجرة الحزينه
لم تنس شيئاً غير وجهك
كيف ضاع ؟
وأنت مفتاحي إلى قلب المدينه ؟

قصائد عن حب قديم

- ١ -

على الأنقاض وردتُنا
ووجهانا على الرملِ
إذا مرّتْ رياحُ الصيفِ
أشرعنا المناديلا
على مهل .. على مهلِ
وغبنا طيَّ أغنيتين ، كالأسرى
نراوغ قطرة الطلِّ
تعالي مرة في البال
يا أُختاه !
إن أواخر الليلِ

١

تعرّيني من الألوان والظلّ
وتحميني من الذل !
وفي عينيك ، يا قمري القديم ،
يشدُّني أصلي
إلى إغفاءة زرقاء
تحت الشمس . . والنخل
بعيداً عن دجى المنفى .
قريباً من حمى أهلي

- ٢ -

تشهَّيتُ الطفولة فيكِ .
مذ طارت
عصافيرُ الربيعِ
تجرَّدَ الشجرُ
وصوتك كان ، يا ما كان ،
يأتيني
من الآبار أحياناً
وأحياناً ينقِّطه لي المطرُ
نقياً هكذا كالنارِ
كالأشجار . . كالأشعار ينهمرُ
تعالي

كان في عينيكِ شي ء أشتهيهِ
وكنتُ أنتظرُ
وشدّيني إلى زنديكِ
شديني أسيراً
منكِ يغتفرُ
تشهّيت الطفولة فيك .
مذ طارت
عصافير الربيع . .
تجرّد الشجرُ !

- ٣ -

. . ونعبر في الطريق
مكبَّلين . .
كأننا أسرى
يدي ، لم أدر ، أم يدُكِ
احتست وجعاً
من الأخرى ؟
ولم تطلق ، كعادتها ،
بصدري أو بصدرك . .
سروة الذكرى
كأنّا عابرا دربٍ ،

ككلِّ الناس ،
إن نظرا
فلا شوقاً
ولا ندماً
ولا شزرا

ونغطس في الزحام
لنشتري أشياءنا الصغرى
ولم نترك لليلتنا
رماداً .. يذكر الجمرا
وشيء في شراييني
يناديني
لأشرب من يديك
ترمّد الذكرى

- ٤ -

ترجَّلَ ، مرةً ، كوكبْ
،سار على أناملنا
ولم يتعبْ
وحين رشفتُ عن شفتيك
ماء التوت

أقبل ، عندها ، يشربْ
وحين كتبتُ عن عينيك
نَقَّطَ كل ما أكتب
وشاركنا وسادتنا . .
وقهوتنا
وحين ذهبتِ . .
لم يذهب

لعلي صرت منسياً
لديكِ
كخيمة في الريح
نازلة إلى المغربْ . .
ولكني إذا حاولتُ
أن أنساك . .
حط على يدي كوكبْ

- ٥ -

لكِ المجدُ
تجنَّحَ في خيالي
من صداك . .
السجنُ ، والقيدُ

أراك ، إذا استندتُ

إلى وسادٍ

مهرةً .. تعدو

أحسكِ في ليالي البرد

شمساً

في دمي تشدو

أُسميك الطفولة

يشرئبّ أماميَ النهدُ

أُسميكِ الربيع

فتشمخ الأعشاب والوردُ

أُسميكِ السماء

فتشمت الأمطار والرعدُ

لك المجدُ

فليس لفرحتي بتَجيُّري

حدُّ

وليس لموعدي .. وعدُ

لك المجدُ

- ٦ -

وأدركَنا المساءُ . .
وكانت الشمسُ
تسرِّح شعرها في البحرْ
وآخر قبلة ترسو
على عينيَّ مثل الجمرْ
- خذي مني الرياح
وقبِّليني
لآخر مرة في العمر

. . وأدركها الصباحُ
وكانت الشمسُ
تمشط شعرها في الشرقْ
لها الحنّاء والعرسُ
وتذكرة لقصر الرق
- خذي مني الأغاني
واذكريني . .
كلمحْ البرقْ

وأدركني المساءُ

وكانت الأجراسْ
تدق لموكب الصبية الحسناء
وقلبي بارد كالماسْ
وأحلامي صناديقٌ على الميناء
- خذي مني الربيع
ودّعيني ..

أبي

غَضَّ طرفاً عن القمرْ
وانحنى يحضن التراب
وصلّى . .
لسماء بلا مطر،
ونهاني عن السفر !

أشعل البرق أوديهْ
كان فيها أبي
يربي الحجارا
من قديم . . ويخلق الأشجارا
جلدُهُ ينذفُ الندى

يدهُ تورقُ الشجرْ
فبكى الأفق أغنيه :

ـ كان أوديس فارساً . .
كان في البيت، أرغفه
ونبيذ ، وأغطيه
وخيول ، وأحذيه
وأبي قال مرة
حين صلّى على حجرْ :
غُضّ طرفاً عن القمر
واحذر البحر . . والسفر !

يوم كان الإله يجلد عبدَهْ
قلت : يا ناس ! نكفرُ ؟
فروى لي أبي . . وطأطأ زنده :

في حوار مع العذاب
كان أيوب يشكرُ
خالق الدود . . والسحاب !
خُلق الجرحُ لي أنا

لا لميْت .. ولا صنمْ
فدع الجرح والألم
وأعِنّي على الندم !

مرَّ في الأفق كوكبُ
نازلاً .. نازلاً
وكان قميصي
بين نار ، وبين ريحْ
وعيوني تفكّرُ
برسوم على التراب
وأبي قال مرة :
الذي ما له وطن
ما له في الثرى ضريح
.. ونهاني عن السفر !

نشيد للرجال

- ١ -

لأجمل ضفة أمشي
فلا تحزن على قدمي
من الأشواك
إن حظي مثل الشمس
لا تقوى بدون دمي !
لأجمل ضفة أمشي
فلا تحزن على قلبي
من القرصان ..
إن فؤادي المعجون كالأرض
نسيم في يد الحبّ

وبارود على البغضِ !

لأجمل ضفة أمشي
فإمّا يهترىء نعلي
أضع رمشي
نعم .. رمشي !
ولا أقفُ
ولا أهفو إلى نوم وأرتجف
لأن سرير من ناموا
بمنتصف الطريق ..
كخشبة النعشِ !
تعالوا يا رفاق القيد والأحزان
كي نمشي
لأجمل ضفة نمشي
فلن نقهرْ
ولن نخسر
سوى النعشِ !

ـ ٢

إلى الأعلى
حناجرُنا

إلى الأعلى
محاجرنا
إلى الأعلى
أمانينا
إلى الأعلى
أغانينا
سنصنع من مشانقنا
ومن صلبان حاضرنا وماضينا
سلالم للغد الموعود
ثم نصيح : يا رضوان !
إفتحْ بابك الموصود !

سنطلقُ من حناجرنا
ومن شكوى مراثينا
قصائد ، كالنبيذ الحلو
تكرع في ملاهينا
وتنشد في الشوارع
في المصانع
في المحاجر
في المزارع

في نوادينا !

سننصب من محاجرنا
مراصد ، تكشف الأبعد والأعمق والأروعْ
فلا نقشعْ
سوى الفجرِ
ولا نسمع
سوى النصرِ
فكل تمرد في الأرضْ
يزلزلنا
وكل جميلة في الأرض
تقبِّلُنا
وكل حديقة في الأرض
نأكل حبة منها
وكل قصيدة في الأرض
إذا رقصت نخاصرها
وكل يتيمة في الأرض
إذا نادت نناصرها

سنخرج من معسكرنا

ومنفانا

سنخرج من مخابينا

ويشتمنا أعادينا :

« هلا .. همج همُ .. عرب »

نعم ! عربُ

ولا نخجلْ

ونعرف كيف نمسك قبضة المنجل

وكيف يقاوم الأعزل

ونعرف كيف نبني المصنع العصريَّ

والمنزل ..

ومستشفى

ومدرسة

وقنبلة

وصاروخاً

وموسيقى

ونكتب أجمل الأشعار ..

صوت :

وماذا بعد ؟

سمعنا صوتك المدهون بالغرور

سمعناه .. سمعناهُ

فكيف ستجعل الكلماتُ
أكواخ الدجى . . بلّور !
ودربك كله ديجور
وشعبك . .
دمعة تبكي زمان النور
وأرضك . .
نقش سجاده
على الطرقات مرميَه
وأنت . . . بدون زوّاده
وماذا بعد ؟ ماذا بعد ؟
جميلٌ صوتك المحمول بالريح الشماليّه
ولكنا سئمناهُ !

جواب :

ذليلٌ أنت كالإسفلتْ
ذليل أنت
يا من يحتمي بستارة الضجرِ
غبيٌّ أنت . . كالقمرِ
ومصلوب على حجرِ
فدعني أكمل الإنشاد
دعني أحمل الريح الشماليّه

ودعني أحبس الأعصار في كمي
ودعني أخزن الديناميت في دمي
ذليل أنت كالإسفلتْ
وكالقمرِ . .
غبيٌّ أنت !

نشيد بنات طرواده

وداعاً يا ليالي الطه
يا أسوار طرواده
خرجنا من مخابينا
إلى أعراس غازينا
لنرقص فوق موت رجال طرواده

سبايا نحن ، نعطيهم بكارتنا
وما شاؤُوا
لأنهمُ أشداءُ
ونرقد في مضاجع قاتلي أبطال طرواده

وداعاً يا ليالي الطهر والأحلام
يا ذكرى أحبتنا

سبايا نحن منذ اليوم

من آثار طرواده !

تعليق على النشيد

بلى . أصغيتُ للنغمِ

فلا تُخضع لجناز الردى

قيثارك المشدود . .

من قاع المحيط لجبهة القممِ !

لئلا تجهض الأزهار والكبريت

فوق فمِ

سيزهر مرة طلعاً وقنديلاً

وشعراً يصهر الفولاذ . .

يرصف شارع النغمِ

لئلا تحقن الأجساد

أفيوناً من الألم

نعم . أصغيتُ للنغم

ولكني ، تحرّيت السنا في الدمع

لا ديمومة الظلمِ

لنحرق ريشة الماضي

ونعزف لحننا الرائد !

فمن عزمي

ومن عزمك
ومن لحمي
ومن لحمك
نعبّد شارع المستقبل الصاعد

صوت :

وماذا بعد ؟ ماذا بعدُ !
وشعبك . .
دمعة ترثي زمان المجد
ولحن القيد
يجترّنا
ويحفر للذين يقاومون اللحد !

جواب :

ذليلٌ أنت كالإسفلتْ
كالر
غبي أنت !
إلى المرصى قليلاً يا حريص الصوت
يا من يمتطي جملاً من الصحراء
وغيرك يركب الصاروخ

إلى الماضي قليلاً يا حزين الصوت
إلى التاريخ

مع المسيح

ـ ألو . .
ـ أريد يسوع
ـ نعم ! من أنت ؟
ـ أنا أحكي من « إسرائيل »
وفي قدمي مسامير . . وإكليل
من الأشواك أحمله
فأي سبيل
أختار يا بن الله . . أي سبيل ؟
أأكفر بالخلاص الحلو
أم أمشي ؟
ولو أمشي وأحتضرْ ؟
ـ أقول لكم : أماماً أيها البشرْ !

مع محمد

ـ ألو . .
ـ أريد محمد العرب

ـ نعم ! من أنت ؟
ـ سجين في بلادي
بلا أرض
بلا علم
بلا بيتِ
رموا أهلي إلى المنفى
وجاؤ وا يشترون النار من صوتي
لأخرج من ظلام السجن . .
ما أفعلْ ؟
ـ تحدَّ السجن والسجّان
فإن حلاوة الإيمان
تذيب مرارة الحنظلْ !

مع حبقوق

ـ ألو . . هالو !
أموجود هنا حبقوق ؟
ـ نعم من أنت ؟
ـ أنا يا سيدي عربي
وكانت لي يدٌ تزرع
تراباً سمَّدته يدا وعين أبي

وكانت لي خطى وعباءة . .

وعمامة ودفوف

وكانت لي . .

ـ كفى يا ابني !

على قلبي حكايتكم

على قلبي سكاكينْ

بقية النشيد

دعوني أُكمل الإنشاد

فإن هدية الأجداد للأحفاد :

« زرعنا . . فاحصدوا ! »

والصوت يأتينا سماداً

يغرق الصحراء بالمطر

ويُخصب عاقر الشجر !

دعوني أُكمل الإنشاد

صلاة أخيرة

يخيل لي أن عمري قصير
وأني على الأرض سائح
وأن صديقة قلبي الصغير
تخون إذا غبت عنها
وتشرب خمرا
وتكتب شعرا
لغيري .
لأني على الأرض سائح !

يخيل لي أن خنجر غدر
سيحفر ظهري

فتكتب إحدى الجرائد :

« كان يجاهد »

ويحزن أهلي وجيراننا

ويفرح أعداؤنا

وبعد شهور قليله

يقولون : كان !

يخيل لي أن شِعري الحزينْ

وهذي المراثي ، ستصبح ذكرى

وأن أغاني الفرح

وقوس قزح

سينشدها آخرون

وأن فمي سوف يبقى مدمًى

على الرملِ والعوسجِ

فشكراً لمن يحملون

توابيت أمواتهم !

وعفواً من المبصرين

أماميَ لافتة النجم

في ليله المدلجِ !

يخيل لي يا صليب بلادي

ستحرق يوماً
وتصبح ذكرى ووشماً
وحين سينزل عنك رمادي
ستضحك عينُ القدر
وتغمز : ماتا معاً
لو اني ، لو اني
أقبِّل حتى الحجر
وأهتف : لم تبق إلاّ بلادي !

بلاديَ ! يا طفلة أمَةً
تموت القيود على قدميها
لتأتي قيود جديده
متى نشرب الكأس نخبك
حتى ولو في قصيده ؟
ففرعون مات
ونيرون مات
وكل السبايا ببابلَ
عادت إليها الحياة !
متى نشرب الكأس نخبك
حتى ولو في الأغاني

أيا مهرة يمتطيها طغاة الزمان

وتفلت منا
من الزمن الأولِ
ـ لجامك هذا. . دمي !
ـ وسرجك هذا . . دمي
إلى أين أنت إذن رائحه
أنا قد وصلت إلى حفره
وأنت أماماً . . أماماً
إلى أين ؟
يا مهرتي الجامحه ؟!

يخيل لي أن بحر الرماد
سينبتُ بعدي
نبيذاً وقمحاً
وإني لن أطعمه
لأني بظلمة لحدي
وحيد مع الجمجمه
وفي شفتي بسمة منعمه
لأني صنعت مع الآخرين
خميرة أيامنا القادمه
وأخشاب مركبنا في بحار الرماد

يخيل لي أن عمري قصير
وأني على الأرض سائح
ولو بقيت في دمي
نبضة واحدهْ
تعيد الحياة إليّ
لو اني
أُفارق شوك مسالكنا الصاعده
لقلت : ادفنوني حالاً
أنا توأم القمة المارده !!



اخر الليل

١٩٦٧

،

تحت الشبابيك العتيقة

« إلى مدينة القدس واخواتها »



١ ـ الجرح القديم

واقفٌ تحت الشبابيك ،
على الشارع واقفْ
درجات السلّم المهجور لا تعرف خطوي
لا ولا الشبّاك عارف .
من يد النخلة أصطادُ سحابه
عندما تسقط في حلقي ذبابه
وعلى أنقاض إنسانيتي
تعبرُ الشمسُ وأقدامُ العواصفْ

واقفٌ تحت الشبابيك العتيقه
من يدي يهرب دُوريٌّ وأزهار حديقه

اسأليني : كم من العمر مضى حتى تلاقى
كلُّ هذا اللون والموت، تلاقى بدقيقه ؟
وأنا أجتازُ سرداباً من البخور ،
والفلفل ، والصوت النحاسي
من يدي يهرب دوريٌّ . .
وفي عيني ينوب الصمت عن قول الحقيقه !

عندما تنفجر الريح بجلدي
وتكفُّ الشمسُ عن طهو النعاسْ
وأُسمّي كل شيء باسمه ،
عندها أبتاع مفتاحاً وشباكاً جديداً
بأناشيد الحماس !

ـ أيها القلبُ الذي يُحرمُ من شمس النهار
ومن الأزهار والعيد ، كَفانا !
علمونا أن نصون الحب بالكره !
وأن نكسو ندى الورد. . غبار !

ـ أيها الصوتُ الذي رفرف في لحمي
عصافير لهبْ ،
علّمونا أن نُغني ، ونحب
كلَّ ما يطلعه الحقلُ من العشب ،

من النمل ، وما يتركه الصيفُ على أطلال دار
علّمونا أن نُغني ، ونداري
حبّنا الوحشيَّ ، كي لا
يصبح الترنيم بالحب مملاًّ !
عندما تنفجر الريحُ بجلدي
سأسمي كلَّ شيء باسمه
وأدق الحزن والليل بقيدي
يا شبابيكي القديمه . . !

٢ ـ أغنية حب على الصليب

مدينةَ كل الجروح الصغيره
ألا تخمدين يديَّ ؟
ألا تبعثين غزالاً إليَّ ؟
وعن جبهتي تنفضين الدخان . . وعن رئتيَّ ؟!

حنيني إليك . . اغتراب
ولقياك . . منفى !
أدقُّ على كل باب . .
أنادي ، وأسأل ، كيف
تصير النجومُ تراب ؟

..

أحبكِ ، كوني صليبي
وكوني ، كما شئت ، برج حمامْ
إذا ذوبتني يداك
ملأت الصحارى غمام

لحبك يا كلَّ حبي ، مذاق الزبيب
وطعم الدمِ
على جبهتي قمر لا يغيب
ونارٌ وقيثارة في فمي !

إذا متُّ حبّاً فلا تدفنيني
وخلي ضريحي رموش الرياح
لأزرع صوتك في كل طين
وأشهر سيفك في كل ساح

أحبك ، كوني صليبي
وما شئت كوني
وكالشمس ذوبي
بقلبي .. ولا ترحميني ..

٣ ـ خارج من الأسطورة

إنني أنهضُ من قاع الأساطير
وأصطاد على كل السطوح النائمه
خطوات الأهل والأحباب . . أصطاد نجومي القاتمه
إنني أمشي على مهلي ، وقلبي مثل نصف البرتقالهْ
وأنا أعجب للقلب الذي يحمل حاره
وجبالاً ، كيف لا يسأم حاله !
وأنا أمشي على مهلي . . وعيني تقرأ الأسماءَ
والغيم على كل الحجاره
وعلى جيدك يا ذات العيون السود
يا سيفي المذهَّبْ
ها أنا أنهض من قاع الأساطير . . وألعب

مثل دوريٍّ على الأرض .. وأشرب
من سحاب عالق في ذيل زيتون ونخلِ
ها أنا أشتمُّ أحبابي وأهلي
فيك ، يا ذات العيون السود .. يا ثوبي المقصَّب
لم تزل كفّاك تليّن من الخضرة ، والقمح المذهَّبْ
وعلى عينيك ما زال بساط الصحو
بالوشم الحريري .. مكوكب !
إنني أقرأ في عينيك ميلاد النهارْ
إنني أقرأ أسرار العواصف
لم تشيخي .. لم تخوني .. لم تموتي
إنما غيَّرتِ ألوان المعاطف
عندما انهار الأحبّاءُ الكبار
وامتشقنا ، لملاقاة البنادق
باقة من أغنيات وزنابق !
آه .. يا ذات العيون السود ، والوجه المعفَّرْ
يشرب الشارعُ والملحُ دمي
كلما مرت على باليَ أقمارُ الطفوله
خلف أسوارك يا سجن المواويل الطويلهْ
خلف أسوارك ، ربَّيت عصافيري
ونحلي ، ونبيذي ، وخميلهْ

٤ ـ إعتذار

حلمتُ بعرس الطفولهْ
بعينين واسعتين حلمت
حلمتُ بذات الجديلهْ
حلمتُ بزيتونةٍ لا تُباع
ببعض قروشٍ قليلهْ
حلمتُ بأسوار تاريخكِ المستحيله
حلمتُ برائحة اللوز
تشعل حزن الليالي الطويلهْ
بأهلي حلمت . .
بساعد أختي

سيلتفُّ حولي وِشاحَ بطولهْ

حلمت بليلة صيف

بسلّة تينِ

حلمتُ كثيراً

كثيراً حلمتُ . .

إذن سامحيني !! .

٥ ـ المستحيل

أموت اشتياقاً
أموت احتراقاً
وشنقاً أموت
وذبحاً أموت
ولكنني لا أقول :
مضى حبنا ، وانقضى
حبنا لا يموت

٦ ـ الورد والقاموس

وليكن .
لا بد لي . .
لا بد للشاعر من نخب جديدْ
وأناشيد جديده
إنني أحمل مفتاح الأساطير وآثار العبيد
وأنا أجتاز سرداباً من البخُور
والفلفل ، والصيف القديم
وأرى التاريخ في هيئة شيخ ،
يلعب النرد ويمتصُّ النجوم

وليكن
لا بدَّ لي أن أرفض الموت ،

وإن كانت أساطيري تموت
إنني أبحث في الأنقاض عن ضوء ، وعن شعر جديد
آه . . هل أدركت قبل اليوم
أن الحرف في القاموس ، يا حبي ، بليد
كيف تحيا كلُّ هذي الكلمات !
كيف تنمو ؟ . . كيف تكبر ؟
نحن ما زلنا نغذيها دموع الذكريات
واستعارات . . وسُكَّر !

وليكن . .
لا بد لي أن أرفض الورد الذي
يأتي من القاموس ، أو ديوان شعر
ينبت الورد على ساعد فلّاح ، وفي قبضة عامل
ينبت الورد على جرح مقاتل
وعلى جبهة صخر . .

٧ ـ وعود من العاصفة

وليكن . . .
لا بدَّ لي أن أرفض الموت
وأن أحرق دمع الأغنيات الراعفه
وأعرّي شجر الزيتون من كل الغصون الزائفهْ
فإذا كنت أُغني للفرحْ
خلف أجفان العيون الخائفهْ
فلأنَّ العاصفه
وعدتني بنبيذ . . وبأنخاب جديده
وبأقواس قزح
ولأن العاصفه
كنَست صوت العصافير البليده

والغصون المستعاره
عن جذوع الشجرات الواقفهْ .
وليكن . .
لا بدَّ لي أن أتباهى ، بك ، يا جرح المدينه
أنت يا لوحة برق في ليالينا الحزينه
يعبس الشارع في وجهي
فتحميني من الظل ونظرات الضغينه
سأغني للفرح
خلف أجفان العيون الخائفه
منذ حبت ، في بلادي ، العاصفهْ
وعدتني بنبيذ ، وبأقواس قزح

موال

خسرتُ حلماً جميلاً خسرت لسع الزنابقْ
وكان ليلي طويلاً على سياج الحدائقْ
وما خسرت السبيلا

*

لقد تعوَّد كفِّي على جراح الأماني
هزي يديَّ بعنف ينساب نهر الأغاني
يا أم مهري وسيفي !

*

« يمّا .. مويل الهوى
« يمّا .. مويليّا
« ضرب الخناجر .. ولا

« حكم النذل فيّا

*

يداك فوق جبيني   تاجان من كبرياءْ
إذا انحنيتُ، انحنى   تلٌّ، وضاعت سماءْ
ولا أعود جديراً   بقبلة أو دعاء
والبابُ يُوصَدُ دوني

*

كوني على شفتيّا   اسماً لكل الفصول
لم يأخذوا من يديّا   إلاّ مناخ الحقول
وأنت عندي دنيا!

*

« يمّا .. مويل الهوى
«يمّا .. مويليّا
« ضرب الخناجر .. ولا
« حكم النذل فيّا

*

الريح تنعس عندي   على جبين ابتسامه
والقيد خاتمُ مجد   وشامةٌ للكرامه
وساعدي .. للتحدي

*

علـى يـديـك تـصـلـي   طفـولـةُ المستقبـلْ
وخلف جفنيـك ، طفلي   يقـول : يـوميَ أجمـلْ
وأنت شمسي وظلي

*

« يمّا .. مويل الهوى
« يمّا .. مويليّا
« ضرب الخناجر .. ولا
« حكم النذل فيّا

*

الأرض ، أم أنت عنـدي   أم أنـتـمـا تـوأمـان
من مـدَّ للشمس زنـدي؟   الأرضُ ، أم مـَقـلتـان
سيان سيان ... عندي

*

إذا خسـرت الصـديقـه   فقـدتُ طعم السنـابـلْ
وإن فقـدت الحـديقـه   ضَيَّعت عـطر الجدائـلْ
وضاع حلم الحقيقه

*

عـن الـورود أُدافـعْ   شـوقـاً إلـى شفـتيـكِ
وعـن تـراب الشـوارع   خـوفـاً عـلى قـدميـكِ
وعن دفاعي أُدافع

*

«يمّا .. مويل الهوى
«يمّا .. مويليّا
«ضرب الخناجر .. ولا
«حكم النذل فيّا

لا تنامي .. حبيبتي

عندما يسقط القمر
كالمرايا المحطمه
يكبر الظلُّ بيننا
والأساطير تحتضر
لا تنامي .. حبيبتي
جرحنا صار أوسمه
صار ورداً على قمر...!

خلف شباكنا نهارْ
وذراع من الرضا
عندما لفني وطار

خلتُ أني فراشةً
في قناديل جلّنار
وشفاه من الندى
حاورتني بلا حوار!
لا تنامي ... حبيبتي
خلف شباكنا نهار!

سقط الورد من يدي
لا عبير، ولا خَدَر
لا تنامي .. حبيبتي
العصافير تنتحر
ورموشي سنابلْ
تشرب الليل والقدر
صوتك الحلو قبلةً
وجناح على وترْ
غصن زيتونة بكى
في المنافي على حجر
باحثاً عن أصوله
وعن الشمس والمطر
لا تنامي .. حبيبتي
العصافير تنتحر

*

عندما يسقط القمر،
كالمرايا المحطمه
يشرب الظل عارنا
ونداري فرارنا
عندما يسقط القمر
يصبح الحب ملحمه
لا تنامي .. حبيبتي
جرحنا صار أوسمه
وبدانا على الدجى
عندليب على وترْ

كبر الأسير

تتموَّج الذكرى ، وبياراتُ أهلي
خلف نافذة القطارْ
وتغوص ، تحت الرمل والبارود ، دار
كل النوافذ أُشرعت في ذات يوم
للعيون السود ، واحترق النهار
وَلَعاً بساحتك الصغيره
وأنا كبرتُ . . كبرتُ . .
حطمت المرايا كُلها ،
ونفضت أجنحة الغبار
عن جنَّة نبتت بصوره
ورأيت وجهك في السنابلِ

وهي تبحر في سماء الضوء

في فرح الضفيره

يا حبي الباقي على لحمي هلالاً في إطار !

أترى إلى كل الجبال ، وكل بيارات أهلي

كيف صارت كلّها . . صارت أسيره ؟

وأنا كبرتُ ، كبرتُ يا حبي القديم مع الجدار

كبر الأسير ، وأنت توقدُ

في ليالي التيه أُغنيةً ونار

وتموت ، وحدك ، دون دار

بين ريتا وعيوني .. بندقيّة
والذي يعرف ريتا ، ينحني
ويصلي
لإلهٍ في العيون العسليه !

.. وأنا قبّلت ريتا
عندما كانت صغيره
وأنا أذكر كيف التصقت
بي ، وغطت ساعدي أحلى ضفيره
وأنا أذكر ريتا
مثلما يذكر عصفور غديره

آه .. ريتا
بيننا مليون عصفور وصوره
ومواعيد كثيره
أطلقت ناراً عليها .. بندقيه

إسمُ ريتا كان عيداً في فمي
جسم ريتا كان عرساً في دمي
وأنا ضعت بريتا .. سنتين .
وهي نامت فوق زندي سنتين
وتعاهدنا على أجمل كأس ، واحترقنا
في نبيذ الشفتين
وولدنا مرتين !
آه .. ريتا
أي شيء ردَّ عن عينيك عينيَّ
سوى إغفاءتين
وغيوم عسليه
قبل هذي البندقيه !

كان يا ما كان

يا صمت العشيّة
قمري هاجر في الصبح بعيداً
في العيون العسليةْ
والمدينة
كنست كل المغنين ، وريتا
بين ريتا وعيوني . . بندقيّة

جندي يحلم بالزنابق البيضاء

يحلُمُ بالزنابق البيضاء
بغصن زيتونٍ . .
بصدرها المورق في المساء
يحلمُ ـ قال لي ـ بطائر
بزهر ليمونٍ
ولم يفلسف حلمه ، لم يفهم الأشياء
إلّا كما يحسها . . يشمها
يفهم ـ قال لي ـ إنَّ الوطنْ
أن أحتسي قهوة أمي
أن أعود في المساء . .

سألته : والأرض ؟

قال : لا أعرفها
ولا أحس انها جلدي ونبضي
مثلما يُقالُ في القصائدْ
وفجأة ، رأيتها
كما أرى الحانوت .. والشارع .. والجرائد
سألته : تحبُها
أجاب : حبي نزهةٌ قصيرةٌ
أو كأس خمر .. أو مغامره
ـ من أجلها تموت ؟
ـ كلاّ !
وكل ما يربطني بالأرض من أواصرِ
مقالةٌ نارية .. محاضرةٌ !
قد عَلّموني أن أُحب حُبَّها
ولم أحس أن قلبها قلبي ،
ولم أشم العشب ، والجذور ، والغصون
ـ وكيف كان حبّها
يلسع كالشموس .. كالحنين ؟
أجابني مواجهاً :
ـ وسيلتي للحب بندقيه
وعودةُ الأعياد من خرائب قديمه

وصمت تمثال قديم
ضائع الزمان والهويةْ !

*

حدَّثني عن لحظة الوداع
وكيف كانت أُمُّهُ
تبكي بصمت عندما ساقوه
إلى مكان ما من الجبههْ . .
وكان صوت أُمه الملتاع
يحفر تحت جلده أُمنية جديده :
لو يكبر الحمام في وزارة الدفاعْ
لو يكبر الحمام ! . .

*

. . دخَن ، ثم قال لي
كأنه يهرب من مستنقع الدماء :
حلمت بالزنابق البيضاء
بغصن زيتون . .
بطائر يعانق الصباح
فوق غصن ليمون . .
- وما رأيت ؟
- رأيتُ ما صنعت

عوسجة حمراء
فجّرتها في الرمل .. في الصدور .. في البطون
ـ وكم قتلتْ ؟
يصعب أن أعدهم ..
لكنني نلت وساماً واحداً
سألته ، معذباً نفسي ، إذن
صف لي قتيلاً واحداً .

أصلح من جلسته ، وداعب الجريده المطويّة
وقال لي كأنه يُسمعني أُغنيةْ :
كخيمة هوى على الحصى
وعانق الكواكب المحطمةْ
كان على جبينه الواسع تاجٌ من دم
وصدره بدون أوسمه
لأنه لم يُحسن القتال
يبدو أنه مزارع أو عامل أو بائع جوال
كخيمة هوى على الحصى .. ومات ..
كانت ذراعاهُ
ممدودتين مثل جدولين يابسين
وعندما فتشت في جيوبه
عن اسمه ، وجدتُ صورتين

واحدةً .. لزوجته
واحدةً .. لطفلته ..

سألته : حزنت ؟
أجابني مقاطعاً : يا صاحبي محمود
الحزن طير أبيض
لا يقرب الميدان . والجنود
يرتكبون الإثم حين يحزنون
كنت هناك آلة تنفث ناراً وردى
وتجعل الفضاء طيراً أسودا .

*

حدثني عن حبه الأول ،
فيما بعد
عن شوارع بعيده ،
وعن ردود الفعل بعد الحرب
عن بطولة المذياع والجريده
وعندما خبأ في منديله سعلته
سألته : أنلتقي ؟
أجاب : في مدينة بعيده

حين ملأت كأسه الرابع

قلت مازحاً : ترحل . . . والوطن ؟
أجاب : دعني . .
إنني أحلم بالزنابق البيضاء
بشارع مغرد ومنزل مضاء
أُريد قلباً طيباً ، لا حشو بندقيه
أُريد يوماً مشمساً ، لا لحظة انتصار
مجنونةً . . فاشيَّه
أُريد طفلاً باسماً يضحك للنهار ،
لا قطعةً في الآلة الحربيه
جئت لأحيا مطلع الشموس
لا مغربها .

*

ودعني ، لأنه . . يبحث عن زنابق بيضاء
عن طائر يستقبل الصباح
فوق غصن زيتون
لأنه لا يفهم الأشياء
إلا كما يحسها . . يشمها
يفهم ـ قال لي ـ ان الوطن
أن أحتسي قهوة أُمي . .
أن أعود ، آمناً ، مع المساء

أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر

هل لكل الناس ، في كل مكانِ
أذرع تطلع خبزاً وأماني
ونشيداً وطنياً ؟
فلماذا يا أبي نأكل غصن السنديانِ
ونغني ، خلسة ، شعراً شجياً ؟
يا أبي ! نحن بخير وأمانِ
بين أحضان الصليب الأحمرِ !

*

عندما تُفرغ أكياسْ الطحينِ
يصبح البدرُ رغيفاً في عيوني
فلماذا يا أبي ، بعت زغاريدي وديني

بفُتاتٍ وبجبنٍ أصفرِ
في حوانيت الصليب الأحمرِ ؟

*

يا أبي ! هل غابة الزيتون تحمينا إذا جاء المطر ؟
وهل الأشجار تغنينا عن النار ، وهل ضوء القمر
سيذيب الثلج ، أو يحرق أشباح الليالي
إنني أسألُ مليون سؤال
وبعينيك أرى صمتَ الحجر
فأجبني ، يا أبي ، أنت أبي
أم تراني صرت إبناً للصليب الأحمرِ ؟!

*

يا أبي ! هل تنبت الأزهارُ في ظل الصليب ؟
هل يغني عندليب ؟
فلماذا نسفوا بيتي الصغيرا
ولماذا ، يا أبي ، تحلم بالشمس إذا جاء المغيب ؟
وتناديني ، تناديني كثيرا
وأنا أحلم بالحلوى وحبات الزبيب
في دكاكين الصليب الأحمرِ

*

حرموني من أراجيح النهار

عجنوا بالوحل خبزي .. ورموشي بالغبار
أخذوا مني حصاني الخشبي
جعلوني أحمل الأثقال عن ظهر أبي
جعلوني أحمل الليلة عام
آه من فجّرني في لحظةٍ جدول نار ؟
آه ، من يسلبني طبع الحمام
تحت أعلام الصليب الأحمرِ !

ملاحظة على الأغنية

أخذوا منك الحصان الخشبي
أخذوا ، لا بأس ، ظلَّ الكوكبِ
يا صبي !
يا زهرة البركان ، يا نبض يدي
إنني أبصر في عينيك ميلاد الغدِ
وجواداً غاص في لحم أبي
نحن أدرى بالشياطين التي تجعل من طفل نبيّا
قل مع القائل : .. لم أسألك عبئاً هيناً
يا إلهي ! أعطني ظهراً قويّا .. !
أخذوا باباً .. ليعطوك رياح

هشموا جرحاً ليحطموك صباح

هدموا بيتاً لكي تبني وطن

حَسَنٌ هذا.. حسن

نحن أدرى بالشياطين التي تجعل من طفلٍ نبيّا

قل مع القاتل .. لم أغتلك خبثاً هيناً

يا إلهي ! أعطني ظهراً قويا .. !

أزهار الدم

١

١ ـ مغني الدم

لمُغنّيكِ ، على الزيتون ، خمسون وترْ
ومغنيك أسيراً كان للريح ، وعبداً للمطر
ومغنيك الذي تاب عن النوم تسلّى بالسهر
سيُسمّي طلعة الورد ، كما شئت ، شرر
سيُسمّي غابة الزيتون في عينيك ، ميلاد سحر
وسيبكي ، هكذا اعتاد ،
إذا مرَّ نسيم فوق خمسين وترْ
آه يا خمسين لحناً دموياً
كيف صارت بركة الدمّ نجوماً وشجر ؟
الذي مات هو القاتل يا قيثارتي
ومغنيك انتصر !

إفتحي الأبواب يا قريتنا
إفتحيها للرياح الأربع
ودعي خمسين جرحاً يتوهَّج
كُفْرُ قاسم . .
قرية تحلم بالقمح ، وأزهار البنفسج
وبأعراس الحمائم
. . . . . .
ـ أحصدوهم دفعة واحدة
أحصدوهم
. . . . . .
. . . . حصدوهم . .
. . . . . .
آه يا سنبلةَ القمح على صدر الحقول
ومغنيك يقول :
ليتني أعرف سرَّ الشجره
ليتني أدفن كل الكلمات الميته
ليت لي قوة صمت المقبره
يا يداً تعزف ، يا للعار ! خمسين وترْ
ليتني أكتب بالمنجل تاريخي
وبالفأس حياتي ،
وجناح القُبرهْ

. . . .

كَفَر قاسِم

إنني عدت من الموت لأحيا ، لأغني

فدعيني أستعر صوتيَ من جرح توهَّج

واعينيني على الحقد الذي يزرع في قلبي عوسج

إنني مندوب ، جرح لا يساوم

علمتني ضربة الجلاّد أن أمشي على جرحي

وأمشي . .

ثم أمشي . .

وأُقاوم !

٢ ـ حوار في تشرين

أُحاورُ ورقةَ توتْ :
ـ ومن سوء حظ العواصف أنّ المطر
يعيدك حيّه ،
وأن ضحيتها لا تموت
وان الأيادي القويّة
تكبلها بالوتر !
سأدفع مهر العواصف
مزيداً من الحب للوردة الثاكلهْ
وأبقى على قمة التل واقفْ
لأفضح سرَّ الزوابع . . للقافلهْ

*

أحاور هبة ريح :
إذا هاجر الزارع الأولْ
وعاث بحنطته القاتلُ
وإن قتلوه كما قتلوني
فلن تحملي الأرض يوماً
ولن تنزعي جلدها عن جفوني

*

سأدفع مهر العواصف
مزيداً من الحب للوردة الثاكلهْ
وأبقى على قمة التل واقف
لأفضح سر العواصف .. للقافلهْ !

*

أحاور روح الضحيَّهْ :
ومن سوء حظ العواصف أن المطر
يعيدك حيَّهْ ..
ومن حسن حظك أنك أنت الضحيه
هلا .. يا هلا .. بالمطر !

٣ ـ الموت مجانا

كان الخريف يمرُّ في لحمي جنازةَ برتقالْ . .
قمراً نحاسياً تفتته الحجارة والرمال
وتساقط الأطفال في قلبي على مُهج الرجال
كل الوجوم نصيبُ عيني . . كل شي ء لا يُقال . .
ومن الدم المسفوك أذرعةٌ تناديني : تعال !

*

فلترفعي جيداً إلى شمس تحنَّت بالدماء
لا تدفني موتاك ! . . خليهم كأعمدة الضياء
خلي دمي المسفوك . . لافتة الطغاة إلى المساء
خليه نِدّاً للجبال الخضر في صدر الفضاء !

*

لا تسألي الشعراء أن يرثوا زغاليل الخميلهْ
شرف الطفولة أنها
خطر على أمن القبيله
إني أُباركهم بمجد يرضع الدم والرذيلهْ
وأُهنّئُ الجلاد منتصراً على عينٍ كحيلهْ
كي يستعير كساءه الشتوي من شعر الجديلهْ
مرحى لفاتح قرية!.. مرحى لسفاح الطفولهْ ! . .

*

يا كفر قاسم ! . . إن أنصاب القبور يد تشدُّ
وتشد للأعماق أغراسي . . وأغراس اليتامى إذ تمد
باقون . . يا يدك النبيلة ، علمينا كيف نشدو
باقون مثل الضوء ، والكلمات ، لا يلويهما ألم وقيد
يَا كفر قاسم !
ان أنصاب القبور يد تشد . . !

٤ ـ القتيل رقم ١٨

غابةُ الزيتون كانت مرة خضراء
كانت . . والسماءْ
غابةٌ زرقاء . . كانت يا حبيبي
ما الذي غيَّرها هذا المساء ؟

. .　　. .　　. .

أوقفُوا سيارةَ العمال في منعطف الدرب
وكانوا هادئين
وأدارونا إلى الشرق . . وكانوا هادئين

. .　　. .　　. .

كان قلبي مرة عصفورة زرقاء . . يا عش حبيبي
ومناديلك عندي ، كلها بيضاء ، كانت يا حبيبي

ما الذي لطّخها هذا المساء ؟
أنا لا أفهم شيئاً يا حبيبي !
.. .. ..
أوقفوا سيارة العمال في منتصف الدربِ
وكانوا هادئين
وأداروها إلى الشرق .. وكانوا هادئين
.. .. ..
لكَ مني كلُّ شيء
لكَ ظل لك ضوء
خاتم العرس ، وما شئت
وحاكورة زيتون وتين
وسآتيك كما في كل ليلةْ
أدخل الشبّاك ، في الحلُمِ ، وأرمي لك فُلّة
لا تلمني إن تأخرت قليلاً
أنهم قد أوقفوني

غابة الزيتون كانت دائماً خضراء
كانت يا حبيبي
إن خمسين ضحيّة

جعلتها في الغروب ..
بركةً حمراء .. خمسين ضحيَّة
يا حبيبي .. لا تلمني ..
قتلوني .. قتلوني ..
قتلوني ..

٥ـ القتيل رقم ٤٨

وجدوا في صدره قنديل ورد .. وقمرْ
وهو ملقى ، ميتاً ، فوق حجرْ
وجدوا في جيبه بعض قروش
وجدوا علبة كبريت ، وتصريح سفرْ ..
على ساعده الغض نقوش .

*

قبَّلته أُمه ..
وبكت عاماً عليه
بعد عام ، نبت العوسج في عينيه
واشتدَّ الظلام

*

عندما شبَّ أخوه
ومضى يبحث عن شغل بأسواق المدينه
حبسوه . .
لم يكن يحمل تصريح سفر
إنه يحمل في الشارع صندوق عفونه
وصناديق أُخَر

*

آه ؛ أطفالَ بلادي
هكذا مات القمرْ !

٦ - عيون الموتى على الأبواب

١

مروا على صحراء قلبي ، حاملين ذراع نخلهْ
مرُّوا على زهر القرنفل ، تاركين أزيز نحلهْ
وعلى شبابيك القرى رسموا ، بأعينهم ، أهلَّهْ
وتبادلوا بعض الكلام
عن المحبة والمذلَّهْ

ماذا حملتَ لعشر شمعات أضاءت كفر قاسم
غير المزيد ، من النشيد ، عن الحمائم . .
والجماجم . . ؟
هي لا تريدُ . . ولا تعيدُ
رثاءنا . . هي لا تساوم
فوصية الدم تستغيث بأن تقاوم

*

في الليل دقوا كل باب . .
كل باب . . كل باب
وتوسلوا ألاّ نهيل على الدم الغالي التراب
قالت عيونُهُمُ التي انطفأت لتشعلنا عتاب .
لا تدفنونا بالنشيد ، وخلدونا بالصمود
إنّا نسمِّد ليلكم لبراعم الضوء الجديد

*

يا كفر قاسم !
من توابيت الضحايا ، سوف يعلو
عَلَمٌ يقول : قِفوا ! قِفوا ! . .
واستوقفوا !
لا لا . . تذلوا !
دَيْنُ العواصف أنت قد سدَّدته .
وانهار ظلُّ
يا كفر قاسم ! لن ننام . . وفيك مقبرة وليلُ
ووصية الدم لا تساوم
ووصية الدم تستغيث بأن نقاوم
أن نقاوم . .

السجين والقمر

في آخر الليل التقينا تحت قنطرة الجبال
منذ اعْتُقِلتُ ، وأنت أدرى بالسببْ
ألآنَّ أغنية تدافع عن عبير البرتقال
وعن التحدي والغضب ؟
دفنوا قرنفلة المغني بالرمال ؟

*

عَلمانِ نحن ، على تماثيل الغيوم الفستقيه
بالحب محكومان ، باللون المغني ؟
كلُّ الليالي السود تسقط في أغانينا ضحيهْ
والضوء يشرب ليل أحزاني وسجني
فتعال ، ما زالت لقصتنا بقيهْ !

*

سأحدث السَّجان ، حين يراك ،
عن حب قديمْ
فلربما وصل الحديث بنا إلى ثمن الأغاني
هذا أنا في القيد أمتشق النجوم
وهو الذي يقتات ، حراً من دخاني
ومن السلاسل والوجوم !

*

كانت هويتنا ملايينا من الأزهار ،
كنا في الشوارع مهرجان
الريح منزلنا ،
وصوت حبيبتي قُبَلٌ
وكُنْتَ الموعدا
لكنهم جاؤا من المدن القديمةِ
من أقاليم الدخان
كي يسحبوها من شراييني ،
فعانقت المدى .
والموت والميلاد في وطني المؤلَّهْ توأمان !

*

ستموت يوماً حين تغنينا الرسوم عن الشجر
وتباع في الأسواق أجنحة البلابلْ
وانا سأغرق في الزحام غداً ، وأحلم بالمطر
وأحدث السمراء عن طعم السلاسل
وأقول موعدنا القمر !

يوم

منذ الظهيرةِ ، كان وجه الأفق
مثل جبينك الوهميّ ، يغطس في الضبابِ
والظلُّ يجمد في الشوارع
مثل وقفتك الأخيرة عند بابي
وخطاك تعبر ، في مكانٍ ما ، كهمس في اغترابي
يا أيها اليوم المسافر في الرمال
أتكنُّ لي بعض المودّه ؟!

*

الظل يسند جبهتي
والأفق يشرب من نبيذ الشمس
ما شربت يدي ،

،

في ذات يوم ،
من ضفائر شعرك المشدودِ في جرح الغد
والظل يشربني كما شربت عيونُكِ
ضوءَ آخر موعد

يا أول الليل الذي اشتعلت يداه برتقال
اتكونُ لي بعض المودَّه ؟!

*

الباب يغلق مرة أُخرى ، ووجهك ليس يأتي
وأنا وأنت مسافران .. ولاجئان ، أنا وأنت
ماذا تُسر لك الكواكب ؟ .. انها من دون بيت ؟
لا تسمعيها !
كان فحم الليل يرسمها على تمثال صمتِ
وأنا وأنت ، أنا وأنت
شفتا حنين ، كان ملح الانتظار طعامنا
وصداك صوتي

والباب يغلق مرة أُخرى ، ووجهك ليس يأتي
يا ليل ! يا فرس الظلال ..
اتكونُ لي بعض المودَّه ؟!

لا تتركيني

وطني جبينك ، فاسمعيني
لا تتركيني
خلف السياج
كعشبةٍ بريةٍ ،
كيمامة مهجورةٍ
لا تتركيني
قمرا تعيسا
كوكبا متسولا بين الغصون
لا تتركيني
حرًا بحزني

واحبسيني
بيد تصبُّ الشمس
فوق كُوى سجوني
وتعوَّدي أن تحرقيني ،
إن كنت لي
شغفاً بأحجاري بزيتوني
بشبَّاكي . . بطيني !
وطني جبينك ، فاسمعيني
لا تتركيني !

إلى ضائعة

إذا مرت على وجهي
أناملُ شعرك المبتلّ بالرملِ
سأنهي لعبتي .. أنهي
وأمضي نحو منزلنا القديم
على خطى أهلي
وأهتف يا حجارة بيتنا ! صلّي !

*

إذا سقطتْ على عيني
سحابةُ دمعة كانت تلف عيونك السوداء
سأحمل كل ما في الأرض من حزنِ
صليباً يكبر الشهداء

عليه ، وتصغر الدنيا
ويسقي دمعُ عينيكِ
رمالَ قصائد الأطفال والشعراء !

*

إذا دقّت على بابي
يدُ الذكرى
سأحلم ليلة أخرى
بشارعنا القديم وعودة الأسرى
وأشرب مرة أخرى
بقايا ظلك الممتد في بدني
وأومن أن شبّاكاً
صغيراً كان في وطني
يناديني ويعرفني
ويحميني من الأمطار والزمن

أغنيات الى الوطن



١ ـ جبين وغضب

وطني ! يا أيها النسرُ الذي يغمد منقار اللهبْ
في عيوني ،
أين تاريخ العرب ؟
كل ما أملكه في حضرة الموت :
جبين وغضب .
وأنا أوصيت أن يزرع قلبي شجره
وجبيني منزلاً للقُبَّره .

وطني ، إنّا ولدنا وكبرنا بجراحك
وأكلنا شجر البلّوط . .
كي نشهد ميلاد صباحك

أيها النسر الذي يرسف في الأغلال من دون سبب
أيها الموت الخرافيُّ الذي كان يحب
لم يزل منقارك الأحمر في عينيَّ
سيفاً من لهب . .
وأنا لست جديراً بجناحك
كل ما أملكه في حضرة الموت :
جبين . . وغضب !

٢ـوطن

علّقوني على جدائل نخله
واشنقوني .. فلن أخون النخله !

هذه الأرض لي .. وكنت قديماً
أحلبُ النوق راضياً وموَلَّهْ

وطني ليس حزمة من حكايا
ليس ذكرى ، وليس حقل أهِلَّهْ

وطني ليس قصةً أو نشيداً
ليس ضوءاً على سوالف فُلَّهْ

وطني غضبة الغريب على الحزن
وطفلٌ يريد عيداً وقبلهْ

ورياح ضاقت بحجرة سجن
وعجوز يبكي بنيه .. وحقله

هذه الأرض جلد عظمي
وقلبي ..
فوق أعشابها يطير كنحلهْ

علِّقوني على جدائل نخلهْ
واشنقوني فلن أخون النخلهْ !

٣ـ لا مفر

مطر على أشجاره ويدي على
أحجاره ، والملح فوق شفاهي
من لي بشبّاك يقي جمر الهوى
من نسمة فوق الرصيف اللاهي ؟
وطني ! عيونك أم غيومٌ ذوّبت
أوتار قلبي في جراح إلـهِ !
هل تأخذنّ يدي ؟ فسبحان الذي
يحمي غريبا من مذلّة آهِ
ظلُّ الغريب على الغريب عباءةٌ
تحميه من لسع الأسى التيّاهِ

هــل تُلْقِيَنَّ على عــراء تســولي
أستــار قبـر صــار بعض مـلاهي
لأشـمَّ رائحــة الـذيـن تنـفَّســوا
مهدي .. وعطر البرتقال السـاهي
وطني ! أُفتِّش عنك فيك فلا أرى
إلاّ شقــوق يـديــك فـوق جبــاه
وطني أتفتــحُ في الخرائب كـوة ؟
فالملح ذاب على يدي وشفـاهي
مطر على الإسفلتِ ، يجرفني إلى
ميناءِ مـوتـانـا .. وجـرحُـكَ نـاه

٤ ـ رد الفعل

وطني ! يعلمني حديدُ سلاسلي
عنف النسور ، ورقة المتفائلِ
ما كنت أعرف أن تحت جلودنا
ميلاد عاصفةٍ .. وعرس جداولِ
سَدُّوا عليَّ النور في زنزانةٍ
فتوهجت في القلب . شمس مشاعل

كتبوا على الجدران رقم بطاقتي
فنما على الجدران . . مرج سنابلِ
رسموا على الجدران صورة قاتلي
فمحت ملامحها ظلال جدائلِ

وحفرت بالأسنان رسمك دامياً
وكتبتُ أُغنية العذاب الراحلِ
أغمدت في لحم الظلام هزيمتي
وغرزت في شعرِ الشموس أناملي
والفاتحون على سطوح منازلي
لم يفتحوا إلاّ وعود زلازلي !
لن يبصروا إلاّ توهُّج جبهتي
لن يسمعوا إلاّ صرير سلاسلي
فإذا احترقت على صليب عبادتي
أصبحت قديساً .. بِزَيِّ مُقاتلِ

٥ـالموعد

لم تـزل شـرفـةٌ .. هنـاك
فـي بـلادي ، مـلوحـة
ويـدٌ تـمـنـحُ الـمـلاك
أغـنـيـات ، وأجـنـحـة
الـعـصـافـيـر أم صـداك
أم مـواعـيـدُ مـفـرحـه
قـتلتـني .. لـكي أراك ؟!

*

وطـنـي ! حـبـنـا هـلاك
والأغـانـي مـجـرحـة

كلما جاءني نداك
هجر القلب مطرحهْ
وتلاقى على رباك
بالجروح المفتحهْ
لا تلمني ففي ثراك
أصبح الحب.. مذبحه!

٦ـ أحبك أكثر

تَكَبَّرْ .. تَكَبَّرْ !
فمهما يكن من جفاك
ستبقى ، بعيني ولحمي ، ملاك
وتبقى ، كما شاء لي حبنا أن أراك
نسيمك عنبر
وأرضك سُكّر
وإني أحبك .. أكثر

يداكَ خمائلْ
ولكنني لا أغني
ككل البلابلْ
فإن السلاسلْ

تعلمني أن أقاتلْ
أقاتلْ .. أقاتلْ
لأني أُحبك أكثر !

غنائي خناجر وردْ
وصمتي طفولة رعد
وزنبقة من دماء
فؤادي ،
وأنت الثرى والسماء
وقلبك أخضر .. !
وَجَزْرُ الهوى ، فيك ، مَدّ
فكيف ، إذن ، لا أحبك أكثر

وأنت ، كما شاء لي حبنا أن أراك :
نسيمك عنبر
وأرضك سكَّر
وقلبك أخضر .. !
وإنِّيَ طفل هواك
على حضنك الحلو
أنمو وأكبر !

٤

الأغنية والسلطان

لم تكن أكثر من وصفٍ .. لميلاد المطر
ومناديل من البرق الذي يشعل أسرار الشجرْ
فلماذا قاوموها ؟
حين قالت إنَّ شيئاً غير هذا الماء
يجري في النَّهَرْ ؟
وحصى الوادي تماثيل .. وأشياء أُخر
ولماذا عذبوها
حين قالت إن في الغابة أسراراً
وسكيناً على صدر القمر
ودم البلبل مهدور على ذاك الحجر ؟
ولماذا حبسوها

حين قالت : وطني حبل عرق
وعلى قنطرة الميدان إنسان يموت
وظلام يحترق ؟

*

غَضِبَ السلطان
والسلطان مخلوق خيالي
قال : إن العيب في المرآة ،
فليخلد إلى الصمت مغنيكم ، وعرشي
سوف [illegible]
من النيل إلى نهر الفرات !
أسجنوا هذي القصيده
غرفة التوقيف
خير من نشيد . . وجريدهْ

*

أخبِروا السلطان ،
أن الريح لا تجرحها ضربة سيفِ
وغيوم الصيف لا تسقي
على جدرانه أعشاب صيف
وملايين من الأشجار
تخضرُّ على راحة حرف !

*

غضب السلطان . . والسلطان في كل الصور
وعلى ظهر بطاقات البريد
كالمزامير نقيٌّ . وعلى جبهته وشم العبيد ،
ثم نادى . . وأمر :
أقتلوا هذي القصيدةْ
ساحة الإعدام ديوان الأناشيد العنيدةْ !

*

أخبِروا السلطان ،
أن البرق لا يُحْبَسُ في عُودِ ذُرَهْ
للأغاني منطق الشمس ، وتاريخ الجداول
ولها طبع الزلازل
والأغاني كجذور الشجرةْ
فإذا ماتت بأرضٍ ،
أزهرت في كل أرضْ

*

كانت الأغنية الزرقاء فكره
حاول السلطان أن يطمسها
فغدت ميلاد جمره !
كانت الأغنية الحمراء جمره
حاول السلطان أن يحبسها

فإننا بالنار ثوره!

كان صوت الدم مغموساً بلون ال[illegible]

وحصى الميدان أفواه جروح راعفة

وأنا أضحك مفتوناً بميلاد الرياح

عندما قاومني السلطانُ

أمسكت بمفتاح الصباح

وتلمست طريقي بقناديل الجراحْ

آه كم كنت [illegible]اً

عندما كرّست قلبيْ

لنداء العاصفهْ

فلتهبّ العاصفهْ !.

ولتهبّ العاصفهْ !.

العصافير تموت في الجليل

١٩٧٠

لوحة على الجدار

.. ونقول الآن أشياء كثيرةْ
عن غروب الشمس في الأرض الصغيرةْ
وعلى الحائط تبكي هيروشيما ..
ليلة تمضي ، ولا نأخذ من عالمنا
غير شكل الموت
في عزّ الظهيرةْ .

.. ولعينيكِ زمان آخر
ولجسمي قصة أُخرى
وفي الحلم نريد الياسمين ،
عندما وزّعنا العالمُ من قبل سنين

كانت الجدران تستعصي على الفهم
وكان الاسبرين
يُرجع الشبّاك والزيتون والحلم إلى أصحابه
كان الحنين
لعبة تلهيك عن فهم السنين .

.. ونقول الآن أشياء كثيرةْ
عن ذبول القمح في الأرض الصغيرةْ
وعلى الحائط تبكي هيروشيما
خنجراً يلمع كالحقِّ ، ولا نأخذ عن عالمنا
غير لون الموت
في عزّ الظهيرةْ ..

في اشتعال القُبلة الأولى
يذوب الحزن
والموت يغني
وأنا لا أحزن الآن
ولكني أُغني
أيُّ جسم لا يكون الآن صوتاً
أيُّ حزن

لا يضمّ الكرة الأرضية الآن ،
إلى صدر المغني ؟!
.. ونقول الآن أشياء كثيرهْ
عن عذاب العُشب في الأرض الصغيرهْ
وعلى الحائط تبكي هيروشيما ،
قبلة تُنسى ، ولا نأخذ من عالمنا
غير طعم الموت
في عزِّ الظهيرهْ ..

ألفُ نهر يركض الآن
وكلُّ الأقوياءْ
يلعبون النرد في المقهى ،
ولحمُ الشهداءْ
يختفي في الطين أحياناً
وأحياناً يُسلّي الشعراءْ !
وأنا يا امرأتي أمتصُّ من صمتك
في الليل .. حليب الكبرياء !

.. ونقول الآن أشياء كثيرهْ
عن ضياع اللون في الأرض الصغيرهْ

وعلى الحائط تبكي هيروشيما
طفلة ماتت . ولا نأخذ من عالمنا
غير صوت الموت
في عزّ الظهيرة . .

١

قاع المدينه

عشرون أغنيةً عن الموت المفاجىء ..
كلّ أغنية ..قبيلةْ
ونحب أسباب السقوط
على الشوارِع ..
كلّ نافذة .. خميلةْ .
والموتُ مكتملٌ ،
ففي ملء الهزيمة يا مدينتنا النبيلةْ ..
في كلٍ موت كان موتي
حالةً أُخرى ..
بديلاً كان للغة الهزيلةْ .

(والعائدون من الجنازة عانقوني

كسَّروا ضلعين
وانصرفوا
ومن عاداتهم أن يكذبوا
لكنَّني صدَّقتهم
وخرجتُ من جلدي
لأغرق في شوارعك القتيلهْ)

تتفجرين الآن برقوقاً
وأنفجر اعترافاً جارحاً بالحبّ :
لولا الموتُ
كنتِ حجارة سوداء
كنتِ يداً محنَّطة نحيلهْ
لا لون للجدران ،
لولا قطرةُ الدم
لا ملامح للدروب المستطيلهْ

(والعائدون من الجنازة عانقوني
كسَّروا ضلعين . .
وانصرفوا . .
ومن عاداتهم أن يسأموا
لكنهم كانوا يريدون البقاء . .

خرجتُ من جلدي
وقابلتُ الطفولهْ) .

قد صار للإسمنت نبضٌ فيكِ
صار لكل قنطرة جديلهْ
شكراً ـ صليبَ مدينتي
شكراً . .
لقد علّمتنا لون القرنفل والبطوله
يا جسرنا الممتدّ من فرح الطفولةِ ـ
يا صليبُ ـ إلى الكهولهْ
الآن ،
نكتشفُ المدينة فيكَ
آهِ . . يا مدينتنا الجميلهْ ! . .

مطر ناعم في خريف بعيد

مَطَرٌ ناعمٌ في خريف بعيدْ
والعصافير زرقاءُ .. زرقاءُ
والأرضُ عيد .
لا تقولي أنا غيمة في المطارْ
فأنا لا أريدْ
من بلادي التي سقطتْ من زجاج القطار
غير منديل أمي
وأسباب موت جديد .

مطر ناعم في خريف غريبْ
والشبابيك بيضاءُ .. بيضاءُ

والشمسُ بيّارة في المغيب
وأنا برتقالٌ سليب ،
فلماذا تفرّين من جَسَدي
وأنا لا أُريد
من بلاد السكاكين والعندليب
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد .

مطرٍ ناعم في خريف حزينْ
والمواعيد خضراءُ . . خضراءُ
والشمسُ طين
لا تقولي رأيناك في مصرع الياسمين
آهِ ، بائعةَ الموت والاسبرين
كان وجهي مساء
وموتي جَنين .
أنا لا أُريد
من بلادي التي نسيتْ لهجة الغائبين
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد

مطر ناعم في خريف بعيد
والعصافير زرقاءُ . . زرقاءُ
والأرضُ عيد .
والعصافير طارت إلى زمن لا يعود
وتريدين أن تعرفي وطني ؟
والذي بيننا ؟
ـ وطني لذَّةِ في القيودْ
ـ قُبلتي أرسلت في البريدْ
وأنا لا أُريد
من بلادي التي ذَبَحَتْني
غير منديل أُمي
وأسبابَ موت جديد . .

العصافير تموت في الجليل

- نلتقي بعد قليلْ
بعد عامٍ
بعد عامين
وجيلْ . .
ورَمَتْ في آلة التصوير
عشرين حديقةْ
وعصافيرَ الجليل .
ومضتْ تبحث ، خلف البحر ،
عن معنى جديد للحقيقةْ .
- وطني حبل غسيل
لمناديل الدم المسفوك

في كل دقيقهْ
وتمددتُ على الشاطىء
رملاً .. ونخيلْ .

هِيَ لا تعرف ـ
يا ريتا ! وهبناكِ أنا والموتُ
سِرَّ الفرح الذابل في باب الجماركْ
وتجدَّدنا ، أنا والموت ،
في [illegible] الأولى
وفي شبّاك دارك .
وأنا والموت وجهان ـ
لماذا تهربين الآن من وجهي
لماذا تهربين ؟
ولماذا تهربين الآن ممّا
يجعل القمح رموشَ الأرض ، ممّا
يجعل البركان وجهاً آخراً للياسمين ؟ ..
ولماذا تهربينْ ؟ ..

كان لا يتعبني في الليل إلاّ صمتها
حين يمتدّ أمام الباب

كالشارع .. كالحيِّ القديمْ
ليكن ما شئت - يا ريتا -
يكون الصمتُ فأساً
أو براويز نجوم
أو مناخاً لمخاض الشجرهْ .
إنني أرتشف القُبلَة
من حدِّ السكاكين ،

تعالي ننتمي للمجزرهْ ! ..
سقطتْ كالوَرَق الزائد
أسرابُ العصافير
بآبار الزمنْ ..
وأنا أنتشل الأجنحة الزرقاء
يا ريتا ،
أنا شاهدةُ القبر الذي يكبرُ
يا ريتا ،
أنا مَنْ تحفر الأغلالُ
في جلديَ
شكلاً للوطنْ ...

آه . . عبدالله

قال عبدُ الله للجلّاد :
جسمي كلماتٌ [illegible]
ضاعَ فيه الرعدُ
والبرقُ على السكّين ،
والوالي قويٌّ .
هكذا الدنيا . .
وأنتَ الآن يا جلّادُ أقوى
وُلد اللهُ . .
وكان الشرطيُّ ! . .

عادةً ، لا يخرجُ الموتى إلى النزهةِ

لكنَّ صديقي
كان مفتوناً بها .
كلَّ مساءْ
يتدلّى جسمه . كالغصن . من كل الشقوق
وأنا أفتح شباكي
لكي يدخل عبد الله
كي يجمعني بالأنبياء ! . .

كان عبدُ الله حقلاً وظهيرةْ
يُحسن العزف على الموّال ،
والموالُ يمتدُّ إلى بغداد شرقاً
وإلى الشام شمالاً
وينادي في الجزيرةْ .
فأجاؤهُ مرة يلثم في الموال
سيفاً خشبياً . . وضفيرةْ . .
حين قالوا : إنَّ هذا اللحن لُغمٌ
في الأساطير التي نعبدها ـ
قال عبدُ الله :
جسمي كلماتٌ . . ودويُّ
هكذا الدنيا .

يركضُ الموَّال في أعقاب ليلى
يقفز الموَّال من دائرة الظل الصغيرةْ
ثم يمتدُّ إلى صنعاء شرقاً
وإلى حمص شمالاً
وينادي في الجزيرةْ :
أين ليلى ؟
كان عبدُ الله يمتدُّ مع الموَّال
والموَّال ممنوعٌ .
يقول السيِّد الجلّاد :
إنَّ البُعْد في الموَّال لغمٌ
في الأساطير التي نعبدها
.. وتدلّى رأس عبد الله
في عزِّ الظهيرةْ .

آه ، عبدَ الله
والأمسيةُ الآن بلا موتى
وأنت الآن حلٌّ للحلول
آه .. عبدَ الله
والأسماءُ أجسادٌ

١

وأنت الآن يا جلّاد أقوى
وُلد اللّهُ
وكان الشرطيُّ . . .

عادةً ، لا يعملُ الموتى ،
ولكنَّ صديقي
كان من عادته أن يضع الأقمار
في الطينِ ،
وأن يبذر في الأرض سماءْ .
وأنا أفتح شباكي
لكي يدخل عبدُ الله حرّاً وطليقاً
كالردى والكبرياء . .

كان عبدُ الله حَقْلاً
لم يرثْ عن جدِّه إلّا الظهيرهْ
وانكماشَ الظلِّ والسُمرةَ .
عبدُ الله لا يعرف إلّا
لغة الموّالِ ، والموّالُ مفتونٌ بليلى
أين ليلى ؟
لم يجدها في الظهيرهْ .

رموز

وفصول

آه .. عبدَ الله ،

لا لون ولا شكل لأزهارِ الأفول

آه .. عبدَ الله ،

لا أذكر بعد الآن ما كنتَ تقول

آه .. عبدَ الله ،

لا تسمعك الأرض

ولا ليلى ..

ولا ظلُّ النخيل .

وُلد اللّهْ

وكانت شرطةُ الوالي

ومليون قتيل ! ..

مدينتُنا .. حوصرتْ في الظهيرهْ
مدينتُنا اكتشفتْ وجهها في الحصارْ
لقد كذب اللونُ ،
لا شأن لي يا أسيرهْ
بشمسٍ تُلمّعُ أوسمة الفاتحين
وأحذية الراقصين .
ولا شأن لي يا شوارع إلاّ
بأرقام موتاكِ .
فاحترقي كالظهيرهْ ..

كأنكِ طالعةٌ من كتاب المراثي .

ثقوبٌ من الضوء في وجهك الساحليّ
تُعيد جبيني اليّ
وتملأني بالحماس القديم الى أبويَّ .

. . وما كنتُ أومنُ إلاّ
بما يجعل القلب مقهى وسوقْ .
ولكنني خارج من مسامير هذا الصليب
لأبحث عن مصدر آخر للبروق
وشكل جديد لوجه الحبيب .

رأيتُ الشوارع تقتل أسماءها
وترتيبها .
وأنتِ تظلّين في الشرفة النازلهْ
إلى القاع ،
عينين من دون وجه
ولكنَّ صوتك يخترق اللوحة الذابلهْ

مدينتُنا حوصرت في الظهيرهْ
مدينتُنا اكتشفت وجهها في الحصار .

١

ضباب على المرآة

نعرفُ الآن جميع الأمكنهْ
نقتفي آثار موتانا
ولا نسمعهم .
ونزيح الأزمنهْ
عن سرير الليلة الأولى ، وآهْ .

في حصار الدم والشمسِ
يصير الانتظارْ
لغةً مهزومةً . .
أمّي تناديني ، ولا أبصرها تحت الغبار
ويموت الماءُ في الغيم ، وآه . . .

كنتُ في المستقبل الضاحكِ
جنديين ،
صرتُ الآن في الماضي وحيد
كلِّ موتٍ فيه وجهي
معطفٌ فوق شهيد
وغطاءٌ للتوابيت ، وآه . . .

لستُ جنديّاً
كما يُطلب منّي ،
فسلاحي كلمةْ
والتي تطلبها نفسي
أعارتْ نفسها للملحمةْ
والحروبُ انتشرت كالرمل والشمس ، وآه . .

بيتُكِ اليومَ له عشرُ نوافذْ
وأنا أبحثُ عن باب
ولا باب لبيتك
والرياح ازدحمتْ مثل الصداقات التي
تكثر في موسم موتك
وأنا أبحث عن بابٍ ، وآه . . .

لم أجد جسمك في القاموس
يا مَنْ تأخذينْ
صيغة الأحزان من طروادة الأولى
ولا تعترفين
بأغاني إرميا الثاني ، وآه . . .

عندما ألقوا عليّ القبض
كان الشهداء
يقرأون الوطن الضائع في أجسامهم
شمساً وماء
ويغنّون لجنديٍّ ، وآه . . .

نعرف الآن جميع الكلمات
والشعارات التي نحملها :
شمسا أقوى من الليل
وكل الشهداء
ينبتون اليوم تفاحاً ، وأعلاماً ، وماء
ويجيئون . .
يجيئون . .
يجيئون . .
وآه . . .

في كُلِّ أمسية ، نخبّىء في أثينا
قمراً وأغنيةً . ونؤوي ياسمينا
قالت لنا الشرفات :
لا منديله يأتي
ولا أشواقه تأتي
ولا الطرقات تحترف الحنينا .
نامي ! هنا البوليس منتشرٌ
هنا البوليس ، كالزيتون ، منتشرٌ
طليقاً في أثينا

في الحلم ، ينضمُّ الخيالُ إليك

تبتعدين عني .
وتخاصمين الأرض
تشتعلين كالشفق المغنّي
ويدايَ في الأغلال .
« سنتوري » بعيد مثل جسمك
في مواويل المغنّي . .
ريتا . . أحبّيني ! وموتي في أثينا
مثل عطر الياسمين
لتموت أشواق السجين . .

الحبُّ ممنوعٌ . .
هنا الشرطيُّ والقدر العتيقْ .
تتكسّر الأصنام إن أعلنتَ حبك
للعيون السود .
قطّاعُ الطريق
يتربصون بكل عاشقة
أثينا . . يا أثينا . . أين مولاتي ؟
ـ على السكّين ترقص
جسمها أرض قديمةْ
ولحزنها وجهان :

وجه يابس يرتدُّ للماضي
ووجه غاص في ليل الجريمهْ

والحبُّ ممنوع ،
هنا الشرطيُّ . واليونان عاشقة يتيمهْ
في الحلم ، ينضمُّ الخيال إليك ،
يرتدُّ المغنّي
عن كل نافذةٍ . ويرتفع الأصيلْ
عن جسمك المحروق بالأغلالِ
والشهواتِ والزمنِ البخيل .
نامي على حلمي . مذاقُك لاذعٌ .
عيناكِ ضائعتان في صمتي
وجسمكِ حافل بالصيف والموت الجميل .
في آخرِ الدنيا أضمُّك
حين تبتعدين ملء المستحيل .
ريتا .. أحبّيني ! ... وموتي في أثينا
مثل عطرِ الياسمين
لتموت أشواق السجين ! ..

منفاي : فلّاحون معتقلون في لُغة الكآبه
منفاي : سجّانون منفيّون في صوتي ..

وفي نغم الربابه
منفاي : أعيادٌ محنُطة .. وشمس في الكتابهْ
منفاي: عاشقة تعلِّق ثوب عاشقها
على ذيل السحابهْ
منفاي : كل خرائط الدنيا
وخاتمة الكآبهْ

في الحلم ، شفَّافٌ ذراعكِ
تحته شمس عتيقه
لا لون للموتى ، ولكني أراهم
مثل أشجار الحديقهْ
يتنازعون عليك ،
ضمّيهم بأذرعة الأساطير التي وضعت حقيقهْ
لأبرِّر المنفى، وأسند جبهتي
وأتابع البحث الطويل
عن سرِّ أجدادي ، وأوّل جُثةٍ
كسرتْ حدود المستحيل .
في الحلم شفَّافٌ ذراعك
تحته شمس عتيقهْ
ونسيتُ نفسي في خطى الإيقاع

ثلثي قابع في السجن
والثلثان في عشب الحديقهْ
ريتا .. أحبّيني . وموتي في أثينا
مثل عطر الياسمين
لتموت أشواق السجين ..

الحزن صار هوية اليونان ،
واليونانُ تبحثُ عن طفولتها
ولا تجد السنونهْ
تنهار أعمدة الهياكل .
أجمل الفرسان ينتحرون .
والعشّاق يفترقون
في أوج الأنوثة والرجولهْ .
دعني وحزني أيها الشرطيّ ،
منتصف الطريق محطمي ،
وحبيبتي أحلى قتيلهْ .
ماذا تقول ؟
تريد حبسها ؟
لماذا ؟
كي تقدّمها لمائدة الخليفهْ ؟

من قال إنك سيدي ؟
من قال إن الحبَّ ممنوع ؟
وإنَّ الآلهةْ
في البرلمانْ ؟
وإن رقصتنا العنيفةْ
خطرٌ على ساعات راحتك القليلةْ ؟!
الحزن صار هوية اليونان
واليونان تبحث عن طفولتها
ولا تجد الطفولةْ .
حتى الكآبة صادرتها شرطةُ اليونان
حتى دمعة العين الكحيلةْ .

في الحلم ،تتَّسعُ العيون السودُ
ترتجف السلاسلُ . .
يستقيل الليلُ . .
تنطلق القصيدةْ
بخيالها الأرضيِّ ،
يدفعها الخيال إلى الأمام . . إلى الأمام
بعُنف أجنحة العقيدةْ
وأراكِ تبتعدين عني

آه .. تقتربين مني
نحو آلهة جديدهْ .
ويداي في الأغلال ، لكني
أداعب دائماً أوتار سنتوري البعيدهْ
وأثير جسمك ..
تولد اليونان ..
تنتشر الأغاني .
يسترجع الزيتون خضرته ..
يمر البرق في وطني علانيةً
ويكتشف الطفولة عاشقانِ ..
ريتا .. أحبّيني ! وموتي في أنينا
مثل عطر الياسمين
لتموت أحزان السجين ..

غريب في مدينة بعيدة

عندما كنتُ صغيراً
وجميلاً
كانت الوردة داري
والينابيع بحاري
صارت الوردةُ جرحاً
والينابيع ظمأ .
ـ هل تغيَّرتَ كثيراً ؟
ـ ما تغيَّرتُ كثيراً
عندما نرجع كالريح
إلى منزلنا

حدِّقي في جبهتي

تجدي الورد نخيلا

والينابيع عرق

تجديني مثلما كنتُ

صغيراً

وجميلا

١

على غلاف اسطوانة

ينامُ المغنّي على أسطوانهْ
يخبىء أقماره في خزانهْ
وينسى زمانهُ
وينسى مكانهْ
ويحلم خارج أرض اللغات

وكن مغنّيك يحترف الابتسامْ
ويؤمن بالسيف
إن كان غمد السيوف عقيدهْ .
ويحتقر الحبّ .
إن كان مسألةً في قصيدهْ

وكان ربابة كل الخيامْ .

أراد مرايا جديدهْ
فلم يجد الصورة المقنعهْ
أراد ميادين واسعةً
فتاهتْ بها الزوبعهْ .
وحنَّ إلى قيده
كي يفرَّ من الظلِ والقبّعهْ

دعيه يقل ما لديه
من الصمت والتجربهْ
لقد صدئتْ شمسه المتعبهْ
ونام على أسطوانهْ
وخبأ أقماره في خزانهْ .

سقوط القمر

في البال أغنيةٌ
يا أُخت ،
عن بلدي ،

نامي
لأكتبها . .
رأيتُ جسمكِ
محمولاً على الزردِ

وكان يرشح ألواناً
فقلتُ لهم :
جسمي هناك

فسدُّوا ساحة البلدِ

كنّا صغيرين ،
والأشجار عاليةً
وكنتِ أجمل من أمّي
ومن بلدي . . .

من أين جاءوا ؟
وكرمُ اللوز سيَّجه
أهلي وأهلك
بالأشواك والكبدِ! . .

إنّا نفكّر بالدنيا ،
على عجلٍ ،
فلا نرى أحداً ،
يبكي على أحدِ .

وكان جسمكِ مسبيّاً
وكان فمي
يلهو بقطرة شهدِ

فوق وحل يدي ! . . .

في البال أغنيةٌ
يا أخت
عن بلدي ،
نامي . . لأحفرها
وشماً على جسدي .

نعرفُ القصة من أوَّلها
وصلاح الدين في سوق الشعارات ،
وخالدْ
بيع في النادي الـمسائيِّ
بخلخال امرأةْ !
والذي يعرف .. يشقى .

ـ نحن أحجارُ التماثيل
وأخشاب المقاعد
والشفاه المطفأه ـ

أوقفي نبضكِ يا سيِّدتي !

. يصغر الميدان من طلعته . .
. أسكتوا . .
. باسمنا يستوقف الشمس على حدِّ الرماح
. صفِّقوا . .
. صفقوا
إن تطفئوا تصفيقكم
يرتطم المرّيخ بالأرض
ولا يبقى أحد . .

ـ نحن لا نسمع شيئاً
قد سمعنا ألف عامْ
وتنازلنا عن الأرصفة السمراء
كي نغرق في هذا الزحام .
ونريد الآن أن نرتاحَ
من مهنتنا الأولى ،
نريد الآن أن تصغوا لنا
فدعونا نتكلَّم .

نضع الليلةَ حدّاً للوصايهْ .

دمنا يرسم في خارطة الأرض الصريعةْ
كلِ أسماء الذين اكتشفوا
درب البدايةْ
كي يفرّوا من توابيت الفجيعةْ .
فدعونا نتكلم
ودعوا حنجرة الأموات فينا
تتكلّم . .

١

المزمور الحادي والخمسون بعد المائه

أورْشليمُ ! التي ابتعدتْ عن شفاهي . . .
المسافات أقربْ .
بيننا شارعان ، وظَهْرُ إلهِ
وأنا فيك كوكبْ
كائنٌ فيكِ. طوبى لجسمي المعذَّب ! .
يسقط البُعْدُ في ليل بابل
وانتمائي إلى خضرة الموت ـ حقّ
وبكاء الشبابيك ـ حق .
صوتُ حريّتي قادمٌ من صليل السلاسل
وصليبي يُقاتل ! .

أورْشليم ! التي عصرت كل أسمائها

في دمي ..
خدعتني اللغات التي خدعتني
لن أُسمّيكِ
إني أذوب ، وإنَّ المسافات أقربُ
وإمامُ المغنّين صُلِّبَ سلاحاً ليقتلني
في زمان الحنين المعلّب ،
والمزامير صارت حجارهْ
رجموني بها
وأعادوا اغتيالي
قرب بيّارة البرتقالِ . . .

أورشليم ! التي أخذتْ شكل زيتونةٍ
داميهْ . .
صار جلدي حذاء
للأساطير والأنبياء
بابلي أنت . طوبى لمن جاور الليلة الآتيهْ
وأنا فيكِ أقرب
من بكاء الشبابيك . طوبى
لإمام المغنّين في الليلة الماضيهْ

١

وإمامُ المغنّين كان . وجسمي كائن

وأنا فيك كوكب .

يسقطُ البُعْدُ في ليل بابل

وصليبي يقاتل . .

هلّلويا

هلّويا . . .

هلّوي . . .

يأخذُ الموتُ على جسمكِ
شكلَ المغفرةْ ،
وبودّي لو أموت
داخل اللذة يا تفاحتي
يا امرأتي المنكسرةْ . .
وبودّي لو أموت
خارجَ العالم . . في زوبعة مندثرةْ

(للتي أعشقها وجهان :
وجه خارج الكون
ووجه داخل سَدُوم العتيقةْ
وأنا بينهما

أبحث عن وجه الحقيقةْ)

صمتُ عينيك يناديني
إلى سكّين نشوهْ
وأنا في أوّل العمر . .
رأيتُ الصمتَ
والموتَ الذي يشرب قهوهْ
وعرفتُ الداءَ
والميناءَ
لكنكِ . . حلوهْ ! . .

. . وأنا أنتشر الآن على جسمك
كالقمح ، كأسباب بقائي ورحيلي
وأنا أعرف أن الأرض أمي
وعلى جسمك تمضي شهوتي بعد قليلِ
وأنا أعرف أنَّ الحب شيء
والذي يجمعنا ، الليلة ، شيء
وكلانا كافر بالمستحيلِ .
وكلانا يشتهي جسماً بعيدا
وكلانا يقتل الآخر خلف النافذهْ !

(التي يطلبها جسمي
جميلهْ
كالتقاء الحلم باليقظة
كالشمس التي تمضي إلى البحرِ
بزيّ البرتقالهْ . .
والتي يطلبها جسمي
جميلهْ
كالتقاء اليوم بالأمس
وكالشمس التي يأتي إليها البحرُ
من تحت الغلاله)

لم نقل شيئاً عن الحبّ
الذي يزداد موتاً
لم نقل شيئاً
ولكنّا نموت الآن
موسيقى وصمتاً
ولماذا ؟
وكلانا ذابلٌ كالذكريات الآن
لا يسأل : من أنت ؟
ومن أين أتيتِ ؟

وكلانا كان في حطّين

والأيامُ تعتاد على أن تجد الأحياء

موتى . .

أين أزهاري ؟

أُريد الآن أن يمتلىء البيتُ زنابقْ

أين أشعاري ؟

أريد الآن موسيقى السكاكين التي تقتل

كي يولد عاشق

وأُريد الآن أن أنساكِ

كي يبتعد الموت قليلاً

فاحذري الموت الذي

لا يشبه الموت الذي

فاجأ أُمّي . .

(التي يطلبها جسمي

لها وجهان :

وجه خارج الكون

ووجه داخل سُدُوم العتيقهْ

وأنا بينهما

أبحث عن وجه الحقيقهْ) .

.. وحين أُحدِّق فيك
أرى مُدناً ضائعهْ
أرى زمناً قرمزياً
أرى سبب الموت والكبرياء
أرى لغة لم تسجَّل
وآلهة تترجل
أمام المفاجأة الرائعهْ .

.. وتنتشرين أمامي
صفوفاً من الكائنات التي لا تُسمى
وما وطني غير هذي العيون التي

تجعل الأرضَ جسما . .
وأسهر فيك على خنجر
واقفٍ في جبين الطفولهْ
هو الموت مفتتح الليلة الحلوة القادمهْ
وأنتِ جميلهْ
كعصفورة نادمهْ. . .

. . وحين أحدِّقُ فيكِ
أرى كربلاء
وأثيوبيا
والطفوله
وأقرأ لائحة الأنبياء
وسفر الرضا والرذيلهْ . .
أرى الأرض تلعب
فوق رمال السماء
أرى سبباً لاختطاف المساء
من البحر
والشرفات البخيلهْ! . .

المطر الأول

في رذاذ المطر الناعم
كانت شفتاها
وردة تنمو على جلدي ،
وكانت مقلتاها
أُفقاً يمتدّ من أمسي
إلى مستقبلي . .
كانت الحلوة لي
كانت الحلوة تعويضاً عن القبر
الذي ضمّ إلها
وأنا جئتُ إليها
من وميض المنجل
والأهازيج التي تطلع من لحم أبي

ناراً .. وآها ..

(كان لي في المطر الأوّلِ
يا ذات العيون السود
بستان و دار
كان لي معطف صوف
وبذار
كان لي في بابك الضائع
ليل ونهار ..)

سألتْني عن مواعيد كتبناها
على دفتر طينْ
عن مناخ البلد النائي
وجسر النازحين
وعن الأرض التي تحملها
في الأسبرين ..
سألتني عن مرايا انكسرتْ
قبل سنين ..

عندما ودّعتها
في مدخل الميناء

كانت شفتاها

قبلةً

تحفر في جلدي صليب الياسمين . . .

لا جدران للزنزانة

كعادتها ،
أنقذتني من الموت زنزانتي
ومن صدأ الفكر ، والاحتيال
على فكرة منهكةْ .
وجدتُ على سقفها وجه حريّتي
وبيّارة البرتقال
وأسماءَ مَنْ فقدوا أمس أسماءهم
على تربةَ المعركةْ

سأعترف الآن ،
ما أجمل الاعترافْ
فلا تحزني أنت يوم الأحد
وقولي لأهل البلد :

سنرجىء حفل الزفافْ
إلى مطلع السنة القادمهْ

تفر العصافير من قبضتي
ويبتعد النجم عنّي .. والياسمين
وتنقص أعداد من يرقصون
ويذبل صوتك قبل الأوان
ولكنّ زنزانتي
كعادتها ،
أنقذتني من الموت
زنزانتي ..
وجدت على سقفها وجه حريّتي
فشعّ جبينك فوق الجدار ..

الدانوب ليس أزرق

هي لا تعرفه :
كان الزمانْ
واقفاً كالنهر في جثّته
قالت له :
عندي مكان .

كان ذاك اليومُ صيفيّاً
وكان العاشقان
يستردان من الرُّزنامة الأولى
حساب الشمس ،
كان الأمس
والحاضر كان . .

هي لا تعرفه .
قالوا لها : يأتي مع النهر

الذي يأتي مع الفجر
وكان التوأمان
ضفتي نهر .. يسيران معا
أو يقفان
وهما .. لا يعرفان !..

كان ذاك اليوم حقلاً
من ذبول وحنان .
وهما يقتربان
ويموتان من الموت
ولا يلتقيان ..

هي لا تعرفه
لكنها تشربه كالماء في رملِ الزمان .
بعد عامين من الهجرةِ
في الهجرةِ
ماتا
في انفجار القُبلة الأولى
وفي جُثّته، كان الزمان
واقفاً كالنهر في جُثّته
قالت له :
عندي مكان ...

ويسدل الستار

عندما ينطفىء التصفيقُ في القاعةِ
والظلُّ يميلْ
نحو صدري . .
يسقط المكياج عن وجه الجليل
ولهذا . . أستقيل ! . .

أجدُ الليلة نفسي
عارياً
كالمذبحهْ
كان تمثيلي بعيداً عن مواويل أبي
كان تمثيلي غريباً عن عصافير الجليل
وذراعي مروحه

ولهذا .. أستقيل .

لقّنوني كلّ ما يطلبه المخرج
من رقص على إيقاع أكذوبته
وتعبتُ الآن ،
علّقتُ أساطيري على حبلِ غسيل
ولهذا .. أستقيل .

باسمكم ، أعترف الآن بان المسرحيةْ
كُتبتْ للتسليةْ
رضي النقّادُ لكنّ عيون المجدليّةْ
حَفَرَتْ في جَسَدي
شكل الجليل
ولهذا .. أستقيل .

يا دمي ..
فرشاتُهم ترسم لوحات عن اللُّد ،
وأنت الحبرُ ،
ما يافا سوى جلد طبول
وعظامي كالعصا في قبضة المخرج

لكنني أقول :
أتقن الدور غداً يا سيدي
ولهذا .. أستقيل .

سيداتي ..
آنساتي ..
سادتي !
سلّيتكم عشرين عامْ
آن لي أن أرحل اليوم
وأن أهرب من هذا الزحامْ
وأغنّي في الجليل
للعصافير التي تسكن عشَّ المستحيل
ولهذا .. أستقيل
أستقيل
أستقيل ..

حبيبتي تنهض من نومها

١٩٧٠

حبيبتي تنهض من نومها

طفولتي تأخذ ، في كفّها ،
زينتها من كل شيء . .
ولا . .
تنمو مع الريح سوى الذاكره
لو أحصتِ الغيم الذي كدَّسوا
على إطار الصورة الفاتره
لكان أسبوعاً من الكبرياء
وكل عام قبله ساقط
ومستعار من إناء المساء . .
يومَ تدحرجتُ على كل باب
مستسلماً للعالم المشغول

أصابعي تزفر : لا تقذفوا
فتات يومي للطريق الطويل
بطاقةُ التشريد في قبضتي
زيتونة سوداء ،
وهذا الوطن
مقصلة أعبدُ سكّينها
إن تذبحوني ، لا يقول الزمن
رأيتكم !
وكالة الغوث لا
تسأل عن تاريخ موتي ، ولا
تغيِّر الغابة زيتونها ،
لا تُسقط الأشهر تشرينها ! .

*

طفولتي تأخذ ، في كفها ،
زينتها من أي يوم ،
ولا . .
تنمو مع الريح سوى الذاكرهْ
وإنني أذكر مرآتها
في أول الأيام ، حين اكتسى
جبينها بالبرق ، لكنني

أضطهد الذكرى ، لأن المسا
يضطهد القلب على بابهِ . .
أصابعي أهديتُها كلها
إلى شعاع ضاع في نومها
وعندما تخرج من حلمها
حبيبتي . . أعرف درب النهار
أشق درب النهار .

*

كلُّ نساء اللغة الصافيةْ
حبيبتي . .
حين يجيء الربيع
الوردُ منفيٌّ على صدرها
من كل حوض ، حالماً بالرجوع
ولم أزل في جسمها ضائعاً
كنكهة الأرض التي لا تضيع
كل نساء اللغة الداميةْ
حبيبتي . .
أقمارها في السماء
والورد محروق على صدرها

بشهوة الموت ، لأن المساء
عصفورة في معطف الفاتحين
ولم أزل في ذهنها غائباً
يحضرها في كل موت وحين . .

كل نساء اللغة النائمهْ
حبيبتي . .
تحلمُ أنَّ النهار
على رصيف الليلة الآتيهْ
يشرب ظل الليل والانكسار
من شَرَف الجنديِّ والزانيهْ
تحلم أن المارد المستعار
من نومنا ، أكذوبة فانيهْ
وأن زنزانتنا ، لا جدار
لها ، وان الحلم طين ونار

كل نساء اللغة الضائعهْ
حبيبتي . .
فتَّشتُ عنها العيون
فلم أجدها .

لم أجد في الشجر

خضرتها . .

فتّشتُ عنها السجون

فلم أجد إلاّ فتات القمر

فتّشتُ جلدي . .

لم أجد نبضها

ولم أجدها في هدير السكون

ولم أجدها في لغات البشر

*

حبيبةَ كل الزنابق والمفرداتْ

لماذا تموتين قبلي

بعيداً عن الموت والذكريات

وعن دار أهلي ؟ . .

لماذا تموتين قبل طلاق النهار

من الليل . .

قبل سقوط الجدار

لماذا ؟

لكل مناسبة لفظةٌ ،

ولكن موتك كان مفاجأة للكلام

وكان مكافأة للمنافي
وجائزة للظلام
فمن أين اكتشف اللفظة اللائقةْ
بزنبقة الصاعقةْ ؟

سأستحلفُ الشمس أن تترجَّل
لتشربني عن كَثَبْ . .
وتفتح أسرارها . .
سأستحلف الليل أن يتنصل
من الخنجر الملتهب
ويكشف أوراقه للمغنّي .

*

تفاصيل تلك الدقائق
كانت . .
عناوين موت معادْ
وأسماء تلك الشوارع
كانت . .
وصايا نبي يُباد .
ولكنني جئت من طرف السنة الماضيه
بلا تذكره . .

ألا تفتحين شبابيك يوم جديد
بعيد عن المقبرةْ ؟!.

لأبطالنا ، أنشد المنشدون
وكانوا حجاره
وكانوا يريدون أن يرصفوا
بلاطاً لساحاتنا
وصمتاً ، لأن السكوت طهارةْ
إذا ازدحم المنشدون

ويبدو لنا حين نطرق باب الحبيب
بأن الجدار وترْ
ويبدو لنا أنه لن يغيب
سوى ليلة الموت ، عنّا
ولكننا ننتظر
ألا تقفزين من الأبجديهْ
إلينا ، ألا تقفزين ؟
فبعد ليالِيّ المطر
ستشرع أُمْتَنــافي البكاء
على بطل القادسيةْ ! .

أُسجِّلُ دقات قلبك فوق الجفون
وأعصب بالريح حلقي
إذا كثر النائمون . . .
ومن ليل كلِّ السجون
أصيح :
أعيدوا لنا بيتها
أعيدوا لنا صمتها
أعيدوا لنا موتها . .

*

عيناك ، يا معبودتي ، هجرةٌ
بين ليالي المجد والانكسار .
شرَّدني رمشُكِ في لحظة
ثم دعاني لاكتشاف النهار .
عشرون سكِّيناً على رقبتي
ولم تزل حقيقتي تائهةْ
وجئت يا معبودتي
كلُّ حلمْ
يسألني عن عودة الآلهةْ
ـ ترى ! رأيت الشمس
في ذات يوم ؟

ـ رأيتها ذابلة .. تافهةْ

في عَربات السبي كنا ، ولم

تمطر علينا الشمس إلاّ النعاس

كان حبيبي طيباً ، عندما

ودعني ..

كانت أغانينا حواس .

عيناك ، يا معبودتي ، منفى

نفيتُ أحلامي وأعيادي

حين التقينا ، فيهما ! .

من يشتري تاريخ أجدادي ؟

من يشتري نار الجروح التي

تصهر أصفادي ؟

من يشتري الحب الذي بيننا ؟

من يشتري موعدنا الآتي ؟

من يشتري صوتي ومرآتي ؟

من يشتري تاريخ أجدادي

بيوم حـريَّـةْ ؟ ..

ـ معبودتي ! ماذا يقول الصدى

ماذا تقول الريح للوادي ؟

ـ كن طيِّباً ،
كن مُشرقاً كالردى
وكن جديراً بالجناح الذي
يحمل أولادي . .
ما لون عينيها ؟
يقول المساء :
أخضرُ مــرتـاحُ
على خريف غامض . . كالغناء
والرمشُ مفتاحُ
لما يريد القلب أن يسمعه .
كانت أغانينا سجالاً هناك
على جدار النار والزوبعهْ
ـ هل التقينا في جميع الفصول ؟
ـ كنا صغيرين . وكان الذبول
سيُــدنــا
ـ هل نحن عشب الحقول
أم نحن وجهان على الأمسِ ؟
ـ الشمس كانت تحتسي ظِلَّنــا
ولم نغادر قبضة الشمسِ
ـ كيف اعترفنا بالصليب الذي

يحملنا في ساحة النور

ـ لم نتكلم .

نحن لم نعترف

إلّا بألفاظ المسامير !.

عيناك ، يا معبودتي ، عودة

من موتنا الضائع تحت الحصار

كأنني ألقاك هذا المساء

للمرة الأولى . .

وما بيننا

إلا بدايات . ونهر الدماء

كأنه لم يغسل الجيلا .

أسطورتي تسقط من قبضتي

حجارة تخدش وجه الموت

والزنبق اليابس في جبهتي

يعرف جو البيت . .

ـ من يرقص الليلة في المهرجان

ـ أطفالنا الآتون

ـ من يذكر النسيان ؟

ـ أطفالنا الآتون

ـ من يضفر الأحزان

إكليل ورد في جبين الزمان ؟
ـ أطفالنا الآتون
ـ من يضع السكَّر في الألوان
ـ أطفالنا الآتون
ـ ونحن ، يا معبودتي ،
أي دور
نأخذه في فرحة المهرجان
ـ نموت مسرورين
في ضوء موسيقى
أطفالنا الآتين ! . .

أنا آت الى ظل عينيك

أنا آتٍ إلى ظلِّ عينيك . . آتٍ
من خيام الزمان البعيد ، ومن لمعان السلاسلْ
أنتِ كل النساء اللواتي
مات أزواجهن . وكل الثواكل
أنتِ
أنتِ العيون التي فرَّ منها الصباح
حين صارت أغاني البلابل
ورقاً يابساً في مهبِّ الرياح !

أنا آتٍ إلى ظلِّ عينيك . . آتِ
من جلود تحاك السجاجيد منها . . ومن حدقاتِ

عُلِّقَت فوق جيد الأميرة عقداً .
أنتِ بيتي ومنفاي .. أنتِ
أنت أرضي التي دمَّرتني
أنت أرضي التي حوَّلتني سماء ..
وأنتِ ..
كل ما قيل عنك ارتجال وكذبهْ !

لستِ سمراءَ ،
لستِ غزالاً ،
ولست الندى والنبيذ ،
ولستِ
كوكباً طالعاً من كتاب الأغاني القديمهْ
عندما ارتجَّ صوت المغنين .. كنتِ
لغة الدم حين تصير الشوارع غابهْ
وتصير العيون زجاجاً
ويصير الحنين جريمهْ .
لا تموتي على شُرُفات الكآبهْ
كُلُّ لون على شفتيك احتفالْ
بالليالي التي انصرمت .. بالنهار الذي سوف يأتي
اجعلي رقبتي عتباتِ التحول ..
أولَ سطر بسِفْر الجبال

الجبال التي أصبحت سُلَّماً نحو موتي !
والسياطُ التي احترقت فوق ظهري وظهرك
سوف تبقى سؤال :
أين سمسار كل المنابر ؟
أين الذي كان . . كان يلوك حجارة قبري وقبرك .

ما الذي يجعل الكلمات عرايا ؟
ما الذي يجعل الريح شوكاً ، وفحم الليالي مرايا.؟
ما الذي ينزع الجلد عني . . ويثقب عظمي ؟
ما الذي يجعل القلب مثل القذيفةْ ؟
وضلوع المغنّين ساريةً للبيارقْ ؟
ما الذي يفرش النار تحت سرير الخليفةْ
ما الذي يجعل الشفتين صواعق ؟
غير حزن المصفَّد حين يرى
أخته . . أمه . . حبه
لعبةً بين أيدي الجنود
وبين سماسرة الخُطب الحاميةْ
فيعض القيود . . ويأتي
إلى الموت . . يأتي
إلى ظلِّ عينيك . . يأتي !

أنا آتٍ إلى ظـلٍ عينيك . . آتِ
من كتاب الكلام المحنط فوق الشفاه المعادهْ
أكلتْ فرسي ، في الطريق ، جرادهْ
مزّقتْ جبهتي ، في الطريق ، سحابهْ
صلبتني على الطريق ذبابهْ !
فاغفري لي . .
كل هذا الهوان . . اغفري لي
انتمائي إلى هامش يحترق !
واغفري لي قرابهْ
ربطتني بزوبعة في كؤوس الورق
واجعليني شهيد الدفاع
عن العشب
والحب
والسخريه
عن غبار الشوارع أو عن غبار الشجر
عن عيون النساء ، جميع النساء
وعن حركات الحجر .
واجعليني أُحب الصليب الذي لا يُحبْ
واجعليني بريقاً صغيراً بعينيك
حين ينام اللهب !

،

أنا آتٍ إلى ظـلِّ عينيك .. آتٍ
مثل نسر يبيعون ريش جناحهْ
ويبيعون نار جراحهْ
بقناع . وباعوا الوطنْ
بعصا يكسرون بها كلمات المغني .
وقالوا : اذبحوا واذبحوا ..
ثم قالوا : هي الحرب كـرٌّ وفـرٌّ ..
ثم فروا ..
وفروا ..
وفروا ..
وتباهوا .. تباهوا ..
أوسعوهم هجاء وشتماً ، وأودوا بكل الوطن !.

حين كانت يداي السياج ، وكنتِ حديقهْ
لعبوا النرد تحت ظلال النعاسِ
حين كانت سياط جهنم تشرب جلدي
شربوا الخمر نخب انتصار الكراسي ! .
حين مرت طوابير فرسانهم في المرايا
ساومونا على بيت شِعر ، وقالوا :
ألهبوا الخيل . كل السبايا

أقبلتْ أقبلتْ من خيام المنافي
كذبوا ! لم يكن جرحنا غير منبر
للذي باعه .. باع حطين .. باع السيوف ليبني منبر
نحو مجد الكراسي ! ..

أنا آتٍ إلى ظلّ عينيك .. آتِ
من غبار الأكاذيب .. آتِ
من قشور الأساطير آتِ
أنت لي .. أنت حزني وأنتِ الفرح
أنتِ جرحي وقوس قزح
أنتِ قيدي وحريّتي
أنتِ طيني وأسطورتي
أنتِ لي .. أنت لي .. بجراحكْ
كلّ جرح حديقهْ ! .
أنت لي .. أنت لي .. بنواحك
كلّ صوت حقيقهْ .
أنت شمسي التي تنطفىء
أنتِ ليلي الذي يشتعل
أنت موتيّ ، وأنت حياتي

وسآتي إلى ظلّ عينيك .. آتِ !
وردةً أزهرت في شفاه الصواعق

قبلةً أينعت في دخان الحرائق
فاذكريني . . إذا ما رسمت القمر
فوق وجهي ، وفوق جذوع الشجر
مثلما تذكرين المطر
وكما تذكرين الحصى والحديقةْ
واذكريني ،
كما تذكرين العناوين في فهرس الشهداء
أنا صادقتُ أحْذية الصِّبية الضعفاء
أنا قاومتُ كُل عروش القياصرة الأقوياء
لم أبع مهرتي في مزاد الشعار المساوم
لم أذق خبز نائم
لم أساوم
لم أدق الطبول لعرس الجماجم
وأنا ضائع فيك بين المراثي وبين الملاحم
بين شمسي وبين الدم المستباح
جئت عينيك حين تجمَّد ظلي
والأغاني اشتهت قائليها ! . .

شولميت انتظرتْ صاحبها في مدخل البار ،
من الناحية الأخرى يمر العاشقون ،
ونجوم السينما يبتسمون .
ألف إعلان يقول :
نحن لن نخرج من خارطة الأجداد ،
لن نترك شبراً واحداً للاجئين .

*

شولميت انكسرت في ساعة الحائط ،
عشرين دقيقةْ
وقفتْ ، وانتظرت صاحبها
في مدخل البار ، وما جاء إليها .

قال في مكتوبه أمس :

« لقد أحرزت ، يا شولا ، وساماً وإجازهْ

احجزي مقعدنا السابق في البار ،

أنا عطشان ، يا شولا ، لكأس وشفهْ

قد تنازلتُ عن الموت الذي يورثني المجد

لكي أحبو كطفل فوق رمل الأرصفهْ

ولكي أرقص في البار » . .

من الناحية الأخرى ،

يمر الأصدقاء

عرفوا شولا على شاطىء عكا

قبل عامين ، وكانوا

يأكلون الذرة الصفراء . .

كانوا مسرعين

كعصافير المساء . .

*

شوليت انكسرت في ساعة الحائط خمسين دقيقه

وقفت ، وانتظرت صاحبها

شولميت استنشقت رائحة الخروب من بدلته

كان يأتي ، آخر الأسبوع كالطفل إليها
يتباهى بمدى الشوق الذي يحملهُ
قال لها : صحراء سيناء أضافت سبباً
يجعله يسقط كالعصفور في بللور نهديها
وقال :
ليتني أمتد كالشمس وكالرمل على جسمك ،
نصفي قاتل والنصف مقتول ،
وزهر البرتقال
جيِّدٌ في البيت والنزهة ، والعيدُ الذي
أطلبه
من فخذك الشائع في لحمي .. مميتٌ
في ميادين القتال ! ..

*

وأحستْ كفه تفترس الخصر ،
فصاحتْ : لستَ في الجبهة ..
قال : مهنتي !
قالت له : لكنني صاحبتك
قال : من يحترف القتل هناك
يقتل الحب هنا .
وارتمى في حضنها اللاهث موسيقى ،

وغنّى لغيوم فوق أشجار أريحا . .
يا أريحا ! أنت في الحلم وفي اليقظة
ضدان ،
وفي الحلم وفي اليقظة حاربتُ هناك
وأنا بينهما مزّقت توراتي
وعذبتُ المسيحا . .
يا أريحا ! أوقفي شمسك . إنّا قادمون
نوقف الريح على حد السكاكين ،
إذا شئنا ، وندعوك إلى مائدة القائد ،
إنّا قادمون . .

*

وأحسّت يده تشرب كفّيها . وقال
عندما كان الندى يغسل وجهين بعيدين
عن الضوء : أنا المقتولُ والقاتل
لكنَّ الجريدهْ
وطقوس الاحتفال
تقتضي أن أسجن الكذبة في الصدر ،
وفي عينيك ، يا شولا ، وأن أمسح رشّاشي
بمسحوق عقيدهْ !
أغمضي عينيك لن أقوى على رؤ ية

عشرين ضحيه
فيهما ، تستيقظ الآن . وقد كنت بعيدهْ
لم أفكِّرْ بكِ . . لم أخجل من الصمت الذي
يولد في ظل العيون العسليهْ .
وأصولُ الحرب لن تسمح أن أعشق
إلّا البندقيّهْ ! . .

*

سألته شولميت :
ومتى نخرج من هذا الحصار ؟
قال ، والغيمة في حنجرته :
أي أنواع الحصار ؟
فأجابتْ : في صباح الغد تمضي ،
وأن أشرح للجيران أن الوهلة الأولى
خداع للبصرْ . .
نحن لا ندفع هذا العَرق الأحمر . .
هذا الدم لا ندفعه ،
من أجل أن يزداد هذا الوطن الضاري . .
حجر .
قال : إنَّ الوقت مجنون ،
ولم يلتئم الليلة جسمانا

دعيني . .
أذُبِ الآن بجسم الكستنا والياسمين
أنت ـ يا سيدتي ـ فاكهتي الأولى .
وناما . .
وبكى في فرح الجسمين ، في عيدهما
لون القمر

*

شولميت استسلمت للذكريات
كل روّاد المقاهي والملاهي شبعوا رقصاً
وفي الناحية الأخرى ، تدوخ الفتيات
بين أحضان الشباب المتعبين .
وعلى لائحة الإعلان يحتدُّ وزير الأمن :
لن نُرجع شبراً واحداً للاجئين . .
والفدائيون مجتثون . منذ الآن
لن يُخمش جندي . ومن مات
على تربة هذا الوطن الغالي
له الرحمة والمجد . . ورايات الوطن !

*

شولميت اكتشفت أنَّ أغاني الحرب
لا توصل صمت القلب والنجوى إلى
صاحبها

نحن في المذياع أبطال
وفي التابوت أطفال
وفي البيت صُوَرْ .
ـ ليتهم لم يكتبوا أسماءنا
في الصفحة الأولى ،
فلن يُولدَ حيٌّ من خبر . .
ـ وعدوا موتك بالخلد ، بتمثال رخام
وعدوا موتك بالمجد ، ولكن رجال
الجنرال
سوف ينسونك في كل زحام
وسينسونك في كل احتفال . .

شولميت اكتشفت أن أغاني الحرب
لا توصل صمت القلب والنجوى إلى
صاحبها .
فجأة ، عادت بها الذكرى
إلى لذّتهاالأولى ، إلى دنيا غريبةْ
صدّقتْ ما قال محمود لها قبل سنين
ـ كان محمود صديقاً طيِّب القلب ،
خجولاً كان ، لا يطلب منها

غير أن تفهم أنَّ اللاجئين
أُمةٌ تشعر بالبرد ،
وبالشوق إلى أرض سليبةْ
وحبيباً صار فيما بعد ،
لكنَّ الشبابيك التي يفتحها
في آخر الليل . . رهيبةْ
كان لا يغضبها ، لكنه كان يقول
كلمات توقع المنطق في الفخ ،
إذا سرتَ إلى آخرها
ضقتَ ذرعاً بالأساطير التي تعبدها
وتمزَّقتَ ، حياء ، من نواطير الحقول . .
صدُقتْ ما قال محمود لها ة ا، سنين
عندما عانقها ، في المرة الأولى بكتْ
من لذة الحب . . ومن جيرانها
كل قومياتنا قشرة موز ،
فكَّرتْ يوماً على ساعده ،
وأتى سيمون يحميها من الحب القديم
ومن الكفر بقوميتها .
كان محمود سجيناً يومها
كانت الرملة فردوساً له . . كانت جحيم .

كانت الرقصة تُغريها بأن تهلك في
الإيقاع ،
أن تنعس ، فيما بعد ، في صدر رحيم .
سكر الإيقاع . كانت وحدها في البار
لا يعرفها إلاّ الندم .
وأتى سيمون يدعوها إلى الرقص
فلبّتْ
كان جندياً وسيم
كان يحميها من الوحدة في البار ،
ويحميها من الحب القديم
ومن الكفر بقوميتها . .

*

شولميت انتظرتْ صاحبها في مدخل
البار القديم
شولميت انكسرت في ساعة الحائط
ساعات . . .
وضاعت في شريط الأزمنهْ
شولميت انتظرتْ سيمون ـ لا بأس إذن
فليأت محمود . . أنا أنتظر الليلة عشرين سنه

كل أزهارك كانت دعوة للانتظار
ويداك الآن تلتفّان حولي
مثل نهرين من الحنطة والشوك .
وعيناك حصار
وأنا أمتد من مدخل هذ البار
حتى علَم الدولة ، حقلاً من شفاه دمويّة :
أين سيمون ومحمود ؟

من الناحية الأحرى
زهورٌ حجريّة .
ويمر الحارس الليلي ،
والإسفلتُ ليل آخر
يشربُ أضواء المصابيح ،
ولا تلمع إلاّ بندقيةْ . . .

- ١ -

نحن في حلٍّ من التذكار
فالكرمل فينا
وعلى أهدابنا عشب الجليلِ
لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر إليها ،
لا تقولي !
نحن في لحم بلادي .. هي فينا !

- ٢ -

لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام
ولذا ، لم يتفتت حبنا بين السلاسلْ
نحن يا أُختاه ، من عشرين عام

نحن لا نكتب أشعاراً ،
ولكنا نقاتل

- ٣ -

ذلك الظل الذي يسقط في عينيك
شيطان إله
جاء من شهر حزيران
لكي يعصب بالشمس الجباهْ
انه لون شهيد
انه طعم صلاهْ
انه يقتل أو يحيي ،
وفي الحالين ! آه !

- ٤ -

أوَّلُ الليل على عينيك ، كان
في فؤادي ، قطرةً من آخر الليل الطويل
والذي يجمعنا ، الساعة ، في هذا المكان
شارعُ العودة
من عصر الذبول .

- ٥ -

صوتك الليلةَ ،

سكينٌ وجرحٌ وضمادُ
ونعاس جاء من صمت الضحايا
أين أهلي ؟
خرجوا من خيمة المنفى ، وعادوا
مرة أُخرى سبايا !

- ٦ -

كلمات الحب لم تصدأ ، ولكن الحبيبْ
واقعٌ في الأسر - يا حبي الذي حمّلني
شرفاتٍ خلعتها الريحَ . .
أعتابَ بيوت
وذنوب .
لم يسع قلبي سوى عينيك ،
في يوم من الأيام ،
والآن اغتنى بالوطنِ !

- ٧ -

وعرفنا ما الذي يجعل صوت القُبَّرَهْ
خنجراً يلمع في وجه الغزاة
وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبرهْ
مهرجاناً . . وبساتين حياة !

- ٨ -

عندما كنت تغنين ، رأيت الشرفات
تهجر الجدران
والساحة تمتد إلى خصر الجبلْ
لم نكن نسمع موسيقى ،
ولا نبصر لون الكلمات
كان في الغرفة مليون بطل !

- ٩ -

في دمي ، من وجهه ، صيفٌ
ونبض مستعارُ .
عدتُ خجلان إلى البيت ،
فقد خرَّ على جرحي . . شهيدا
كان مأوى ليلة الميلاد ،
كان الانتظار
وأنا أقطف من ذكراه . . عيدا !

١٠

الندى والنار عيناه ،
إذا ازددت اقتراباً منه غنّى
وتبخرت على ساعده لحظة صمت ، وصلاه

آه سميه كما شئت شهيدا
غادر الكوخ فتى
ثم أتى ، لما أتى
وجه إله !

- ١١ -

هذه الأرض التي تمتصُّ جلد الشهداء،
تَعِدُ الصيف بقمح وكواكبْ
فاعبديها !
نحن في أحشائها ملح وماء
وعلى أحضانها جرح . . يحارب

- ١٢ -

دمعتي في الحلق ، يا أُخت ،
وفي عينيَّ نار
وتحررت من الشكوى على باب الخليفه
كل من ماتوا
ومن سوف يموتون على باب النهار
عانقوني ، صنعوا مني . . . قذيفه !

- ١٣ -

منزل الأحباب مهجور ،

ويافا تُرجمتْ حتى النخاعْ
والتي تبحث عني
لم تجد مني سوى جبهتها
اتركي لي كل هذا الموت ، يا أُخت .
اتركي هذا الضياع
فأنا أضفره نجماً على نكبتها

- ١٤ -

آه يا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبه
وأنا لست مسافر.
إنني العاشق والأرض حبيبهْ !

- ١٥ -

وإذا استرسلت في الذكرى !
نما في جبهتي عشب الندمْ
وتحسرت على شيء بعيدْ
وإذا استسلمت للشوق ،
تبيَّنْتُ أساطير العبيد
وأنا آثرت أن أجعل من صوتي حصاة
ومن الصخر نغم !

- ١٦ -

جبهتي لا تحمل الظل ،
وظلي لا أراه
وأنا أبصق في الجرح الذي
لا يشعل الليل جباه !
خبئي الدمعة للعيد
فلن نبكي سوى من فرح
وَلْنُسَمِّ الموت في الساحة
عرساً .. وحياه !

- ١٧ -

وترعرعتُ على الجرح ، وما قلت لأمي
ما الذي يجعلها في الليل خيمهْ
أنا ما ضيَّعتُ ينبوعي وعنوانيَ واسمي
ولذا أبصرت في أسمالها
مليون نجمه !

- ١٨ -

رايتي سوداءُ ،
والميناء تابوتٌ
وظهري قنطرهْ

يا خريف العالم المنهار فينا
يا ربيع العالم المولود فينا
زهرتي حمراءُ ،
والميناء مفتوح ،
وقلبي شجره !

- ١٩ -

لغتي صوت خرير الماء
في نهر الزوابعْ
ومرايا الشمس والحنطة
في ساحة حربِ
ربما أخطأت في التعبير أحياناً
ولكنْ كنت - لا أخجل - رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي !

- ٢٠ -

كان لا بد من الأعداء
كي نعرف أنا توأمان !
كان لا بد من الريح
لكي نسكن جذع السنديان !
ولو أن السيد المصلوب لم يكبر على عرش الصليب
ظل طفلاً ضائع الجرح .. جبان .

- ٢١ -

لك عندي كلمهْ
لم أقلها بعد ،
فالظل على الشرفة يحتل القمرْ
وبلادي ملحمهْ
كنت فيها عازفاً . . صرت وترْ !

- ٢٢ -

عالِمُ الآثار مشغول بتحليل الحجارهْ
إنه يبحث عن عينيه في ردم الأساطير
لكي يثبت أني :
عابر في الدرب لا عينين لي !
لا حرف في سفر الحضارهْ !
وأنا أزرع أشجاري ، على مهلي ،
وعن حبي أغني !

- ٢٣ -

غيمة الصيف انتي . . يحملها ظهر الهزيمهْ
عَلَّقَتْ نسل السلاطين
على حبل السراب
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمهْ
ها أنا ازددت التصاقاً . . بالتراب !

- ٢٤ -

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل ، وآنْ
ليَ أن أثبت حبي للثرى والقُبَّرةْ
فالعصا تفترس القيثار في هذا الزمان
وأنا أصغُرُ في المرآة ،
مذ لاحت ورائي شجرةْ !

مشياً على الأقدام ،
أو زحفاً على الأيدي نعودُ
قالوا . .
وكان الصخر يضمر
والمساء يداً تقودُ . .
لم يعرفوا أن الطريق إلى الطريق
دمٌ ، ومصيدة ، وبيدُ
كل القوافل قبلهم غاصت ،
وكان النهر يبصق ضفَّتيه
قطعاً من اللحم المفتَّت ،
في وجوه العائدين

١

كانوا ثلاثة عائدين .

شيخ ، وابنته ، وجندي قديم

يقفون عند الجسر . .

(كان الجسرنعساناً ، وكان الليل قبّعةً .

وبعد دقائق يصلون ، هل في البيت ماء ؟ وتحسس

المفتاح ثم تلا من القرآن آية . . .)

قال الشيخ منتعشاً : وكم من منزل في الأرض

يألفه الفتى

قالت : ولكن المنازل يا أبي أطلالُ !

فأجاب : تبنيها يدانِ . . .

ولم يتمَّ حديثه ، إذ صاح صوت في الطريق : تعالوا !

وتلته طقطقة البنادق . .

لن يمرَّ العائدون

حرس الحدود مرابطٌ

يحمي الحدود من الحنين

(أمرٌ بإطلاق الرصاص على الذي يجتاز

هذا الجسر . هذا الجسرُ مقصلةُ الذي رفض

التسول تحت ظل وكالة الغوث الجديدةْ .

والموتِ بالمجان تحت الذل والأمطار ، من

يرفضْهُ يقتلْ عند هذا الجسرِ ، هذا الجسرُ

مقصلة الذي مازال يحلم بالوطن)

الطلقة الأولى أزاحت عن جبين الليل

قبعة الظلام

والطلقة الأخرى . .

أصابت قلب جندي قديم .

والشيخ يأخذ كف ابنته ويتلو

همساً من القرآن سوره

وبلهجة كالحلم قال :

ـ عينا حبيبتيَ الصغيرهْ ،

ليَ ، يا جنود ، ووجهها القمحي لي

لا تقتلوها ، واقتلوني

(كانت مياه النهر أغزر . . فالذين رفضوا

هناك الموت بالمجان أعطوا النهر لوناً آخراً .

والجسر ، حين يصير تمثالاً ، سيُصبغ ـ دون

ريب ـ بالظهيرة والدماء وخضرة الموت

المفاجىء) .

. . وبرغم أن القتل كالتدخين . .

لكنَّ الجنود « الـطيِّبين » ،

الطالعين على فهارس دفترٍ . .

قذفته أمعاء السنين ،

لم يقتلوا الاثنين . .
كان الشيخ يسقط في مياه النهر . .
والبنتُ التي صارت يتيمةْ
كانت ممزقة الثياب ،
وطار عطر الياسمين
عن صدرها العاري الذي
ملأته رائحة الجريمةْ
والصمتُ خيَّم مرة أخرى ،
وعاد النهر يبصق ضفَّتيــه
قطعاً من اللحم الـمفـتَّت
. . في وجوه العائدين
لم يعرفوا أن الطريق إلى الطريق
دم ومصيدة . ولم يعرف أحد
شيئاً عن النهر الذي
يمتص لحم النازحين
(والجسر يكبر كل يوم كالطريق ،
وهجرة الدم في مياه النهر تنحت من حصى
الوادي تماثيلاً لها لون النجوم ، ولسعة الذكرى .
وطعم الحب حين يصير أكثر من عباده) .

جواز سفر

لم يعرفوني في الظلال التي
تمتص لوني في جواز السفرْ
وكان جرحي عندهم معرضاً
لسائح يعشق جمع الصور
لم يعرفوني ، آه .. لا تتركي
كفي بلا شمسٍ ،
لأن الشجر
يعرفني ..
تعرفني كل أغاني المطر
لا تتركيني شاحباً كالقمر !

*

كلُّ العصافير التي لاحقتْ
كفي على باب المطار البعيد
كل حقول القمح ،
كل السجون . .
كل القبور البيض
كل الحدود . .
كل المناديل التي لوَّحتْ
كل العيون
كانت معي ، لكنهم
قد أسقطوها من جواز السفر !

*

عارٍ من الاسم ، من الانتماءْ ؟
في تربة ربَّيتها باليدينْ ؟
أيوب صاح اليوم ملء السماء :
لا تجعلوني عبرة مرتين !

يا سادتي ! يا سادتي الأنبياء
لا تسألوا الأشجار عن اسمها
لا تسألوا الوديان عن أُمها
من جبهتي ينشق سيف الضياء

ومن يدي ينبع ماء النهر
كل قلوب الناس . . جنسيتي
فلتسقطوا عني جواز السفر !

الرجل ذو الظل الأخضر

في ذكرى جمال عبد الناصر

نَعيشُ معكْ
نسير معك
نجوع معك
وحين تموت
نحاول ألّا نموت معك !

ولكن ،
لماذا تموت بعيداً عن الماء
والنيل ملء يديكْ ؟
لماذا تموت بعيداً عن البرق
والبرق في شفتيك ؟

وأنت وعدت القبائلْ
برحلة صيف من الجاهليه
وأنت وعدت السلاسل
بنار الزنود القويهْ
وأنت وعدت المقاتل
بمعركة .. ترجع القادسيهْ

نرى صوتك الآن ملء الحناجرْ
زوابع
تلو
زوابع ..
نرى صدرك الآن متراس ثائر
ولافتة للشوارع
نراك
نراك
نراك ..
طويلاً
.. كسنبلةٍ في الصعيد
جيلاً
.. كمصنع صهر الحديد
وحراً
..كنافذة في قطار بعيد..

ولستَ نبيّاً ،
ولكن ظلّك أخضر
أتذكر ؟
كيف جعلت ملامح وجهي
وكيف جعلت جبيني
وكيف جعلت اغترابي وموتيَ
أخضر
أخضر
أخضر . .
أتذكر وجهي القديم ؟
لقد كان وجهي يُحنّط في متحف انجليزي
ويسقط في الجامع الأمويّ
متى يا رفيقي ؟
متى يا عزيزي ؟
متى نشتري صيدليهْ
بجرح الحسين . . ومجد أُميّة
ونُبعث في سدِّ أسوان خبزاً وماء
ومليون كيلواط من الكهرباء ؟

أتذكر ؟

كانت حضارتنا بدوياً جميل
يحاول أن يدرس الكيمياء
ويحلم تحت ظلال النخيل
بطائرة .. ويعشر نساء
ولست نبيّاً
ولكن ظلّك أخضر ..

نعيش معك
نبهير معك
نجوع معك
وحين تموت
نحاول ألاّ نموت معك
ففوق ضريحك ينبت قمح جديد
وينزل ماء جديد
وأنت ترانا
نسير
نسير
نسير .

أحبك أو لا أحبك

١٩٧٢

مزامير

- ١ -

أحبُّكِ ، او لا أحبُّكِ -
اذهبُ ، اترك خلفي عناوين قابلةً للضياعْ .
وأنتظر العائدين ؛ وهم يعرفون مواعيد موتي ويأتون .
أنتِ التي لا أحبُّك حين أُحبُّك ، اسوارُ بابلَ
ضيِّقَةٌ في النهار ، وعيناك واسعتان ، ووجهك
منتشر في الشعاع .

كأنكِ لم تولدي بعد . لم نفترق بعد . لم تصرعيني .
وفوق سطوح الزوابع كلُّ كلام جميل ، وكلُّ
لقاء وداع .

وما بيننا غيرُ هذا اللقاء ، وما بيننا غير هذا الوداع .
أُحبّك ، أو لا أُحبُّك ـ
يهربُ مني جبيني ، وأشعر أنك لا شيء أو كل شـيء .
وأنك قابلة للضياع .

* * *

أُريدكِ ، أو لا أُريدكِ ـ
إنَّ خرير الجداول محترقٌ بدمي . ذات يوم أراك ،
وأذهبْ .
وحاولتُ أن أستعيد صداقةَ أشياء غابت ـ نجحت
وحاولتُ أن أتباهى بعينين تتسعان لكل خريف ـ
نجحت ـ وحاولتُ أن أرسم اسماً يلائم زيتونةً
حول خاصرةٍ ـ فتناسَلَ كوكبْ .

أُريدك حين أقول أنا لا أُريدك . .
وجهي تساقط . نهرٌ بعيدٌ يذوبُ جسمي . وفي السوق
باعوا دمي كالحساء المعلَّب .
أُريدك ، حين أقول أُريدك ـ
يا امرأة وضعتْ ساحل البحر الأبيض المتوسط في
حضنها . . وبساتين آسيا على كتفيها . . وكلَّ
السلاسل في قلبها .

أريدك ، أو لا أريدك ـ

إنَّ خرير الجداول . إنَّ حفيف الصنوبر . إنَّ هدير
البحار . وريشَ البلابل محترقٌ في دمي ـ ذات
يوم أراك ، وأذهب .

* * *

أغنّيك ، أو لا أغنّيك ـ
أسكتُ . أصرخُ . لا موعد للصراخ ولا موعد
للسكوت . وأنتِ الصراخ الوحيدُ وأنتِ السكوت
الوحيدْ .

تداخل جلدي بحنجرتي . تحت نافذتي تعبر الريح
لابسةً خَرَساً . والظلامُ بلا موعد . حين ينزل
عن راحتيَّ الجنودْ
سأكتبُ شيئاً . .
وحين سينزل عن قدميَّ الجنود
سأمشي قليلاً . .
وحين سيسقط عن ناظريَّ الجنود
أراك . . أرى قامتي من جديد .
أغنّيك ، أو لا أغنّيك
أنت الغناء الوحيد ، وأنت تُغنّيني لو سكتُّ . وأنت
السكوتُ الوحيد .

- ٢ -

في الأيام الحاضره

أجد نفسي يابساً

كالشجر الطالع من الكتب

والريح مسألة عابره .

أحارب . . أو لا أحارب ؟

ليس هذا هو السؤال

المهمّ أن تكون حنجرتي قويّه .

أعمل . . أو لا أعمل ؟ .

ليس هذا هو السؤال

المهمّ أن أرتاح ثمانية أيام في الأسبوع

حسب توقيت فلسطين .

أيها الوطن المتكرر في الأغاني والمذابح ،

دُلّني على مصدر الموت

أهو الخنجر . . أم الأكذوبة ؟

* * *

لكي أذكر أن لي سقفاً مفقوداً

ينبغي أن أجلس في العراء .

ولكيلا أنسى نسيم بلادي النقي

ينبغي أن أتنفس السل

ولكي أذكر الغزال السابح في البياض

ينبغي أن أكون معتقلاً بالذكريات .
ولكيلا أنسى أن جبالي عالية
ينبغي أن أسرّح العاصفة من جبيني .
ولكي أحافظ على ملكية سمائي البعيدة
يجب ألّا أملك حتى جلدي .

* * *

أيها الوطن المتكرر في المذابح والأغاني
لماذا أهرّبك من مطار إلى مطار
كالأفيون . .
والحبر الأبيض . .
وجهاز الإرسال ؟!

* * *

أريد أن أرسم شكلك .
أيها المبعثر في الملفات والمفاجآت
أريد أن أرسم شكلك
أيها المتطاير على شظايا القذائف وأجنحة العصافير
أريد أن أرسم شكلك
فتخطف السماءُ يدي .
أريد أن أرسم شكلك
أيها المحاصر بين الريح والخنجر
أريد أن أرسم شكلك

كيْ أجد شكلي فيك
فأُتّهم بالتجريد وتزوير الوثائق والصور الشمسية
أيها المحاصر بين الخنجر والريح .

* * *

ويا أيها الوطن المتكرر في الأغاني والمذابح
كيف تتحول إلى حلم وتسرق الدهشة
لتتركني حجراً .
لعلَّك أجمل في صيرورتك حلماً
لعلَّكِ أجمل ا . .

* * *

لم يبق في تاريخ العرب
اسم أستعيره
لأتسلَّل به إلى نوافذك السـريَّـة .
كل الأسماء السرية محتجزة
في مكاتب التجنيد المكيَّفـة الهواء
فهل تقبل اسمي ـ
اسمي السري الوحيد ـ
محمود درويش ؟
أما اسمي الأصلي
فقد انتزعته عن لحمي

سياطُ الشرطة وصنوبرُ الكرمل

* * *

أيها الوطن المتكرر في المذابح والأغاني
دُلَّني على مصدر الموت
أهو الخنجر
أم الأكذوبة ؟!

- ٣ -

يومَ كانتْ كلماتي
تربةً ..
كنت صديقاً للسنابلْ .

يومَ كانت كلماتي
غضباً ..
كنت صديقاً للسلاسل

يوم كانت كلماتي
حجراً ..
كنتُ صديقاً للجداول .

يومَ كانت كلَماتي
ثورةً ..
كنت صديقاً للزلازل

يوم كانت كلماتي
حنظلاً ..
كنتُ صديقَ المتفائل

حين صارت كلماتي
عسلاً ..
غطّى الذباب
شفتيَّ ! ..

- ٤ -

تركت وجهي على منديل أمّي
وحملت الجبال في ذاكرتي
ورحَلْت ..
كانت المدينة تكسر أبوابها
وتتكاثر فوق سطوح السفن
كما تتكاثر الخضرة في البساتين التي تبتعد ..
إنني أتّكيء على الريح
يا أيتها القامة التي لا تنكسر
لماذا أترنّح ؟ .. وأنت جداري

وتصقلني المسافة
كما يصقل الموتُ الطازج وجوهَ العُشّاق
وكلما ازددتُ اقتراباً من المزامير
ازددتُ نُحولاً ..
يا أيتها الممرات المحتشدة بالفراغ
متى أصل ؟ ..

طوبى لمن يلتفّ بجلده !

طوبى لمن يذكر اسمه الأصليَّ بلا أخطاء !
طوبى لمن يأكل تفاحة ولا يصبح شجرة .
طوبى لمن يشرب من مياه الأنهار البعيدة
ولا يصبح غيماً !
طوبى للصخرة التي تعشق عبوديتها
ولا تختار حرية الريح !.

- ٥ -

أكلما وقفتْ غيمة على حائط
تطايرت إليها جبهتي كالنافذة المكسورة
ونسيت أني مرصود بالنسيان
وفقدت هويتي ؟

إنني قابل للانفجار
كالبكارة . .

وكيف تتسع عيناي لمزيد من وجوه الأنبياء ؟
إتبعيني أيتها البحار التي تسأم لونها
لأدلك على عصا أخرى .

إنني قابل للأعجوبة
كالشرق . .

أنا حالة تفقد حالتها
حين تكفُّ عن الصراخ
هل تسمّون الرعدَ رعداً والبرقَ برقاً
إذا تحجَّر الصوت ، وهاجر اللون ؟!
أكلما خرجتُ من جِلدي .

ومن شيخوخة المكان
تناسل الظلُّ ، وغطّاني . . . ؟
أكلما أطلقتُ رياحي في الرماد
بحثاً عن جمرة منسيَّة
لا أجد غير وجهي القديم الذي تركته
على منديل أُمي ؟

إنني قابلٌ للموت
كالصاعقه . .

- ٦ -

أشجار بلادي تحترف الخضرة
وأنا أحترف الذكرى .
والصوت الضائع في البرية
ينعطف نحو السماء ، ويركع :
أيها الغيم ! هل تعود ؟

لستُ حزيناً إلى هذا الحدّ
ولكن ، لا يحبُّ العصافير
من لا يعرف الشجر .
ولا يعرف المفاجأة
من اعتاد الأكذوبة .
لستُ حزيناً إلى هذا الحد
ولكن ، لا يعرف الكذب
من لم يعرف الخوف .

أنا لستُ منكمشاً إلى هذا الحد
ولكن الأشجار هي العالية .
سيداتي ، آنساتي ، سادتي

أنا المحبُّ العصافير
وأعرف الشجر
أنا أعرف المفاجأة
لأني لم أعرف الأكذوبة .
أنا ساطع كالحقيقة والخنجر
ولهذا أسألكم :
أطلقوا النار على العصافير
لكي أصِفَ الشجر .
أوقفوا النيل
لكي أصف القاهرة .
أوقفوا دجلة أو الفرات أو كليهما
لكي أصف بغداد .
أوقفوا بردى
لكي أصف دمشق !
وأوقفوني عن الكلام
لكي أصف نفسي . .

- ٧ -

ظلُّ النخيل ، وآخرُ الشهداء ، والمذياع يرسل صورةً
صوتيةً عن حالة الأحباب يومياً أُحبُّك في
الخريف وفي الشتاءْ .

ـ لم تبك حيفا . أنت تبكي . نحن لا ننسى تفاصيل
المدينة ، كانت امرأةً ، وكانت أنبياءْ .

البحرُ ! لا . البحرُ لم يدخل منازلنا بهذا الشكل .
خمسُ نوافذٍ غرقتْ ، ولكنَّ السطوح تعجُّ
بالعشب المجفَّف والسماءْ ـ

ودَّعتُ سجَّاني . سعيداً كان بالحرب الرخيصة .
آه يا وطن القرنفل والمسدَّس ، لم تكن أُمّي معي .
وذهبتُ أبحث عنك خلف الوقت والمذياع . شكلك
كان يكسرني . . ويتركني هباء .

كان الكلام خطيئةً ، والصمت منفى . والفدائيون
أسرى توقهم للموت في واديك . كان الموت تذكرة
الدخول إلى يديك . وكنتَ تحتقر البكاء .

والذكرياتُ هـويَّة الغرباء أحياناً ، ولكنَّ الزمان
يضاجع الذكرى وينجب لاجئين ، ويرحل

الماضي ، ويتركهم بلا ذكرى . أتذكرنا ؟ وماذا
لو تقول : بلى ! . أتذكر كل شيء عنك ؟ ماذا
لو نقول : بلى! . وفي الدنيا قضاةٌ يعبدون
الأقوياء .

من كل نافذةٍ رميتُ الذكريات كقشرة البطيخ ،
واستلقيتُ في الشَّفَق المحاذي للصنوبر (تلمع
الأمطار في بلد بعيد . تقطف الفتياتُ خوخاً غامضاً .
والذكرياتُ تمرُّ مثل البرق في لحمي ، وترجعني
إليك . . إليك . إنَّ الموت مثل الذكريات كلاهما
يمشي إليك . . إليك ، يا وطناً تأرجح بين كـلِّ
خناجر الدنيا وخاصرةِ السماء .

ظـلّ النخيل ، وآخر الشهداء والمذياع يرسل صورة
صوتيّة عن حالة الأحباب يوميّاً ـ أحبك في
الخريف وفي الشتاء .

- ٨ -

أيتها البلاد التي يعرف المزاجُ أسماءها
تعرفك سياط التاريخ
وسجون التاريخ
ومنافي التاريخ
أيتها المسبيَّة في كل العصور
لماذا تحدِّدين شكلك بمثل هذه المغامرة ؟
ولماذا تعلنين عن نفسك
كجنين العالم ؟
ولماذا أنت جميلة إلى حدِّ الانتحار ؟
وأكثر من ذلك :
لماذا لا تعلنين براءتك مني
لأكفَّ عن الموت ؟ . .

أيتها البلاد القاسية كالنعاس
قولي مرة واحدة :
انتهى حبنا .
لكي أُصبح قادراً على الموت . . والرحيل
إني أحسد الرياح التي تنعطف فجأة

عن رماد آبائي

إني أحسد الأفكار المختبئة في ذاكرة الشهداء

وأحسد سماءك المختفية في عيون الأطفال .

ولكنني لا أحسد نفسي .

تنتشرين على جسمي كالعرق

وتنتشرين في جسمي كالشهوة

وتحتلين ذاكرتي كالغزاة

وتحتلين دماغي كالضوء .

موتي . لأرثيك

أو كوني زوجتي لأعرف الخيانة

مرة واحدة .

- ٩ -

أيتها الوردة الواقفة خارج الزمن والحواس
يا قبلة في مناديل الرياح . .
فاجئيني بحلم واحد
يرتدُّ عنك جنوني ! .

لقد ابتعدتُ عنك
لأقترب منك
فوجدتُ الزمن .

واقتربتُ منك
لأبتعد عنك
فوجدتُ الحواس .

بين الابتعاد والاقتراب
حجر في حجم الحلم
لا يقترب
ولا يبتعد
وأنتِ بلادي
وأنا لستُ حجراً
ولهذا ، لا أحاذي السماء
ولا أوازي الأرض
وابقى غريباً . .

ـ ١٠ ـ

حالة الاحتضار الطويله
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفوله
أدخلتني بيوتاً
قلوباً
سنابل
منحتني هويّه
جعلتني قضيّه
حالةُ الاحتضار الطويله .

* * *

كان يبدو لهم
أنني ميِّت ، والجريمةُ مرهونةً بالأغاني
فمرُّوا ، ولم ينفظوا اسمي .
دفنوا جثتي في الملفّات والانقلابات ،
وابتعدوا .
(والبلاد التي كنتُ أحلم فيها ـ سوف
تبقى البلاد التي كنتُ أحلم فيها) .

كان عمراً قصيراً

وموتاً طويلا
وأفقتُ قليلا
وكتبتُ اسم أرضي على جُثتي
وعلى بندقيه
قلت : هذا سبيلي
وهذا دليلي
إلى المدن الساحليه .
وتحركتُ ،
لكنهم قتلوني .

* *

دفنوا جثتي في الملفات والا تفاقات ،
وابتعدوا . .
والبلاد التي كنتُ أحلم فيها
سوف تبقى البلاد التي كنتُ أحلم فيها .

* * *

أنا في حالة الاحتضار الطويله
سيِّـدالحزن .
والدمع من كل عاشقة عـربيَّـه
وتكاثر حولي المغنّون والخطباء
وعلى جثتي ينبتُ الشعر والزعماء

وكل سماسرة اللغة الوطنيه
صفّقوا
صفّقوا
صفّقوا
ولتعشْ
حالة الاحتضار الطويله

* * *

حالةُ الاحتضار الطويله
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفوله
أدخلتني بيوتاً . . قلوباً . . سنابل
جعلتني قضيّه
منحتني هويّه
وتراثَ السلاسل .

- ١١ -

لم يبق لي
إلاّ أن أتشرد في ظلّك الذي هو ظلّي
ولم يبق لي
إلاّ أن أسكن صوتك الذي هو صوتي .

تدحرجتُ عن الصليب الممتدّ كالصحو
في أُفق لا ينحني ،
إلى أصغر جبل تصل إليه الرؤيا
فلم أعثر على جرحي .. وحريتي ! .
لأنني لا أعرف مكانك
لا أجد خطوتي
ولأنْ ظهري لا يستند إليك بالمسامير .
أصبحتُ شديد الانحناء
كسمائك التي ترافق نوافذ الطائرات

أعيدي إليَّ تقاطيع اسمي
لأحتكم إلى ألياف الشجر ..
أعيدي إليَّ حروف وجهي
لأحتكم إلى العواصف المقبله

أعيدي إليَّ أسباب فرحي
لأحتكم إلى التراجع الذي لا سبب له .

لأنَّ صوتي يابسٌ كسارية العلم
ويدي فارغة كالنشيد الوطني
ولأنَّ ظلِّي واسع كمهرجان
وقسمات وجهي تتنزَّهُ في سيارة الإسعاف
لأني هكذا ،
فأنا مواطن في مملكة لم تولد . .

- ١٢ -

إعتقلتُ نفسي داخل نفسي
لأن نفسي ليست جاسوسة على نفسي .
والمطر يتساقط في الخارج
بلا سبب .

طوبى لمن يعرف حدود سعادتي !
طوبى للربِّ الذي يقرأ حريتي
طوبى للحارس الذي يحبس طمأنينتي
في عينيه الساهرتين
طوبى لمن يفهم ما معنى أن أكون
السجين والسجّان في آن واحد
أيتها النوافذ البعيدة كالحب الأول
أنا لا أقيم في بابل
بابل هي التي تسكن تقاطيع وجهي
أينما ذهَبْتُ .
ويا أيتها النوافذ البعيدة كالحب الأول
أنا لستُ منفيّاً
في قلبي نفيتُ المنفى ، وذهبت .
المطر يتساقط في الخارج

بلا سبب .
والقحط ينتشر في الداخل
لأسباب كثيرة .
فمن يعيد ترتيب الفصول
ومن يغيِّر نظام الروزنامة
ومن يعلمني مراثي إرميا
في طُرُق أورشليم التي لعنها الرب ،
لكيْ أُعلن للمرة الأولى
تاريخ ميلادي ،
من ؟ .

- ١٣ -

إني أتـأهّب للانفجار
على حافة الحلم
كما تتأهب الآبار اليابسة
للفيضان .

إني أتأهب للانطلاق
على حافة الحلم
كما تتأهب الحجارة
في أعماق المناجم الميتة

إني اتحفّز للموت
على حافة الحلم
كما يتحفز الشهيد للموت
مرة أخرى .

إني أتأهب للصراخ
على حافة الحقيقة
كما يتـأهّب البركان
للانفجار .

الرحيل انتهى
من يغطي حبيبي
كيف مرَّ المساء المفاجىء
كيف اختفى
في عيون حبيبي ؟
الرحيل انتهى .

أصدقائي [illegible] ي .
أصدقائي يموتون فجأة

الرحيل انتهى
في جناح السنونو .
الرحيل ابتدأ
حين فرَّ السجين .

ما عرفتُ الضياع
في صرير السلاسل
كان لحمي مشاع
كسطوح المنازل

لعدوّي ، ولكن
ما عرفت الضياع
في صرير السلاسل

أصدقائي يمرُّون عني
أصدقائي يموتون فجأه .

- ١٥ -

هارب من الحدود التي افترست أصدقائي
والحدود تعدو ورائي . .
الحدود تقترب تقترب
وتلامس حلقي .

من الصعب أن تعرفوا
أين تنتهي الأسطورة
وأين يبدأ وجهي
لأن الحدود قريبة ! .

هذه الشقوق المحفورة في جبيني
ليست بصمات سنين .
وهذه الخطوط الزرقاء تحت عيني
ليست دليلاً على السهر مع النساء
إنها الحدود التي تتشعب في جسمي .

أنا محكوم بالهزيمة
وعدوّي محكوم بالنصر
أنا صامد في الهزيمة

وعدوّي صامد في النصر .

أيها الظلام القادم إلى المدينة

إنهمر . . إنهمر .

لأني أعتزم الليلة مغادرة وجهي الحافل بالحدود

في اتجاه قلبي ،

وهو المدينة الوحيدة التي لم تقع في الأسر .

- ١٦ -

أداعب الزمن
كأمير يلاطف حصاناً .
والعبُ بالأيام
كما يلعب الأطفال بالخرز الملوّن .

إني أحتفل اليوم
بمرور يوم على اليوم السابق
واحتفل غداً
بمرور يومين على الأمس
واشرب نخب الأمس
ذكرى اليوم القادم
وهكذا .. أُواصل حياتي !

عندما سقطتُ عن ظهر حصاني الجامح
وانكسرت ذراعي
أوجعتني إصبعي التي جرحت
قبل ألف سنة !

وعندما أحييت ذكرى الأربعين لمدينة عكا
أجهشت في البكاء على غرناطة
وعندما التفَّ حبل المشنقة حول عنقي
كرهت أعدائي كثيراً
لأنهم سرقوا ربطة عنقي !

- ١٧ -

نرسم القدس :

إله يتعرّى فوق خطٍّ داكن الخضرة . أشباه عصافير تهاجرْ

وصليب واقف في الشارع الخلفيّ . شيء يشبه البرقوق

والدهشة من خلف القناطرْ

وفضاء واسع يمتدُّ من عورة جنديّ إلى تاريخ شاعر .

* * *

نكتبُ القدسَ :

عاصمة الأمل الكاذب . . . الثائر الهارب . . الكوكب

الغائب . اختلطتْ في أزقّتها الكلماتُ الغريبةُ ،

وانفصلتْ عن شفاه المغنّين والباعةِ القُبَلُ

السابقةْ .

قام فيها جدار جديد لشوق جديد ، وطروادةُ

التحقتْ بالسبايا . ولم تَقُل الصخرةُ الناطقةْ

لفظةً تُثبِتُ العكس . طوبى لمن يجهضُ النار في

الصاعقةْ ! .

* * *

ونغنّي القدسَ :

يا أطفالَ بابلْ

يا مواليد السلاسلْ

ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون .
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريباً يصبح الدمع سنابل .
آه ، يا أطفال بابل
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون
وقريباً
وقريباً
وقريباً . . . .
هلّلويا
هلّلويا !

هو الآن يرحل عنّا
ويسكن يافا
ويعرفها حجراً .. حجرا
ولا شيء يشبهه
والأغاني
تـقـلِّدهُ ..
تقلِّدموعده الأخضرا .
هو الآن يعلن صورته ـ
والصنوبر ينمو على متنفقهْ

٤

هو الآن يعلن قصّته ـ
والحرائقُ تنمو على زنبقه
هو الآن يرحل عنّا
ليسكن يافا .

* * *

ونحن بعيدون عنه ،
ويافا حقائبُ منسّيةٌ في مطارْ
ونحن بعيدون عنه ؛
لنا صُوَرٌ في جيوب النساء ،
وفي صفحات الجرائدِ ،
نعلن قصّتنا كل يوم
لنكسب خصلة ريح وقبلة نار .

ونحن بعيدون عنه ،
نهيب به أن يسير إلى حتفه . .
نحن نكتب عنه بلاغاً فصيحاً
وشعراً حديثاً
ونمضي . . لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف
ونحتجُّ : ليس لنا في المدينة دار .
ونحن بعيدون عنه ،

نعانق قاتله في الجنازة ،
نسرق من جرحه القطن حتى نلمّعَ
أوسمة الصبر والانتظار

* * *

هو الآن يخرج منا
كما تخرج الأرض من ليلة ماطرهْ
وينهمر الدمُ منهُ
وينهمرُ الحبرُ منّا .
وماذا نقول له ؟ ـ تسقطُ الذاكرهْ
على خنجرٍ ؟
والمساءُ بعيدٌ عن الناصرهْ !
هو الآن يمضي إليه
قنابل أو .. برتقاله
ولا يعرف الحدَّ بين الجريمة حين تصير حقوقاً
وبين العداله
وليس يصدِّق شيئاً
وليس يكذِّبُ شيئاً .
هو الآن يمضي .. ويتركنا
كي نعارض حيناً
ونقبلَ حينا .

هو الآن يمضي شهيداً
ويتركنا لاجئينا !

ونام
ولم يلتجىء للخيام
ولم يلتجىء للموانىء
ولم يتكلّمْ
ولم يتعلّمْ
وما كان لاجىء
هي الأرض لاجئةٌ في جراحه
وعاد بها .
لا تقولوا : أبانا الذي في السموات
قولوا : أخانا الذي أخذ الأرض منّا
وعاد . .
هو الآن يُعدمُ
والآن يسكنُ يافا
ويعرفها حجراً . . حجرا
ولا شيء يشبهه
والأغاني
تقلّده .

تقلّد موعده الأخضرا

لترتفع الآن أذرعةُ اللاجئين
رياحاً .. رياحا .
لتنتشر الآن أسماؤهم
جراحاً .. جراحا .
لتنفجر الآن أجسادهم
صباحاً .. صباحا .
لتكتشف الأرضُ عنوانها
ونكتشف الأرضَ فينا .

عازف الجيتار المتجول

كان رسّاماً ،
ولكنَّ الصُّوَر
عادةً ،
لا تفتح الأبواب
لا تكسرها . .
لا تردُّ الحوت من وجه القمر .

(يا صديقي ، أيها الجيتار
خذني . .
للشبابيك البعيدهْ)

* * *

شاعراً كان ،
ولكنَّ القصيدةْ
يبستْ في الذاكرةْ
عندما شاهد يافا

فوق سطح الباخرةْ .
(يا صديقي ، أيها الجيتار
خذني . .
للعيون العسليَّــة)

* * *

كان جنديّاً ،
ولكنَّ شظيَّةْ
طحنتْ رَكبته اليسرى
فأعطوهُ هديَّه :
رتبةً أُخرى
ورجلا خشبيه !

(يا صديقي ، أيها الجيتار
خذني . .
للبلاد النائمه)

* * *

عازف الجيتار يأتي

في الليالي القادمهْ
عندما ينصرف الناسُ إلى جمع تواقيع الجنود
عازف الجيتار يأتي
من مكان لا نراهُ
عندما يحتفلُ الناس بميلاد الشهود
عازف الجيتار يأتي
عارياً ، أو بثياب داخليه .

عازف الجيتار يأتي
وأنا كدت أراه
وأشمُّ الدم في أوتارِهِ
وأنا كدت أراه
سائراً في كل شارعْ
كدت أن أسمعه
صارخاً مل ء الزوابع
حدِّقوا :
تلك رجل خشبيُّه
واسمعوا :
تلك موسيقى اللحوم البشريُّه

وراء الخريف البعيدْ
ثلاثون عاماً
وصورةُ ريتا
وسنبلة أكملت عمرها
في البريد .
وراء الخريف البعيد

أحبكِ يوماً . . وأرحل
تطير العصافير باسمي
وتُقتلْ .
أُحبك يوماً

وأبكي
لأنك أجمل من وجه أمي
وأجملْ
من الكلمات التي شرَّدتني . .

على الماء وجهك ،
ظلّ المساء
يخاصمُ ظلّي
وتمنعني من محاذاة هذا المساء
نوافذُ أهلي .
متى يذبل الورد في الذاكره ؟
متى يفرح الغرباء ؟
لكي أصف اللحظة العائمه
على الماء ـ
أسطورة أو سماء . .

. . وتحت السماء البعيدهْ
نسيتك ،
تنمو الزنابق
هناك . . بلا سببِ

والبنادق

هناك .. بلا غضبِ

والقصيدهْ

هناك .. بلا شاعر

والسماء البعيده

تحاذي سطوح المنازلْ

وقبَّعة الشرطيِّ

وتنسى جبيني . . .

وتحت المساء الغريبْ

تعذِّبنا الأرض ،

جسمك يقتبس البرتقال

ويهربُ منّي .

أُحبُّك ،

والأفق يأخذ شكل سؤال

أُحبُّك ،

والبحر أزرقْ

أُحبُّك ،

والعشب أخضرْ

أُحبُّك - زنبقْ

،

أحبُك ـ خنجر
احبُك يوماً
وأعرف تاريخ موتي

أحبُـك يوماً
بدون انتحار
وراء الخريف البعيد
أمشّط شعرك .
أرسم خصرك . .
في الريح ، نجماً . . وعيد . .
أحبُـك يوماً
أحبُـك قرب الخريف البعيد
تمرُ العصافير باسمي
طليقهْ
وباسمي ـ يمر النهار
حديقه .
وباسمك أحيا
أحبُـك يوماً ،
وأحيا . .
وراء الخريف البعيد .

قتلوك في الوادي

أُهديكِ ذاكرتي على مرأى من الزمنِ
أُهديك ذاكرتي
ماذا تقول النار في وطني
ماذا تقول النار ؟
هل كنتِ عاشقتي
أم كنتِ عاصفةً على أوتار ؟
وأنا غريب الدار في وطني
غريب الدار . .

أُهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن
أُهديك ذاكرتي

ماذا يقول البرقُ للسكّينْ
ماذا يقول البرقْ
هل كنت في حطّين
رمزاً لموت الشرقْ
وأنا صلاح الدين
أم عبدُ الصليبيين ؟

أُهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن .
أُهديك ذاكرتي
ماذا تقول الشمسُ في وطني
ماذا تقول الشمسْ ؟
هل أنت ميْتة بلا كفن
وأنا بدون القدسْ ؟

* * *

طلعتْ من الوادي
يُقال تضاءل الوادي وغابْ
وجمالها السرّيّ لفَّ سنابل القمح الصغيرةَ
حلَّ أسئلة التراب .
هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلي
يا كلَّ أزهار الجليل

وكلّ أيتام الجليل
هل تذكرون الصيف يصعد من أناملها
ويفتح كلَّ بابْ .
قالت بنفسجة لجارتها
عطشتُ ،
وكان عبد الله يسقيني
فمن أخذ الشباب من الشباب ؟
طلعتْ من الوادي
وفي الوادي تموت . .
ونحن نكبر في السلاسلْ
طلعتْ من الوادي مفاجأة
وفي الوادي تموت على مراحل .
ونمرُّ عنها الآن جيلاً بعد جيل
ونبيع زيتون الجليل بلا مقابل
ونبيع أحجار الجليل
ونبيع تاريخ الجليل
ونبيعها .
كي نشتري في صدرها شكلاً
لمقتولٍ بقاتل .

* * *

لم أعترفْ بالحبِّ عن كَثَبِ
فليعترف موتي
وطفولتي - طروادة العربِ
تمضي .. ولا تأتي
كلُّ الخناجر فيك ،
فارتفعي
يا خضرة الليمون
وتوهجي في الليل
واتسعي
لبكاء مَنْ يأتون

الريحُ واقفةٌ على خنجرْ
ودماؤنا شَفَقُ
لا تحرقي منديلك الأخضر
الليل يحترقُ

طوبى لمن نامت على خشبهْ
مِلْءَ الردى .. حيّه
طوبى لسيف يجعل الرقبه
أنهار حريّه !

لم نعترف بالحبِّ عن كثبِ
فليغضب الغضبُ
نمشي إلى طروادة العربِ
والبعد يقتربُ .

* * *

لا تذكرينا
حين نفلتُ من يديكِ
إلى المنافي الواسعهْ
إنّا تعلّمنا اللغات الشائعه
ومتاعبَ السّفر الطويل
الى خطوط الاستواءْ
والنوم في كل القطارات البطيئة والسريعه
والحُبّ في الميناء . .
والغزلَ المعدّ لكل انواع النساء
إنا تعلّمنا صداقة كل جرحٍ
ومصارع العشاق
والشوق المعلّبَ
والحساة بدون ملحٍ

* * *

ـ يا أيها البلد البعيدْ

هل ضاع حبّي في البريد ؟

لا قُبلة المطاط تأتينا

ولا صدأ الحديد

كُلُّ البلاد بلادنا

ونصيبُنا منها . . بريدٌ !

* * *

لا تذكرينا

حين نفلتُ من يديك

إلى السجون

إنّا تعلّمنا البكاء بلا دموع

وقراءةَ الأسوار والأسلاك والقمر الحزين

حرية . .

وحمامة . .

ورضا يسوع .

وكتابةَ الأسماء :

عائشة تودِّع زوجها

وتعيشُ عائشةً . . .

تعيش روائح الدم والندى والياسمين

* * *

ـ يا أيها الوجه البعيدْ

قتلوك في الوادي ،
وما قتلوك في قلبي
أريدكَ أن تعيد
تكوينَ تلقائيَّتي
يا أيّها الوجه البعيد !

* * *

ولتذكرينا . .
حين نبحث عنك تحتَ المجزرهْ
وليبقَ ساعدُكِ المطلُّ على هدير البحر
والدم في الحدائق
وعلى ولادتنا الجديدة . .
قنطره !
ولتبقَ كلُّ زنابقَ الكفِّ النديَّةَ
في حديقتها
فإنّا قادمون
مَنْ يشتري للموت تذكرة سوانا
اليوم . . مَنْ !
نحن اعتصرنا كلَّ غيم خرائط الدنيا
وأشعارَ الحنين إلى الوطنْ
لا ملؤها يروي

ولا أشواقها تكوي
ولا تبني وطنْ .

ولتذكرينا . .
نحن نذكرك اخضراراً طالعاً من كل دم
طين . . ودم
شمس . . ودم
زهر . . ودم
ليل . . ودم
وسنشتهيك -
وانْت طالعة من الوادي
ونازلةٌ إلى الوادي
غزالا سابحاً في حقل دم
دم
دم
دم . .

* * *

ياقبلة نامت على سكّينْ
تفّاحةَ القُبَل
من يذكر الطعم الذي يبقى -

ولا تبقين -
كحديقة الأملِ !
- إنّا كبرنا أيها المسكين
قالت ليَ الدنيا .
- وحبيبتي ؟
* لا يكبر الموتى
- وأقماري ؟
* سقطتْ مع الدار
يا قبلة نامت على سكّينْ

هل تذكرين فمي ؟
إني أُحبُّكِ حين تحترقين
هل تحرقين دمي!
كالزنبق اللاذع
وأُحبُّ موتك حين يأخذني
إلى وطني
كالطائر الجائع
يا قبلة نامت على سكّينْ . .

البرتقال يضيء غربتنا
البرتقال يضيءُ

والياسمين يثير عزلتنا
والياسمين بـريء
يا قبلة نامت على سكّين .

تستيقظين على حدود الغدْ
تستيقظين الآنْ
وتبعثرين الساحل الأسود
كالريح والنسيان
يا قبلة نامت على سكّينْ

* * *

كَبُرَ الرحيل
كبر اصفرار الورد يا حبي القتيلْ
كبر التسكّع في ضياء العالم المشغول عنّي
كبر المساء على شوارع كل منفى
كبر المساء على نوافذ كل سجن
وكبرت في كل الجهات
وكبرت في كل الفصول . .
وأراكِ
تبتعدين . . تبتعدين في الوادي البعيد
وتغادرين شفاهنا

وتغادرين جلودنا
وتغادرين . .
وأنتِ عيذ .
وأراكِ
أشجارُ النخيلْ
سقطت .
وماذا قال عبد الله ؟
ـ في الزمن البخيل
يتكاثر الأطفال، والذكرى وأسماء الإله .
وأراكِ
كلّ يد تصيح هناك آه
كنّا صغاراً
كانت الأشياء جاهزة
وكان الحبُّ لعبهْ .
وأراكِ
وجهي فيك يعرفني
ويعرف كـلُّ حبُّـه
من شاطىء الرمل الكبير
وأنت تبتعدين عني
والموت نسبه .

وأراكِ . .
أحنتْ غابة الزيتون هامتها
لريح عابره
كل الجذور هنا
هنا
كل
الجذور
الصابره
فلتحترق كل الرياح السود
في عينين معجزتين
يا حبّي الشجاع .
لم يبق شيء للبكاء
إلى اللقاء
إلى اللقاء .
كبرت مراسيم الوداع
والموت مرحلة بدأناها
وضاع الموت
ضاع .
في ضجة الميلاد
فامتدي
من الوادي إلى سبب الرحيل
جسماً على الأوتار يركض
كالغزال المستحيل . .

مرةً أخرى
ينامُ القَتَلَهْ
تحت جلدي
وتصير المشنقه
عَلَماً
أو
سُنبلهْ
في سماء الغابة المحترقهْ

حَذَفَ الظل يديها من جبيني

فاختبأنا في الظهيرهْ

مرّةً أخرى
يمرُّ العسكريّ
تحت جلدي .
مرة أخرى
يُواري شفتيّ
في تجاعيد النشيد الوطني !

حذف الظلُّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيرهْ .

مرّةً أخرى
يفر الشهداءْ
من أغاني الشعراءْ .
مرةً أخرى
نزلنا عن صليبَيْنا
فلم نعثر على أرض
ولم نبصر سماء

حذف الظلُّ يديها من جبيني

فاختبأنا في الظهيرهْ

مرّةً أخرى
اتّحدنا
أنا والقاتل والموت المعاد
أصبحت حريّتي عبئاً
على قلبي
وعيناها منافي وبلاد
مرة أخرى
يضيع الماء في الغيم
ونُدعى للجهاد ! . .

حذف الظلُّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيرهْ .

قتلوها في الظهيره
بدلاً مني ،
ولم يعتقلوني
مرةً أخرى
لأنَّ القَتَلَهْ
تحت جلدي . .

أغنية إلى الريح الشمالية

قُبَلٌ مجفَّفةٌ على المنديل
من دار بعيدهْ
ونوافذ في الريح ،
تكتشف المدينة في قصيدهْ .
كان الحديث سدى عن الماضي
وكسَّرني الرحيلْ
وتقاسمتني زرقةُ البحر البعيد
وخضرةُ الأرض البعيده .
أماه ! . وانتحرت بلا سببٍ
عصافير الجليل .

يا أيها القمر القريب من الطفولة والحدود
لا تسرق الحلم الجميل
من غرفةالطفل الوحيد
ولا تسجِّل فوق أحذية الجنود
إسمي وتاريخي -
سألتك أيها القمر الجميل .
هربت حقولُ القمح من تاريخها
هرب النخيل .
كان الحديث سدى عن الماضي
وكان الأصدقاء
في مدخل البيت القديم يسجِّلون
أسماء موتاهم
وينتظرون بوليساً
وطوق الياسمين . .

* * *

قُبَلٌ مجفَّفةٌ على المنديل
من دار بعيدهْ .
ونوافذ في الريح تكسر جبهتي
قرب المساء .
كان البريد يعيد ذاكرتي من المنفى

ويبعثني الشتاء
غصناً على أشجار موتانا
وكان الأصدقاء
في السجن . .
كانوا يشترون الضوء
والأمل المهرَّب
والسجائر
من كل سجّان وشاعر .
كانوا يبيعون العذاب لأي عصفور مهاجر
ما دام خلف السور حقل من ذره
وسنابل تنمو . .
بلادي خلف نافذة القطار
تفاحة مهجورة ،
ويدان يابستان كالدفلى . .
كأسماء الشوارع . .
كالحصار .

بالقيد أحلم ،
كي أُفسِّر صرختي للعابرينْ
بالقيد أحلم ،
كي أرى حريّتي ، وأعدُّ أعمار السنين

بالقيد أحلم ،

كيف يدخل وجه يافا في حقيبه !

بيني وبينك برهة في زي مشنقةٍ

ولم أُشنق . . فعدت بلا جبين .

بيني وبين البرهة امتدَّت عصور

بالقيد أحلم ،

كيف يدخل وجه يافا في حقيبه ! .

* * *

قُبَلٌ مجفَّفة على المنديل

من دار بعيدهْ .

ونوافذ في الريح ، يا ريح الشمالْ

ردّي إلى الأحباب قُبلتهم

ولا تأتي إليّ ! .

من يشتري صدر المسيح

ويشتري جلد الغزال

ومعسكرات الاعتقال

ديكورَ أُغنية عن الوطن المفتَّت في يديّ !

كان الحديث سدى عن الماضي ،

وكان الأصدقاء

يضعون تاريخ الولادة بين ألياف الشجر

ودُعتُهم . .

فنسيتُ خاصرتي وحنجرتي وميعاد المطر
وتركتُ حول زنودهم قيدي
فصرت بدون زند ، واختصمتُ مع الشجر
والأصدقاء هناك ينتظرون بوليساً
وطوق الياسمين
وأنا أحاول أن أكون
ولا أكون . .

أغنيات حب إلى إفريقيا

- ١ -

هل يأذن الحُرّاس لي بالانحناء
فوق القبور البيض يا إفريقيا ؟
ألقتْ بنا ريح الشمال إليك
واختصر المساء
أسماءنا الأولى . .
وكُنّا عائدين من النهار
بكآبة التنقيب عن تاريخنا الآتي
وكنّا متعبين .
ضاع المغنّي والمحاربُ والطريق إلى النهار

ـ من أنت ؟

* عصفور يجفِّفُ ريشه الدامي

ـ وكيف دخلتَ ؟

* كان الأفق مفتوحاً

وكان الأوكسجين

مل ء الفضاء

ـ وما تريد الآن ؟

* ريشةَ كبرياء

وأُريد أن أرث الحشائش والغناء

فوق القبور البيض . . يا إفريقيا !

- ٢ -

هل يأذن الحراس لي بالاقتراب
من جُثّة الأبنوس . . يا إفريقيا ؟
ألقتْ بنا ريحُ الشمال إليك ،
واختبأ السحابْ
في صدرك العاري ،
ولم تُعلن صواعقُنا حدودَ الاغترابْ
والشمسُ بالمجّان مثل الرمل والدم ،
والطريق إلى النهار
يمحو ملامحنا ، ويتركنا نعيد الانتظار
صَفّاً من الأشجار والموتى . .
نحبُّـكِ . .
نشتهي الموت المؤقّت
نشتهيه ويشتهين .
نلتفُّ بالمدنِ البعيدة والبحار
لِنفسِّر الأمل المفاجىء
والرجوعَ إلى المرايا
ـ من أنتَ ؟
* جنديٌّ يعود من التراب
بهزيمة أخرى وصورةِ قائدٍ

٩

ـ ماذا تريد ؟

* بيتاً لأمعائي ، وطفلاً من حديد

وأُريد صكَّ براءتي

وأُريد يا إفريقيا

ـ ماذا تريد ؟

* أُريد أن أرث السحاب

من جُثَّة الأبنوس .. يا إفريقيا

ألقت بنا ريح الشمال إليك

يا إفريقيا

ألقتْ بنا ريح الشمال

لنكون عُشّاقاً وقتلى .

وبدون ذاكرةٍ ذكرنا كل شيء عن ملامحنا

ووجهُك فوق خارطة الظلال

مرَّ المغني تحت نافذةٍ

وخبّأ صوته في راحتيه

سرّاً يحبُّك ، أو علانيةً يمرّ

وينحني كالقوس . يا إفريقيا

وحشيّتــان

عيناك - يا إفريقيا - وحزينتان

عيناك كالحبِّ المفاجيء

كاليراعة حين تُفترعُ البراعة .

مرّ المغني تحت نافذة

وأعلن يأسه

- من أنت ؟

* عاشق

- من أين جئت ؟

● أنا من سلالات الزنابق والمشانق

والريح تحبل .. ثم تُنجبني

وترميني على كل الجهات

- ماذا تريد ؟

● أُريد ميلاداً جديد

وأريد نافذة جديده

لأحبَّها سرّاً وتقتلني علانيةً

وأرحل عنك .. يا إفريقيا !

الطفلة احترقتْ أمُّها

أمامها..

احترقتْ كالمساءْ .

وعلَّموها : يصير اسمها ـ

في السَّنَة القادمه ـ

سيِّدَة الشهداءْ

وسوف تأتي إليها

إذا وافق الأنبياء !

الطفلةُ احترقتْ أمها

امامها . .
احترقت كالمساء .

من يومها ،
لا تحبُّ القمر
ولا الدُّمى
كُلَّما
جاء المسا ، صرخت كُلُّها :
أنا قتلتُ القمر
لأنه قال لي : . . . قال . . [illegible] .
أُمّكِ لا تشبه البرتقال
ولا جذوع الشجر
أُمّكِ في القبر
لا في السماء .

الطفلةُ احترقتْ أُمها
أمامها . .
احترقت كالمساء . .

بلادي بعيدة
تبخّر مني ثراها
إلى داخلي . .
لا أراها .
وأنت بعيده
أراك
كومضة ورد مفـاجىء
وفي جسدي رغبةٌ في الغناء
لكـلّ الموانىء .

.. وإني أحبُّـكِ

لكنني

لا أُحبُّ الأغاني السريعةْ

ولا القُبَلَ الخاطفه

وانت تحبّينها

كبحّارة يائسين ..

أرى عبر زنبقة المائله

وعبر أناملك الشارده

أرى البرق يخطف وجهي القديم

إلى شرفة ضائعه

وانت تحبّينني -

قلت -

من أجل هذا المساء .

لنرقص إذن ،

أنا الماء والظلّ

والظل والماء لا يعرفان الخيانه

لا الانكسارْ

ولا يذكران

ولا ينسيان

ولكن . . لماذا ؟

لماذا تـوقفتِ الأسطوانه ؟

ومن خَدَشَ الأسطوانه

لماذا تدور على نفسها :

بلادي بعيده

بلادي

بلادي

بلادي

خطوات في الليل

دائماً ،
نسمعُ في الليل خطى مقتربهْ
ويفرُّ البابُ من غرفتنا
دائماً ،
كالسُحُب المغتربه ! .

ظلُّكِ الأزرقُ من يسحبُهُ
من سريري كُلَّ ليلهْ ؟
الخطى تأتي ، وعيناك بلاد
وذراعاك حصارٌ حول جسمي

والخطى تأتي

لماذا يهرب الظل الذي يرسمني

يا شهرزاد ؟

والخطى تأتي ولا تدخلُ

كوني شجرا

لأرى ظلّك

كوني قمرا

لأرى ظلك

كوني خنجرا

لأرى ظلك في ظلّي

ورداً في رماد ! . .

دائماً ،

أسمعُ في الليل خطى مقتربه

وتصيرين منافيَّ

تصيرين سجوني . .

حاولي أن تقتليني

دفعةً واحدة

لا تقتليني

بالخطى المقتربه ! .

سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا

يجيئون ،
أبوابُنا البحرُ ، فاجأنا مطرٌ . لا إله سوى الله . فاجأنا
مطرٌ ورصاصٌ . هنا الأرضُ سُجّادةٌ ، والحقائب
غربةْ ! .
يجيئون ،
فلترجَّلْ كواكبُ تأتي بلا موعد . والظهورُ التي
استندتْ للخناجر مضطرةٌ للسقوط .
وماذا حدث ؟
أنت لا تعرف اليوم . لا لون . لا صوت . لا طعم .
لا شكل . . يُولد سرحان ، يكبر سرحان ،

يشرب خمراً ويسكرُ . يرسمُ قاتله.ويمــزّق
صورته . ثم يقتله حين يأخذ شكلاً أخيراً .
ويرتاح سرحان .
سرحان ! هل أنتَ قاتل ؟
ويكتب سرحان شيئاً على كُـمِّ معطفه ، ثمَّ تهرب
ذاكرةٌ من ملفِّ الجريمة . . تهرب . . تأخذ
منقار طائر .
وتأكل حبة قمح بمرج بن عامر .
وسرحانُ مُتَّـهم بالسكوت ، وسرحان قاتل

* * *

وما كان حُبّاً
يدان تقـولان شيئاً، وتنطفئان .
قيودٌ تلدْ
سجونٌ تلد
منافٍ تلد .
ونلتفُّ باسمك ،
ما كان حُبّاً
يدان تقولان شيئاً . . وتنطفئان .
ونعرف ، كُنّا شعوباً ، وصرنا حجاره
ونعرف ، كنتِ بلاداً وصرت دخان

ونعرف أشياء أكثر
نعرف ، لكنَّ كل القيود القديمه
تصير أساور ورد
تصير بكاره
في المنافي الجديده .
ونلتفُّ باسمك
ما كان حُبّاً
يدان تقولان شيئاً وتنطفئان .
وسرحان يكذب حين يقول رضعتُ حليبك ، سرحان
من سل لذكرة ، وتربّى بمطبخ باخرة لم تلامس
مياهكِ . ما اسمك ؟
ـ نسيت .
وما اسم أبيك ؟
ـ نسيت
وأُمك ؟
ـ نسيت .
وهل نمتَ ليلةَ أمس ؟
ـ لقد نمتُ دهراً .
حلمت ؟
ـ كثيراً .

بماذا ؟

ـ بأشياء لم أرها في حياتي

وصاح بهم فجأة :

ـ لماذا أكلتم خضاراً مُهرَبة من حقول أريحا ؟

ـ لماذا شربتم زيوتاً مهرَّبة من جراح المسيح ؟

وسرحانُ مُتَّهم بالشذوذ عن القاعده .

* * *

رأينا أصابعه تستغيث . وكان يُقيس السماء بأغلاله .

زرقةُ البحر يزجرها الشرطيُّ ، يعاونه خادم آسيويّ .

بلاد تغيِّر سكانها ، والنجوم حصى .

وكان يغنّي : مضى جيلنا وانقضى .

مضى جيلنا وانقضى .

وتناسل فينا الغُزاةُ تكاثر فينا الطغاة . دم كالمياه ،

وليس تجففه غير سورة عم وقبعةِ الشرطيّ

وخادمِهِ الأسيوي . وكان يقيس الزمان بأغلاله .

سألناه : سرحان عمَّ تساءلت .

قال : اذهبوا . فذهبنا

إلى الأمهات اللواتي تزوّجن أعداءنا .

وكنَّ ينادين شيئاً شبيهاً بأسمائنا .
فيأتي الصدى حَرَساً .
ينادين قمحاً .
فيأتي الصدى حَرَساً .
ينادين عدلاً
فيأتي الصدى حَرَساً
ينادين يافا
فيأتي الصدى حرساً .
ومن يومها ، كفَّت الأمهات عن الصلوات ، وصرنا
نقيس السماء بأغلالنا
وسرحان يضحك في مطبخ الباخره .
يعانق سائحة ، والطريقُ بعيدٌ عن القدس والناصره
وسرحان مُتَّهم بالضياع وبالعـدميَّه

* * *

وكـلُّ البلاد بعيدهْ .
شوارعُ أُخرى اختفت من مدينته (أخبرتهُ الأغاني
وعزلتُهُ ليلة العيد أن له غرفة في مكان) .
ورائحةُ البنِّ جغرافيا .
وما شرَّدوك . . وما قتلوك .
أبوك احتمى بالنصوص ، وجاء اللصوص .

ولستَ شريداً . . ولستَ شهيداً . . وأمك باعت
ضفائرها للسنابل والأمنيات : (وفوق سواعدنا
فارسٌ لا يسلِّم (وشم عميق) . وفوق أصابعنا
كرمةٌ لا تهاجر (وشم عميق) .
خُطى الشهداء تُبيدُ الغزاة
نشيد قديم)
ونافذتان على البحر يا وطني تحذفان المنافي . . وأرجع
(حلم قديم ـ جديد)
شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني
وعزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان) .
ورائحةُ البُنِّ جغرافيا .
ورائحة البن يدْ
ورائحة البن صوت ينادي . . ويأخذ . .
رائحة البن صوت ومئذنة (ذات يوم تعود) .
ورائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب . ينكمش
الماء يوماً ويبقى الصدى .
وسرحان يحمل أرصفة ونوادي ومكتب حجز التذاكر
سرحان يعرف أكثر من لغة وفتاة . ويحمل تأشيرة
لدخول المحيط وتأشيرة للخروج . ولكن سرحان
قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها . . وسرحان

قطرة دم تفتِّش عن جثة نُسيتها .. وأين ؟
ولست شريداً .. ولست شهيداً .
ورائحة البن جغرافيا .
وسرحان يشرب قهوته ..
ويضيع .

* * *

هنا القدس .
يا امرأة من حليب البلابل ، كيف أُعانق ظلّي ..
وأبقى ؟
خُلقتَ هنا . وتنامُ هناك .
مدينته لا تنام . وأسماؤها لا تدوم . بيوت تغيِّـر
سكانها . والنجوم حصى .
وخمس نوافذ أخرى ، وعشر نوافذ أخرى تغادر
حائط
وتسكن ذاكرة .. والسفينة تمضي .
وسرحان يرسم شكلاً ويحذفه : طائرات وربٌّ قديم
ونابالم يحرق وجهاً ونافذة .. ويؤلف دوله .
هنا القدس .
يا امرأة من حليب البلابل ، كيف أعانق ظلي ..
وأبقى ؟

ولا ظلّ للغرباء .
سماءٌ يرافقهم ، والمساء بعيد عن الأمهات قريب من
الذكريات . وسرحان لا يقرأ الصحف العربية . .
لا يعرف المهرجانات والتوصيات . فكيف إذن
جاءه الحزن . . كيف تقيَّأ ؟
وما القدس والمدن الضائعه
سوى ناقة تمتطيها البداوهْ
إلى السلطة الجائعه .
وما القدس والمدن الضائعه
سوى منبر للخطابه .
ومستودعٍ للكآبه .
وما القدس إلاّ زجاجة خمر وصندوق تبغ . . .
. . . ولكنها وطني .
من الصعب أن تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي . .
ولكنها وطني
من الصعب أن تجدوا فارقاً واحداً
بين حقل الذره
وبين تجاعيد كفّي
ولكنها وطني . .

لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكره
وبين المساء الذي يسكن الكرملا
ولكنها وطني .
في الحقيقة والدم متّسع للجميع .
وخط الطباشير لا يكسر المطر المقبلا
هنا القدس . .
كيف تعانق حريتي - في الأغاني عبوديتي
وسرحان يرسم صدراً ويسكنه،
وسرحان يبكي بلا ثمن ووسام
ويشرب قهوته . . ويضيع

* * *

يمزق غيماً ، ويرسله في اتجاه الرياح . وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة . لا بُدَّ من تربة صالحه .
تذهب صيحاتنا عبثاً ؟
أكلتَ . . شـربتَ . . ونمتَ . حلمت كثيراً . أفقتْ
تعلمت تصريف فعل جديد . هل الفعل معنى بآنية
الصوت . . أم حركه ؟
وتكتب ض . ظ . ق . ص . ع . وتهرب منها ، لأن
هدير المحيطات فيها ولا شيء فيها . ضجيج الفراغ
حـروف تميزنا عن سوانا - طلعنا عليهم طلوع

المنون ـ فكانوا هباء وكانوا سدىً . سدىً نحن.
هم يحرثون طفولتنا ويصكون أسلحة من أساطير
أعلامهم لا تغني . وأعلامنا تجهضُ الرعد.
نقصفهم بالحروف السمينة : ض . ظ . ص .
ق . ع . ثم نقول انتصرنا . وما الأرض ؟ ما قيمة
الأرض ؟ أتربة ووحول . نقاتل أو لا نقاتل ؟
ليس مهماً ذلك ما دامت الثورة العربية محفوظة
في الأناشيد والعيد والبنك والبرلمان .
وتعرف أن الغزاةعصي بأيدي المماليك . تكتب
ض . ظ . ق . ص . ع .
تمزق غيماً وترسله في اتجاه الرياح . وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة . لا بد من تربة صالحه .
وتمضي السفينة . تبقى غريباً . جراحك مطبعة
للبلاغات
والتوصيات . وباسمك تنتصر الأبجدية ، باسمك
يجلس عيسى إلى مكتب ويوقع صفقة خمر وأقمشة
ويحيي العساكر باسمك . باسمك تُحفظ في خيمة
وتُعلَّب في خيمة . لا هوية إلاّ الخيام . إذا
احترقت . . ضاع منك الوطن .
وباسمك تأتي وتذهب. باسمك حطّين تصبح مزرعة
للحشيش، وثوّارك السابقون سعاة بريد . وباسمك

لا شــيء . يأتي القضاة ، يقولون للطين كن جبلاً
شامخاً فيكون . يقولون للترعة انتفخي أنهراً فتكون
وتكتب ض . ظ . ص . ع . ق .
تُمــزِّق غيمــاً وتـرسله في اتجـاه الـريـاح . ومــاذا ؟
هنالك غيم شديد الخصوبة . لا بدّ من تربةٍ صالحه
أتذهب صيحاتنا عبثاً ؟
وليست خيامك ورد الرياح . **وليست** مظلات شاطىء .
تَـدجَّـجْ .أعمدة الخيمـة . اخترقي يـا هويَّتنـا ـ صاح
لاجئ . وسرحان يشرب قهوته . للجليل مزايا كثيرة .
ويحلم ، يحلم ، يحلم . . آه ـ انجليل !

* * *

ومَن كفَّ يوماً عن الاحتراق
أعارَ أصابعه للضماد
وصـرَّح لـلصحفيِّ وللعدسات :
جريح أنا يا رفاق
ونال وساماً . . وعاد .

وسرحانُ ،
ما قال جرحي قنديل زيت وما قال .
صدري شبّاك بيت وما قال . .
جلدي سجّادة للوطن .

وما قال شيئاً .
أتذهب صيحاتنا عبثاً ؟
كل يوم نموت ، وتحترق الخطوات وتولد عنقاء
ناقصة ، ثم نحيا لنُقتل ثانيةً .
يا بلادي ، نجيئك أسرى وقتلى .
وسرحان كان أسير الحروب ، وكان أسير السلام .
على حائط السّبي يقرأ أنباء ثورته خلف ساق مغنّية
والحياةُ طبيعيَّة ، والخضار مهرَّبة من جباه العبيد
إلى الخطباء . وما الفرق بين الحجارة والشهداء ؟
وسرحان كان طعام الحروب ، وكان طعام السلام .
على حائط السّبي تعرض جثّته للمزاد . وفي المهجر
العربي يقولون : ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة ؟
وسرحان كان قتيل الحروب ، وكان قتيل السلام .
على حائط السّبي يصطدم العلم الوطني بأحذية الحرس
الملكي . وحربك حربان . حربك حربان .
سرحان ! لا شيء يبقى ، ولا شيء يمضي . اغتربتَ . .
لجأتَ . . عرفت . ولست شريداً ولست شهيداً
خيامك طارت شراره .
وفي الريح متّسعٌ

هل قَتَلت ؟

ويسكتُ سرحان . يشرب قهوته ويضيع . ويرسم
خارطة لا حدود لها . ويقيس الحقول بأغلاله .

ـ هل قتلت ؟

وسرحان لا يتكلم . يرسم صورةَ قاتله من جديد ،
يمزِّقها ، ثم يقتلها حين تأخذ شكلاً أخيراً . .

ـ قتلت ؟

ويكتب سرحان شيئاً على كُمِّ معطفه ، ثم تهرب
ذاكرة من ملفِّ الجريمة . . تهرب . . تأخذ منقار
طائر .

وتزرع قطرة دم بمرج بن عامر .

محاولة رقم ٧

١٩٧٣



كأني أحبك

لماذا نحاول هذا السفرْ
وقد جرّدتني من البحر عيناكِ
واشتعل الرمل فينا . . .
لماذا نحاولُ ؟
والكلماتُ التي لم نقلها
تُشرّدنا . .
وكل البلاد مرايا
وكل المرايا حجرْ
لماذا نحاول هذا السفرْ ؟

هنا قتلوكِ

هنا قتلوني .

هنا كنتِ شاهدةَ النهر والملحمهْ .

ولا يسأم النهرُ

لا يتكلّمُ

لا يتألّمُ

في كلِّ يوم لنا جُثّةٌ

وفي كُلِّ يوم لهم أوسمهْ

هنا وقف النهر ما بيننا

حارساً

يجعل الضفتينْ

توأمين

بعيدين ، كالقُرب ، عنّا

قريبين ، كالبُعد ، منّا

ولا بُدَّ من حارسٍ

آهِ ، لا بُدَّ من حارس بيننا .

كأنَّ المياهَ التي تفصل الضفتين

دمُ الجسدينْ

وكنّا هنا ضفتين

وكنّا هنا جسدين

وكلّ البلاد مرايا
وكلّ المرايا حجرْ
لماذا نخاول هذا السفرْ ؟

كأنَّ الجبال اختفتْ كُلُّها
وكأنّي أحبّكِ
كان المطارُ الفرنسيُّ مزدحماً
بالبضائع والناسِ .
كُلُّ البضائع شرعيّة
ما عدا جسدي
آه .. يا خلف عينيك .. يا بلدي
كنتُ ملتحماً
بالوراء الذي يتقدّمُ
ضيّعتْ سيفي الدمشقيّ مُتّهما
بالدفاع عن الطينِ
ليس لسيفيَ رأيٌ بأصلِ الخلافةِ
فاتهموني ...
علّقوني على البُرجِ
وانصرفوا
لترميم قصر الضيافة ..

كأنّي أحبُّكِ حقاً
فأغمدتُ ريحاً بخاصرتي
كنتِ أنت الرياحَ وكنتِ الجناح
وفتشتُ عنك السماء البعيدةْ
وقد كنتُ أستأجر الحُلْمَ
- للحلم شكلٌ يُقلِّدها -
وكنتُ أُغنّي سدى
لحصان على شجرْ .
وفي آخر الأرضِ أرجَعَني البحرُ
كُلّ البلاد مرايا
وكل المرايا حجرْ
لماذا نحاول هذا السفرْ ؟

تكونين أقربَ من شفتيّ
وأبعدَ من قُبلة لا تصلْ
كأنّي أحبُّــك
كان الرحيلُ يطاردني في شوارع جسمكْ
وكان الرحيل يحاصرني في أزقّـة جسمك
فأتركُ صمتي على شفتيك
وأترك صوتي على درج المشنقةْ

كأني أحبُّكِ
كان الريح يخبِّئني في جزائر جسمك
ـ واسعٌ ضيقٌ هذا المدى ـ
والرحيل يخبِّئني في فم الزنبقهْ .
أعيدي صياغةَ وقتي
لأعرف أين أموت سدى
ـ مَرَّ يومٌ بلا شهداءْ ـ
أعيدي صياغة صوتي
فإنَّ المغنِّي الذي ترسم الفتياتُ له صورةً
صادروا صوته
ـ مرَّ يومٌ بلا شعراءْ ـ
وبين الفراغين أمشي إليكِ وفيكِ
وأولدُ من نُطفةٍ لا أراها
وألعبُ في جُثَّتي والقمرْ

لماذا نحاول هذا السفرْ ؟
وكل البلاد مرايا
وكل المرايا حجرْ
لماذا نحاول هذا السفر ؟

النزول من الكرمل

ليوم يحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي .
وينتشرُ البحر بين السماء ومدخلِ جرحي
وأذهبُ في أُفُقٍ ينحني فوقنا ، ويُصلّي
لنا ، أويكسِّرهـا. هذه الأرض تشبهنا
حين نأتي إليها . وتشبهنا حين نذهب عنها .
تركتُ ورائي ملامحها ، واسمُها كان يمشي أمامي
يُسمّي ملامحَها وانفجاري . تركتُ سرير الولادهْ
تركتُ ضريحاً مُعدّاً لأيِّ كلام . .
تركتُ التي أوجَعَتْهَا ذراعي . تركت التي أوجعتني يداها .
تُفتِّشُ عن عاشقٍ بعد خمس دقائق من هجرتي .

ليومٍ يحدِّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي

تمرُّ الرصاصةُ فوق جبيني ، وتجمعني مثلما تجمع القبلةُ
الشفتينْ
وتولدُ رمّانةٌ في الصخور التي دجَّنتْني ، وتجعلني عاشقين
بعيداً . . بعيداً .
وينتشر البحر بين السماء ومدخل جرحي

تخيَّلتُ أنكَ مُتَّكئي
وشمتُ العلاقة بين المسامير والخشبَهْ
وحين ترجَّلتُ عن قمَّة الرمح والجرح أمسكتُ شيئاً
فكان حذاءَ الحرسْ
يكمِّلني هابطاً هابطاً . .

منذ ذاك النهار المبكِّر أبحث عن موطىء القدمين
وأتبعُ نهراً ، ولا أتبع الموجَ .
هل أستردُّ زفيري ! .

يُقاسمُني عسكريٌّ جراحي
ويحرسها كي ينال وساماً
ويمنعني من مواصلة الموتِ ، يأخذ نصف جراحي
ويترك نصفاً لأمن الأممْ .
يهزُّ أصابع كفّي
فتسقط ذكرى ،

رصاصٌ قديم ،

صنوبرةٌ ،

ثمر فاسدٌ ،

تهمةٌ ،

أسئلةْ

يفتّشُ كفّيَ ثانيةً ، فيصادر حيفا التي هرَّبتْ سُنْبلهْ

ويا أيها الكرملُ ،

الآن تقرع أجراس كل الكنائسْ

وتعلن أنَّ مماتي المؤقّت لا ينتهي دائماً ، أو ينتهي مَرَّةً .

أيها الكرمل ، الآن تأتي إليك العصافيرُ من ورق

كنتَ لا فرق بين الحصى والعصافيرِ ،

والآن بَعْثُ المسيح يُؤجَّل ثانيةً

أيها الكرمل ، الآن تبدأ عطلةُ كل المدارس

وتُنشدني الآن فيروز

والآن نأخذ أنبوبةً من حبوبٍ تُسيل الدموع ،

فنبكي على جبل طائرٍ

أيها الكرمل ، الآن يجعلني ضابط آخرٌ عرضة للخلود !

بَـعُدنـا عن الشجرِ . البحرُ فاصلةٌ بيننا

وها نحن بين الطهارة والإثم شيئان يلتحمان وينفصلان

كأنَّ الأحبَّة دائرةٌ من طباشيرَ

قابلةً للفناء وقابلة للبقاء .
وها نحن نحمل ميلادنا مثلما تحمل المرأةُ العاقرُ الحُلُما
وها أنتَ مئذنة الله حيناً
وقُبّعة لجنود المظلّات حيناً
وها أنتَ يا كرملي كُلّما
جرّدتني الحروبُ من الأرض أعطيتَني حُلُماً .
وها أنا أعلن أن الزمان تغيَّرَ :
كانت صنوبرةٌ تجعل الله أقربْ
وكانت صنوبرة تجعل الجرح كوكب
وكانت صنوبرة تُنجب الأنبياءْ
وتجعلني خادماً فيهمُ
أيها الكرمل المتشعِّب في كل جسمي
لماذا تحمّلني كل هذي المسافاتِ
والبحرُ فاصلةٌ بيننا ؟ .

أوقَفَتْني فتاةٌ معبّأة بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشامِ :
يا ليت دالية واحدة
لم تسافر معي . . فأعود إليها
قبّلتني فتاةٌ لأني لفظت اسم كرملها في مُكَبّر صوت ،

فجاءت إلى فندقي لتقول « أحبُّك » ، والتجأتْ
لاسمه في ذراعي .
ـ وماذا يقول الجبلْ ؟
* بكى قصبٌ في الغدير
وكان الغدير مرايا
فلم ينطق الجبلُ
ـ وهل رحلوا ؟
* تصبَّبَتِ الريحُ من جبهتي
فمسحتُ الرياحَ كما تمسحين العرقْ . . .
تذكّرتُ أني نهضت صباحاً
وكانت شهادةُ ميلاد أمّيَ قابلة للنقاش
وكانت أناشيد أهلي العربْ
تُرَتِّبُ أمتعة اللاجئين ،
وتبني جسور العبور ،
وصارت فلسطين أقربَ ،
فاختلف اللاجئون على موسم القمح والبرتقال .

أوقفتني فتاةٌ معبَّأةٌ بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشام :
يا ليت دالية واحده
لم تسافر معي . . . فأعود إليها

وسافرتُ ـ
يا أيها الكرملُ ، البحرُ ، والعشبُ ، والنارُ
يا صخرة الفرح العائمه
وصمَّمتُ جلدي قميصاً لأخفيَ آثار طعنتك النادمه
فأنكرَني العسكريُّ
وكنتُ على باب أمي هناك أنادي دمشقْ
فتسمع نبض دمي في حفيف صنوبركَ المبتعدْ
وتغسلني دجلةُ الخير حين أموت من الوجد شوقاً إلى
أرض بابل .
وها أنذا الآن
حين دخلتُ إلى الجامع الأمـويِّ تساءل أهل دمشق :
مَنِ العاشقُ المغتربْ ؟
وكانت مياه الفرات ونافورة النيل تحذف آثار زنزانتي
عن ضلوعي
وحين وقفتُ على النيل يوماً ، وشاطىء دجلة يوماً
تساءل كل الذين رأوا دهشتي
مَن السائحُ المغتربْ ؟!

تركتُ الحبيبة ـ لم أنسها ـ في غروب الشجرْ
تـطرِّز من زَبَد البحر منديلها وضمادي
توهَّمتُ أنّ السموات أبعدُ من يدها عن جبيني

وأوهمتُها أن قلبي يصلْ
وأنّ يدي تنتقلْ
إلى جُثّة ضائعه

تركتُ الحبيبة ـ لم أنسها ـ عند سفح الجبل
تعيـرُ العصافيرَ ألوانها
وكانت يداها ينابيعَ من كـلِّ لونٍ وما اشتُقَّ منه
ولكنني كنتُ أشعر أن الينابيع كانت معرَّضة للجفاف
وأنّ فمي ينتقل
إلى لُغَة ثانيه

تركتُ الحبيبة لم أنسها
تركت الحبيبة
تركت . . .

أحبُّ البلاد التي سأحبْ
أحب النساء اللواتي أحبْ
ولكن غصناً من السرو في الكرمل الملتهبْ
يُعادل كل خصور النساء
وكلَّ العواصم

أحبُّ البحار التي سأحبُّ

أحب الحقول التي سأحبُّ

ولكنَّ قطرةَ ماءٍ على ريش قُبَّـرةٍ في حجارة حيفا

تعادل كل البحار

وتغسلني من ذنوبي التي سوف أرتكبُ

أدْخِلُوني إلى الجنَّة الضائعه

سأطلق صرخةَ ناظم حكمت :

آه . . . يا وطني ! . . .

الخروج من ساحل المتوسط

- ١ -

سيلٌ من الأشجار في صدري
أتيتُ . . . أتيتُ
سيروا في شوارع ساعدي تَصِلوا .

وغزّةُ لا تصلّي حين تشتعلُ الجراح على مآذنها ،
وينتقل الصباح الى موانئها ، ويكتمل الردى فيها .

أتيتُ . . . أتيتُ
قلبي صالحٌ للشربِ
سيروا في شوارع ساعدي تَصِلوا .

وغزةُ لا تبيع البرتقال لأنه دمُها المعلَّبُ
كنتُ أهرب من أزقّتها ،
وأكتبُ باسمها موْتي على جميزة ،
فتصيرُ سيِّدةً وتحمل بي فتىً حراً .
فسبحان التي أسْرَتْ بأوردتي إلى يدها ! .

أتيتُ . . . أتيتُ
غَزَّةُ لا تصلّي .
لم أجد أحداً على جرحي سوى فمها الصغيرِ .
وساحلُ المتوسط اخترق الأبد . .

- ٢ -

لا توقفوني عن نزيفي !
ساعةُ الميلاد قَلّدَتِ الزَّمانَ ، وحاوَلَتْني
كنتُ صعباً - حاولتني
كنتُ شعباً - حاولتني مرة أخرى . .
أرى صفاً من الشهداء يندفعون نحوي ، ثم يختبئون في

صدري ويحترقون .

ما فَتَكَ الزمانُ بهم ، فليس لجثّتي حدٌّ . ولكني
أحس كأن كلَّ معارك العرب انتهتْ في جثتي ،
وأودُّ لو تتمزق الأيام في لحمي ويهجرني الزمان ،
فيهدأ الشهداءُ في صدري ويتفقون .

ما ضاق المكانُ بهم ، فليس لجثتي حدّ ، ولكنّ
الخلافة حصّنتْ سور المدينة بالهزيمةِ ، والهزيمةُ
جدّدتْ عمر الخلافة .
لا توقفوني عن نزيفي
ساعةُ الميلاد قلّدت الزمان وحاولتني
كنتُ صعباً - حاولتني مرة أخرى
أرى صفاً من الشهداء يندفعون نحوي
لا أحدْ ! .

- ٣ -

وتقاسمتْني هذه الأممُ القريبةُ والبعيدةُ .
كلُّ قاضٍ كان جزّاراً
تدرَّج في النبوءة والخطيئةِ
واختلفنا حين صار الكل في جزءٍ ،
وصار الجرحُ وردتَنا جميعاً
ابتعدنا . . .
إذهبْ إلى الموت الجميلِ -
ذهبتُ .
وحدي كنتُ
قلتم : نحن ننتظر الجنازة بالأكاليل الكبيرة والطبولِ ،
ونلتقي في القدسِ . . .
ليتَ القدس أبعدُ من توابيتي لأتَّهم الشهودَ
وما عليك ! ذهبتَ للموت الجميل
ومدينةُ البترول تحجز مقعداً في جنة الرحمن - قلتم لي
وطوبى للمُمـوِّل والمؤذِّن . . . والشهيد !

- ٤ -

تَعِبَ الرثاءُ من الضحايا
والضحايا جَمَّدتْ أحزانها

أوّاه ! مَنْ يرثي المراثي ؟
لستُ أدري أيُّ قافية تحنِّطني ، فأصبح صورة في معرض
الكتب القريب .
ولستُ أدري أيّ إحصائيَّة ستضمُّني . . .
يا أيها الشعراء . . . لا تتكاثروا !
ليست جراحي دفتراً .
يا أيها الزعماء . . . لا تتكاثروا !
ليست عظامي منبراً .
فدعوا دمي ـ حبرَ التفاهم بين أشياء الطبيعة والإله
ودعوا دمي ـ لغة التخاطب بين أسوار المدينة والغزاة .
دمي بريدُ الأنبياء .

ـ ٥ ـ

وأعود من تلقاء نفسي . . .
ليت شُبّاكي بعيد كي أرى أمي
وليت القيد أقرب كي أحسَّ النبض في زندي
وليت البحرِ أبعد كي أخاف من الصحاري
آه ، ليت الشيء عكس الشيء كي تتآكل الأشياء في
نفسي ، وتأخذ صيغة الفرح الحقيقيّ .
ابتعدْنا واقترْبنا وابتعدنا

يا أهالي الكهف قوموا واصلبوني من جديد
إنني آتٍ من الموت الذي يأتي غداً
آتٍ من الشجر البعيدِ
وذاهبٌ في حاضري - غدِكم .
أنا قشَّرتُ موجَ البحر زنبقةً-لغزة . .

- ٦ -

سيلٌ من الأشجارِ يخرج من ضلوع الصخر - يصقلني الفناءُ
وجدولٌ يمتد من صدري عمودياً - وتنحدر السماءُ
رأيتُ رأي القلب - ذوَّبني الضياءُ
فصرت صوتاً ، والحصى صار الصدى
وتنفَّس القبرُ القديمُ . . .
تحرَّك الحجرُ . . استردَّ دبيبَهُ منكم
أنا الأحياء والمدن القديمةُ
حاولوا أن تخلعوا أسماءكم تجدوا يديّ .
وحاولوا أن تنزعوا أثوابكم تجدوا دمي ،
أو حاولوا أن تحرقوا هذي الخرائط تبصروا جسدي -
أنا الأحياء والوطن الذي كتموهُ في تاريخكم . .
من جثتي بدأ الغزاةُ ، الأنبياءُ ، اللاجئون -

والآن يختتمون سيرتهم لأبدأ من جديد .

- ٧ -

تتحرَّك الأحجار .

هذا ساعدي متمايل كالرعب

ليس الربُّ من سكّان هذا القفرِ

هذا ساعدي .

تتحركُ الأحجارُ .

ما سرقوا عصا موسى .

وإنَّ البحر أبعدُ من يدي عنكم

إذن ، تتحـرَّك الأحجارُ

إن طلعوا وإن ركعوا ، وإن مرّوا وإن فرّوا -

أنا الحجرُ

أنا الحجرُ الذي مسَّتْهُ زنزلهُ .

رأيتُ الأنبياء يؤجِّرون صليبهم

واستأجرتْني آيةُ الكرسيِّ دهراً ، ثم صرت بطاقةً للتهنئات

تغيَّر الشهداءُ والدنيا

وهذا ساعدي .

تتحرك الأحجارُ

فالتفّوا على أسطورةٍ

لن تفهموني دون معجزةٍ ،
لأن لغاتكم مفهومَةٌ .
إن الوضوح جريمةٌ .
وغموض موتاكم هو الحقُّ - الحقيقةُ .
آه ، لا تتحرك الأحجار إلّا حين لا يتحرك الأحياء
فالتفّوا على أسطورتي !

- ٨ -

لن تفهموني
تخرج العذراءُ من ضلعي
تكون مشيئتي
وأصابُ بالأمطار والبرق الذي أدمنتُه
لن تفهموني
ناهضاً من قبركم
والأرضُ للشهداءِ -
أنهيتُ المغامرة الأخيرة وابتدأتُ :
هنا الخروج . هنا الدخولُ
هنا الذهابُ . هنا الإيابُ
ولا مكان هنا

أنا الزمن الذي لن تفهموني خارجَ الزمن الذي ألقى
بكم في الكهفِ ـ
هذي ساعتي :
ينشقُّ قبرٌ ثم أنهض صارخاً :
لا توقفوني عن نزيفي
لحظةُ الميلاد تسكنُني من الأزلِ ، استريحوا في جراحي ـ
ها هو الوطن الذي يتجدّدُ ،
الوطن الذي يتمجَّدُ ،
اقتربوا من الأشجار وابتدئوا معي !

ـ ٩ ـ

في غزةَ اختلفَ الزمان مع المكانِ
وباعةُ الأسماك باعوا فرصةَ الأمل الوحيد ليغسلوا
قدميّ
أين المجدليه ؟
ذابتْ أصابعها مع الصابون
وانهمرت كتاباتٍ كتاباتٍ
وكان الجندُ ينتصرون ينتصرون
كانوا يقرأون صلاتها
ويفتِّشون أظافرَ القدمين والكفين عن فَرحٍ فدائيّ ،

وكانوا يُلحقون حياتها
بدموع هاجَرَ . كانت الصحراء جالسةً على جلدي .
وأولُ دمعة في الأرض كانت دمعةً عربية .
هل تذكرون دموع هاجر ـ أوّلِ امرأةٍ بكتْ في
هجرة لا تنتهي ؟
يا هاجَرُ ، احتفلي بهجرتي الجديدةِ من ضلوع القبر
حتى الكون أنهضُ
يسكنُ الشهداءُ أضلاعيَ الطليقةَ
ثم امتشق القبورَ وساحلَ المتوسطِ
احتفلي بهجرتيَ الجديدهْ .

النهر غريب وأنت حبيبي

الغريبُ النهرُ - قالتْ
واستعدّتْ للغناءْ .
لم نحاول لغة الحبِّ ، ولم نذهب إلى النهر سدى
وأتاني الليلُ من منديلها
لم يأت ليلٌ مثل هذا الليل من قبل فقدّمت دمي للأنبياء
ليموتوا بدلاً منا . .
ونبقى ساعة فوق رصيف الغرباء
واستعدّتْ للغناء .

وحدنا في لحظة العُشّاقِ

أزهار على الماءِ
وأقدام على الماء
إلى أين سنذهبْ ؟
للغزال الريحُ والرمحُ . أنا السكّين والجرحُ .
إلى أين سنذهب ؟
ها هي الحريّةُ الحسناءُ في شريانيَ المقطوع ،
عيناكِ وبلدانٌ على النافذة الصغرى
ويا عصفورة النار ، إلى أين سنذهبْ ؟
للغزال الريحُ والرمحُ ،
وللشاعر يأتي زَمَنٌ أعلى من الماء ، وأدنى من حبال
الشّنْقِ .
يا عصفورة المنفى ! إلى أين سنذهبْ ؟
لم أودّعك . فقد ودّعتُ سطح الكرة الأرضيّةِ الآنَ .
معي أنت لقاء دائمٌ بين وداع ووداع .
ها أنا أشهدُ أن الحب مثل الموتِ
يأتي حين لا ننتظر الحبَّ ،
فلا تنتظريني . . .

الغريبُ النهرُ ـ قالتْ
واستعدّتْ للسّفَرْ .

الجهاتُ الكُلُّ لا تعرف عن « جانا »
سوى أنَّ المطرْ
لم يُبَلِّلها .
ولا تعرف عنها
غير أني قد تغيَّرتُ تغيَّرتُ .
تَصَبَّبتُ بروقاً وشجرْ
وأسرتُ السندبادْ .
والغريبُ النهر ـ قالت
ها هوِ الذي · الذي نَسْكُت
قد صار بلادْ
ها هِيَ الأرض التي نسكُنُ
قد صارت سفر .
والغريبُ النهرُ ـ قالت
واستعدَّتْ للسفر .

وحدنا لا ندخل الليلَ
لماذا يتمنَّى جسمُكِ الشعرَ
وزهرَ اللوتس الأبعدَ من قبري
لماذا تحلمين
بمزيدٍ من عيون الشهداءِ ؟

٤

اقتربي مني يزيدوا واحداً
« خبزي كفاف البرهة الأولى » . .
وأمضي نحو وقتي وصليبَ الآخرين .
وحدنا لا ندخل الليل سدى ،
يا أيها الجسم الذي يختصرُ الأرض ،
ويا أيتها الأرض التي تأخذ شكل الجَسَد الروحي
كوني لأكونْ .
حاولي أن ترسميني قمراً
ينحدرِ الليلُ إلى الغابات خيلا
حاولي أن ترسميني حجراً
تمضي المسافاتُ إلى بيتيَ خيلاً
فلماذا تحلمين
بمزيدٍ من وجوه الشهداءِ ،
ابتعدي عنّي يصيروا أمَّةً في واحد . . .
هل تحرقين الريح في خاصرتي ؟
أم تمتشقين الشمس ؟
أم تنتحرينْ ؟
عَلّمتني هذه الدنيا لغاتٍ وبلاداً غير ما ترسمه عيناكِ
لا أفهم شيئاً منكِ . لا أفهمُني جانا ،

فلا تنتظريني ! . .

الغريبُ النهرُ ـ قالتْ
واستعدَّتْ للبكاءْ .
لم تكن أجملَ من خادمة المقهى
ولا أقربَ من أمّي
ولكنّ المساءْ
كان قِطّاً بين كفّيه
وكان الأُفُقُ الواسع يأتي من زجاج النافذهْ
لاجئاً في ظل عينيها
وكان الغرباءْ
يملأون الظلّ
لن أمضي إلى النهر سدى .
إذهبي في الحلم يا جانا !
بكتْ جانا
وكان الوقتُ يرميني على ساعة ماءْ
إذهبي في الوقت يا جانا !
بكت جانا
وكان الحُلْم ذرّاتِ هواءْ .
إذهبي في الفَرَح الأولِ يا جانا !

بكت جانا
وكانَ الجرحُ وردَ الشهداءْ .

آه ، جانا
لم تكوني مُدُني
أو وطني
أو زمني
كي أوقف النهر الذي يجرفني
فلماذا تدخلين الآن جسمي
لتصيري النهرَ أو سيِّدةَ النهرِ
لماذا تخرجين الآنَ من جسمي
ومن أجلك جدَّدتُ الإقامه
فوق هذي الأرض . . جـدَّدت الإقامه
إذهبي في الحُلْم يا جانا !
بكتْ جانا
وصار النهرُ زنّاراً على خاصرتي .
واختفى شكل السماء . . .

كأني على موعد دائم معها
ها هي الأرض تُكمل دورتها
ها هو الوقتُ يُثمر تفاحةً
نلتقي ؟
لم أجد غيرها امرأةً ذاهبهْ
لم أجد غيرها خنجراً قادماً .
كـأنَّ خطاها مفاجأةُ الموتِ
تأتي مفاجِئةٍ
وكأني على موعدٍ دائم معها

تأخَّرتِ . .

أسرعتِ . .

إن فراغكِ ممتلىء قمراً

أحبُّك ، أم أتنفَّسُ ؟

أنتَظِرُ الشَّفتين ، أم الصاعقةْ ؟

لجسمكِ صوتٌ يذكِّرني بالولادةِ

حين أموتُ

(ومن عادتي أن أموت كثيراً)

تأخرتِ .

أسرعتِ . .

كالصاعقةْ !

. . . وأكتبُ عنك بلاداً

ويحتلّها الآخرون

وأرسمُ فيك جواداً

ويسرقه الآخرون

وأكتبُ

أرسمُ . .

كانت ذراعاك فاتحةَ الحزن والزهر

كنتُ أعود إلى الأرضِ

كنتُ

أصاهر في كفِّك الحجرا
وكان فراغُكِ ممتلئاً قمرا

كأني على موعد دائم معها
ها هي الأرض تكمل دورتها
ها هو الوقت يُثمر تفاحةً .
وللوقت كفٌّ تداعبني
مرةً ،
وتقتلني
مرة ،
أيها الوقت كن يدها كي أراك
أيها
الوقت
كن
يدها
كي أراها . .

٤

بين حلمي وبين اسمه

كان موتي بطيئا

باسمها أتراجَعُ عن حلمها . ووصلتُ أخيراً إلى
الحُلْم . كان الخريفُ قريباً من العشب . ضاع
اسمُها بيننا . . فالتقينا .
لم أسجِّل تفاصيل هذا اللقاء السريعِ . أحاول شرحَ
القصيدةِ كي أفهم الآن ذاك اللقاء السريع .
هي الشيءُ أوضـدُّهُ ، وانفجارات روحي
هي الماءُ والنار ، كنا على البحر نمشي .
هي الفرقُ بيني . . . وبيني .
وأنا حاملُ الإسم أو شاعر الحُلْم . كان اللقاء سريعاً .
أنا الفرقُ بين الأصابع والكفّ . كان الربيع

قصيراً . أنا الفرقُ بين الغصون وبين الشجرْ .
كنتُ أحْلمها ، واسمُها يتضاءلُ . كانت تُسمِّى
خلايا دمي . كنتُ أحلمها .
والتقينا أخيراً .
أحاول شرح القصيدة كي أفهم الآن ماذا حدث . .

ـ يحمل الحُلْم سيفاً ويقتل شاعرَهُ حين يبلغهُ ـ
هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن حاضراً
لم أكن غائباً
كنتُ بين الحضور وبين الغيابْ
حَجَراً . . . أو سحابه

ـ تُشبهين الكآبةَ
قلت لها باختصار شديد
تشبهين الكآبةْ
ولكنَّ صدرك صار مظاهرة العائدين من الموتِ . .
ما كنتُ جنديَّ هذا المكان
وثوريَّ هذا الزمان
لأحمل لافتةً ، أو عصا ، في الشوارعِ .

كان لقائي قصيراً

وكان وداعي سريعاً .

وكانت تصيرُ إلى امرأةٍ عاطفيهْ

فالتحمتُ بها

وحلمتُ بها

وصارت تفاصيلها وَرَقاً في الخريفِ

فلملمها عسكريُّ المرور

ورتَّبها في ملف الحكومه

وفي المتحف الوطنيّ

ـ تشبهين المدينةَ حين أكون غريباً

قلت لها باختصار شديد

تشبهين المدينهْ .

هل رآكِ الجنود على حافَّةِ الأرض

هل هربوا منكِ

أم رجموكِ بقنبلة يدويه ؟

قالتِ المرأة العاطفيَّة :

كلُّ شيء يلامس جسمي

يَتَحَوَّلُ

أو يتشكَّلُ

حتى الحجارة تغدو عصافير .
قلت لها باكياً :
ولماذا أنا
أتشرَّدُ
أو أتبدَّدُ
بين الرياح وبين الشعوب ؟
فأجابت :
في الخريف تعود العصافير من حالة البحرِ
ـ هذا هو الوقتُ
ـ لا وقت
وابتدأتْ أغنيهْ :

في الخريف تعود العصافير من حالة البحر
هذا هو الوقتُ ، لا وقتَ للوقتِ
هذا هو الوقتُ
ـ ماذا تكون البقيَّة ؟
ـ شبه دائرة أنتَ تُكملها
ـ أذهبُ الآن ؟
ـ لا تذهب الآن . إنَّ الرياح على خطأ دائماً .
والمدينةُ أقربْ .
ـ المدينةُ أقربُ !! أنتِ المدينةُ

ـ لستُ مدينهْ
أنا امرأةٌ عاطفيه
هكذا قلتَ قبل قليلْ
واكتشفتَ الدليل
وأنت البقيّه
ـ آه ، كنتُ الضحيّه
فكيف أكون الدليل ؟
وكنتُ أعانقها . كنت أسألها نازفاً :
أأنتِ بعيدهْ ؟
ـ على بُعْدِ حُلْم من الآن
والحُلْمُ يحمل سيفاً . ويقتل شاعره حين يبلغهْ
ـ كيف أكمل أغنيتي
والتفاصيل ضاعت . وضاع الدليل ؟
ـ انتهتْ صورتي
فابتدىء من ضياعك .

أموتُ ـ أحبُّكِ
إنَّ ثلاثة أشياء لا تنتهي :
أنتِ ، والحبُّ ، والموتُ
قبَّلتُ خنجركِ الحلوَ

ثم احتميتُ بكفّيكِ
أنْ تقتليني
وأن توقفيني عن الموتِ
هو هو الحب .
إنّي أحبكِ حين أموت
وحين أحبُّكِ
أشعر أني أموتُ
فكوني امرأه
وكوني مدينه !
ولكن ، لماذا سقطتِ ، لماذا احترقتِ
بلا سَبَبٍ ؟
ولماذا ترهّلت في خيمة بدويّه ؟
ـ لأنكَ كنتَ تمارس موتاً بدون شهيّه
وأضافت ،كأنَّ القَدَرْ
يتكسَّرُ في صوتها :
هل رأيتَ المدينة تذهب
أم كنتَ أنت الذي يتدحرج من شرفة اللّهِ
قافلةً من سبايا ؟
هل رأيتَ المدينةَ تهربُ
أم كنتَ أنت الذي يحتمي بالزوايا !

المدينةُ لا تسقطُ ، الناس تسْقط ! .
ورويداً . . رويداً تفتَّت وجهُ المدينهْ
لم نحوِّل حصاها إلى لُغَةٍ
لم نسجِّل شوارعها
لم ندافع عن البابِ
لم ينضج الموتُ فينا .
كانت الذكرياتُ مقرّاً لحكّام ثورتها السابقة
ومرَّثلاثون عاماً
وألف خريف
وخمس حروب
وجئتُ المدينةَ منهزماً من جديد
كان سورُ المدينة يُشبهني
وقلتُ لها :
سأحاول حُبّكِ . .
أنا لا أذكر الآن شكل المدينةِ
لا أذكرُ اسمي
ينادونني حَسَبَ الطقس والأمْزجه
لقد سقط اسميَ بين تفاصيل تلك المدينةِ
لملمه عسكريُّ المرور
ورتَّبه في ملف الحكومه

ـ تشبهين الهويَّةَ حين أكون غريباً
تشبهين الهويَّة .
ـ ليس قلبي قرنفلةً
ليس جسمي حقلاً
ـ ما تكونين ؟
هل أنت أحلى النساء واحلى المدنْ
ـ للذي يتناسل فوق السفنْ
وأضافت:
بين شوك الجبال وبين أماسي الهزائم
كان مخاضي عسيراً
ـ وهل عذَّبوكِ لأجلي ؟
ـ عذَّبوكَ لأجلي
هل عرفتِ الندمْ ؟
ـ النساء ـ المدن
قادراتٌ على الحبِّ ، هل أنتَ قادر ؟
ـ أحاول حبَّك
لكنَّ كل السلاسل
تلتفُّ حول ذراعيَّ حين أحاول . . .
هل تخونينني ؟
ـ حين تأتي إليَّ
ـ هل تموتين قبلي؟

سألتكِ : مُوتي !

ـ أيجديكَ مَوْتي ؟

ـ أصيرُ طليقاً

لأن نوافذ حُبِّي عبوديَّه

والمقابرُ ليست تثير اهتمام أحدْ

وحين تموتين

أكمل موتي .

بين حُلْمي وبين اسمِهِ

كان موتي بطيئاً بطيئاً .

أموت ـ أحبُّكِ

إنَّ ثلاثة أشياء لا تنتهي

أنت ، والحبُّ ، والموتُ

أن تقتليني

وأن توقفيني عن الموتِ .

هذا هو الحبّ

. . . وانتهتْ رحلتي فابتدأتُ

وهذا هو الوقتُ : ألاَّ يكون لشكلكِ وقتٌ .

لم تكوني مدينه

الشوارعُ كانت قُبَلْ

وكان الحوار نزيفاً
وكان الجبلْ
عسكرياً . وكان الصنوبر خنجرْ .
ولا امرأة كنتِ
كانت ذراعاكِ نهرين من جُثَثٍ وسنابلْ
وكان جبينُكِ بيدر
وعيناكِ نار القبائلْ
وكنتُ أنا من مواليد عام الخروج
ونسل السلاسل .

يحملُ الحلمُ سيفاً ، ويقتل شاعره حين يبلغُهُ ـ
هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن غائباً
لم أكن حاضراً
كنتُ مختفياً بالقصيدهْ ،
إذا انفجرت من دمائي قصيده
تصير المدينةُ ورداً ،
كنتُ أمتشق الحُلْمَ من ضلعها
وأحارب نفسي
كنتُ أعلن يأسي
على صدرها ، فتصير امرأه

كنتُ أعلن حبي

على صدرها ، فتصير مدينه

كنتُ أعلن أنَّ رحيلي قريب

وأنَّ الرياح وأنَّ الشعوب

تتعاطى جراحي حبوباً لمنع الحروب .

بين حلمي وبين اسمه

كان موتي بطيئاً

باسمها أتراجع عن حُلْمها. ووصلتُ

كان الخريف قريباً من العشبِ .

ضاع اسمها بيننا . . فالتقينا .

لم أسجّل تفاصيل هذا اللقاء السريع

أحاول شرح القصيده

لأغلق دائرة الجرح والزنبقه

وأفتح جسر العلاقة بين الولادة والمشنقه

أحاول شرح القصيده

لأفهم ذاك اللقاء السريع

أحاول

أحاول . . أحاول !

طوبى لشيء لم يصل !

هذا هو العُرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي . .
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيبُ إلى الحبيبْ
إلاّ شهيداً أو شريدا

دَمُهم أمامي . .
يسكن اليوم المجاورَ ـ
صار جسمي وردةً في موتهمْ . .
وذبلتُ في اليوم الذي سَبَقَ الرصاصةْ

وازدهرتُ غداةَ أكملتِ الرصاصةُ جُثّتي
وجمعتُ صوتي كله لأكون أهدأ من دمٍ
غطّى دمي . . .

دَمُهم أمامي
يسكن المدنَ التي اقتربتْ
كأنَّ جراحهم سفنُ الرجوعِ
ووحدهم لا يرجعون . . .
دمُهم أمامي . .
لا أراهُ
كأنه وطني
أمامي . . . لا أراهُ
كأنه طُرُقات يافا ـ
لا أراهُ
كأنه قرميد حيفا ـ
لا أراهُ
كأنَّ كل نوافذ الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهُم يرون
وحاسَّةُ الدم أينعتْ فيهم
وقادتهم إلى عشرين عاماً ضائعاً

والآن ، تأخذ شكلها الآتي
حبيبتُهم . .
وترجعهم إلى شريانها .

دمهم أمامي . .
لا أراهُ
كـأنَّ كل شوارع الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
لأنهم يتحررون الآن من جلد الهـزيمـةِ
والمرايا
ها همُ يتطايرون على سطوحهم القديمةِ
كالسنونو والشظايا
ها همُ يتحررون . . .

طوبى لشيء غامضٍ
طوبى لشيء لم يصل
فكّوا طلاسمه ومزّقهُمْ
فأرّخْتُ البداية من خطاهم
(ها هي الأشجار تزهرُ

في قيودي)
وانتميت إلى رؤاهم
(ها هي الميناء تظهرُ
في حدودي)
والحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلمِ
والوطن المرابط خلفَهُ . . .
الحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلمِ
والجسد المخبّأ في شظيَّهْ
والحلم أكثر واقعيّه

السفحُ أكبر من سواعدهمْ
ولكنْ . .
حاولوا أن يصعدوا
والبحر أبعد من مراحلهم
ولكن . .
حاولوا أن يعبروا
والنجمُ أقرب من منازلهم
ولكن . .
حاولوا أن يفرحوا
والأرضُ أضيقُ من تصورهم

ولكن . .
حاولوا أن يحلموا
طوبى لشيء غامض !
طوبى لشيء لم يصلْ
فكوا طلاسمه ومزّقهم
فأرّختُ البداية من خطاهم
وانتميت إلى رؤاهم
آه . . يا أشياء ! كوني مبهمه
لنكون أوضح منك
أفلستِ الحواسُّ وأصبحتْ قيداً على أحلامنا
وعلى حدودِ القدسِ ،
أفلست الحواسُّ . وحاسَّةُ الدم أينعت فيهم
وقادتهم إلى الوجه البعيد
هربت حبيبتهم إلى أسوارها وغزاتها
فتمردوا
وتوحدوا
في رمشها المسروق من أجفانهم
وتسلّقوا جدران هذا العصرِ
دقّوا حائط المنفى
أقاموا من سلاسلهم سلالمْ

ليقبّلوا أقدامها

فاكتظَّ شعبٌ في أصابعهم خواتمْ

هذا هو العرس الذي لا ينتهي

في ساحة لا تنتهي

هذا هو العُرسُ الفلسطينيُّ

لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ

إلاّ شهيداً . . أو شريدا

ـ من أي عامٍ جاء هذا الحزن ؟

ـ من سَنةٍ فلسطينيةٍ لا تنتهي

وتشابهتْ كل الشهور ، تشابه الموتى

وما حملوا خرائط أو رسوماً أو أغاني للوطن

حملوا مقابرهم . .

وساروا في مهمتهم

وسرنا في جنازتهم

وكان العالم العربيُّ أضيق من توابيت الرجوع

أنراك يا وطني

لأن عيونهم رسمتْك رؤيا . . لا قضيه !

أنراك يا وطني

لأن صدورهم مأوى عصافير الجليل وماء وجه المجدليه !
أنراك يا وطني
لأن أصابع الشهداء تحملنا إلى صفدٍ
صلاةً .. أو هويّه
ماذا تريد الآن منّا
ماذا تريد ؟
خذهم بلا أجرٍ
ووزِّعهم على بيّارة جاعت
لعلَّ الخضرة انقرضت هناك ..

الشيء .. أم هُمْ ؟
إن جثة حارسٍ صمّامُ هاوية الدمّي -
(هكذا صار الشعار ، وهكذا قالوا)
ومرحلةً بأكملها أفاقتْ - ذات حلم -
من تدحرجها على بطن الهزيمة ، (هكذا ماتوا)
وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحر
والمدن اللقيطة ساحلٌ لم يتّسع إلاّ لموتانا ،
ومروا فيه كالغرباء (ننساهم على مهل)
وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحر

والمدن اللقيطة حارسٌ تعبت يداه من الإشارةِ .
لم يصل أحدٌ ومروا من يديه الآن
فاتسعتْ يداهُ
كلُّ شيء ينتهي من أجل هذا العرسِ . .
مرحلة بأكملها أفاقت ـ ذات موت ـ
من تدحرجها على بطن الهزيمه . .

الشيءُ . . أم هُمْ ؟
يدخلون الآن في ذرات بعضهم ،
يصير الشيء أجساداً ،
وهم يتناثرون الآن بين البحر والمدن
اللقيطة
ساحلاً
أو برتقالا ـ
كل شيء ينتهي من أجل هذا العرس
مرحلة بأكملها . . . زمانٌ ينتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب إلى الحبيب
إلاّ شهيداً أو شريدا .

موت آخر . . . وأحبك

- ١ -

أجدّدُ يوماً مضى ، لأحبُكِ يوماً . . وأمضي

وما كان حبّاً

لأن ذراعيّ أقصر من جبل لا أراهْ

وأكمل هذا العناق البدائيّ ، أصعد هذا الإلهَ

الصغير . .

وما كان يوماً

لأن فَراش الحقول البعيدةِ ساعةُ حائطْ

وأكملِ هذا الرحيل البدائيّ ، أصعد هذا الإله

الصغير

وما كنتِ سيدة الأرض يوماً

لأن الحروب تلامس خصرك سربُ حمامْ
وتنتشرين على موته أُفقاً من سلام
يسد طريقي إلى شفتيك ، فأصعد هذا الإلهَ
الصغير
وما كنتُ ألعب في الرمل لهواً
لأن الرذاذ يكسِّرني حين تعلن عيناكِ
أن الدروب إلى شهداء المدينة مقفرة من يديكِ
فاصعد هذا الإله الصغير . .
وما كان حباً
وما كان يوماً
وما كنتُ
وما كنتِ
إني أجدد يوماً مضى
لأحبك يوماً
وأمضي . .

- ٢ -

سألتكِ أن ترتديني خريفاً ونهراً
سألتك أن تعبري النهر وحدي
وتنتشري في الحقول معاً .

سألتك ألا أكون وألا تكوني
سألتك أن ترتديني
خريفاً
لأذبل فيك ، وننمو معاً .
سألتك ألا أكون وألا تكوني
سألتك أن ترتديني
نهراً
لأفقد ذاكرتي في الخريف
ونمشي معاً .

وفي كل شي ء نكون
يوحِّدنا ما يُشتِّتنا
ليس هذا هو الحبُّ
في كل شيء نكون
يجددنا ما يفتّتنا
ليس هذا هو الحبُّ ـ
هذا أنا . .
أجيئكِ منك ، فكيف أحبك ؟
كيف تكونين دهشة عمري ؟
وأعرف :

أن النساء تخون جميع المحبين إلاّ المرايا
وأع   :
ب يخون جميع المحبين إلاّ البقايا
بيسِ منك انتظاراً
وأغرق فيك انتحاراً
أجيئكِ منك انفجاراً
وأسقط فيك شظايا . .
وكيف أقول أحبك ؟
كيف تحاول خمس حواسّ مقابلة المعجزه
وعيناك معجزتان ؟
تكونين نائمة حين يخطفني الموجُ
عند نهاية صدرك يبتدىء البحرُ
ينقسم الكون هذا المساء إلى اثنين :
أنتِ ومركبة الأرض .
من أين أجمع صوت الجهات لأصرخ :
إني أحبك

- ٣ -

تكونين حريتي بعد موت جديد
أحبّ

أجدّد موتي
أودّع هذا الزمان وأصعد
عيناك نافذتان على حلم لا يجيء
وفي كل حلم أرمّم حلماً وأحلمُ
قالت مريّا : سأهديكَ غرفة نومي
فقلتُ : سأهديكِ زنزانتي يا مريّا
ـ لماذا أحبكَ ؟
* من أجل طفل يؤجِّل هجرتنا يا مريّا.
ـ سأهديكَ خاتم عرسي
* سأهديكِ قيدي وأمسي
ـ لماذا تحاربُ ؟
* من أجل يوم بلا أنبياء .
تكونين جندية . تغلقين طريقي . تقولين : ما اسمك ؟
أعلن أني أمشط موج البحار بأغنيتي ودمي
كي تكوني مريّا
ـ إلى أين تذهب ؟
* أذهب في أول السطر . لا شيء يكتمل الآن
ـ هل يلعب الشهداء بأضلاعهم كي تعود مريّا ؟
* تعود ، وهم لا يعودون
ـ هل كنتَ فيهم ؟

* وعدت لأنيَ نصف شهيد
لأني رأيت مريًا .
- سأهديكَ غرفة نومي
* سأهديكِ زنزانتي يا مريًا .

- ٤ -

غريبان
إن القبائل تحت ثيابي تهاجرُ
والطفل يملأ ثنية ركبتكِ
الآن أعلن أن ثيابك ليست كفن

غريبان
إن الجبال الجبال الجبال . . .

غريبان
ما بين يومين يولد يوم جديد لنا
وماذا نسميه
قلنا : وطن
غريبان
إن الرمال الرمال الرمال . . .

غريبان

والأرض تعلن زينتها

ـ أنت زينتُها ـ

والسماء تهاجر تحت يدين

غريبان

إن الشمال الشمال الشمال . . .

غريبان

شعرك سقفي ، وكفاك صوتان

أقبِّل صوتاً

وأسمع صوتاً

وحبك سيفي

وعيناك نهران

والآن أشهد أن حضورك موت

وان غيابك موتان

والآن أمشي على خنجر وأغني

فقد عرف الموت أني

أحبك ، أني

أجدد يوماً مضى

لأحبك يوماً

وأمضي . .

- ٥ -

سمعتُ دمي ، فاستمعتْ إليكِ

ولم تَصِلي بعدُ

كان البنفسج لون الرحيل

وكنت أميل مع الشمس -

يا أيها الممكن المستحيل

وكانت ظلال النخيل تغطي خطانا التي تتكونْ

منذ الصباح وأمسِ .

وكنا نميل مع الشمس ،

كنتُ القتيل الذي لا يعود

نسيتُ الجنازة خلف حدود يديكِ

سمعت دمي ، فاستمعت إليك . .

إلى أين أذهب ؟

ليست مفاتيح بيتي معي

ليس بيتي أمامي

وليس الوراء ورائي

وليس الأمام أمامي

إلى أين أذهب ؟

إن دمائي تطاردني، والحروب تحاربني . والجهات

تفتشني عن جهاتي

فاذهب في جهة لا تكون
كأنَّ يديك على جبهتي لحظتان
أدور أدور
ولا تذهبان
أسيرُ أسيرُ
ولا تأتيان
كأن يديك أبد
آه ، من زمن في جسد !

يعرف الموت أني أحبُّكِ
يعرف وقتي
فيحمل صوتي
ويأتيك مثل سعاة البريد
ومثل جباة الضرائبِ
يفتح نافذة لا تطل على شجرٍ
(قد ذهبتُ ولم أعترف) .
يعرف الموت أني أحبك . .
يستجوب القبلة النصفَ . .
تستقبلين اعترافي . .
وتبكين زنبقةً ذبلت في الرسالةِ

ثم تنامين وحدك وحدكِ وحدكِ
يشهق موت بعيد
ويبقى بعيد

إلى أين أذهب ؟
إنَّ الجداول باقية في عروقي
وإن السنابل تنضج تحت ثيابي
وإن المنازل مهجورة في تجاعيد كفي
وإن السلاسل تلتف حول دمي
وليس الأمام أمامي
وليس الوراء ورائي
كأن يديك المكان الوحيد.
كأن يديك بلد
آه من وطن في جسد !

- ٦ -

وصلتُ إلى الوقت مبتعدا
لم يكن بلدا
كي أقول وصلتُ
وما كان - حين وصلتُ - سدى

كي أقول تعبتُ
وما كان وقتاً لأمضي إليه . .
وصلت إلى الوقت مبتعدا
لم أجد أحدا
غير صورتها في إطار من الماءِ
مثل جبيني الذي ضاع بيني
وبين رؤ ايَ سدى !

سمعتُ دمي
فاستمعتُ إليك
مشيتُ
لأمشي إليك

وكانت عصافيرُ مل ء الهواء
تسير ورائي
وتأكلني ـ كنتُ سنبلةً ـ
كنت أحمل ضلعاً وأسأل أين بقيّتُهُ
آخرُ الشهداء
يحاول ثانيةً

كيف أحمل نهراً بقبضة كفي
وأحمل سيفي
ولا يسقطان
أنا آخر الشهداء.
أسجل أنك قديسةٌ في الزمان ، وضائعة
في المكان
أريد بقية ضلعي
أريد بقية ضلعي
أريد بقية ضلعي

النيلُ ينسى
والعائدون إليكِ منذ الفجر لم يَصِلُوا
هناك حمامتان بعيدتان
ورحمةٌ أخرى
وموتٌ يشتهي الأسرى
وذاكرتي قويّه .

والآن ، ألفظُ قبل روحي
كلَّ أرقام النخيل
وكلَّ أسماء الشوارع والأزقّة سابقاً أو لاحقاً

وجميعَ مَنْ ماتوا بداء الحب والبلهارسيا والبندقيه

ما دَلني أحدٌ عليكِ
وأنتِ مصرْ
قد عانقتني نَخْلةٌ
فتزوَّجتني
شكَّلتني
أنجَبْتني الحبَّ والوطن المعذَّبَ والهويَّهْ .
ما دلَّني أحَدٌ عليكِ
وجدتُ مقبرة . . فنمتُ
سمعتُ أصواتاً . . فقمت
ورأيتُ حرباً . . فاندفعتُ
وما عرفتُ الأبجديَّه .

قالوا : اعترفْ
قلتُ : اعترفتْ
يا مصر ! لا كِسرى سباكِ ولا الفراعنةُ
اصطفوكِ أميرةً أو سيِّده !
قالوا : اعترف
قلت : اعترفتْ
وتوازت الكلماتُ والعضلاتُ

كانو يقلعون أظافري

ويقشرون أناملي

ويبعثرون مفاصلي

ويفتِّشون اللحمَ عن أسرار مصرْ . .

وتدفَّقت مصرُ البعيدةُ من جراحي

فاقتربتْ

ورأيتُ مصر

وعرفتُ مصر .

ما دلَّني أحدٌ ، خناجرهم تفتِّشني فيخرج شكلُ مصر .

يا مصر ! لستِ خريطةً

قالوا : اعترفْ

قلت : اعترفتْ

واصلتُ يا مصر اعترافاتي

دمي غطَّى وجوه الفاتحين

ولم يغطِّ دمي جبينك ، واعترفتُ

وحائطُ الإعدام يحملني إليك إليكِ . . .

أنتِ الآن تقتربين . أنت الآن تعترفينَ

فامتشقي دمي ! .

والنيلُ ينسى

ليس من عاداته أن يُرجع الغرقى

وآلاف العرائس مَنْ تقاضى أجرها ؟
النيل ينسى .
والقرى رفعتْ مآذنها وشكواها
وأخفتْ صدرها في الطينِ . .
والمدنُ ـ الجنود الغائبون ـ الاتحاد الاشتراكي ـ المغني
راقصاتُ البطن ـ والسيّاح ـ والفقراءُ
سبحان الذي يعطي ويأخذُ !
ليس من عادات هذا النيل أن يصغي إلى أحدٍ
كأنَّ النيل تمثالٌ من الماء استراح إلى الأبد .

ماذا يقول النيل
لو نطقتْ مياه النيل ؟
يسكت مرة أخرى
وينساني . . .
لتسكت جوقة الإنشاد حول جنازتي !
وخذي عن الجثمان أعلامَ الوطن
يا مصر ! تحيا مصر . . تحيا مصر . . تحيا مصرُ
غطّي حفنة من رمل سيناء التي ابتعدتْ عن العينين
والتجأتْ إلى الرئتين
وامتشقي دمي

وخذي عن الجثمان أعلام الوطن
سيناء ليس لها كفن !
والنيلُ ينسى
ماذا يقول النيل ، لو نطقتْ مياهُ النيل ؟
يسكت مرةً أخرى
ولا يستقبل الأسرى .
ليسكت ههنا الشعراءُ والخطباءُ
والشّرطيُّ والصحفيُّ
إنّ جنازتي وصلتْ
وهذي فرصتي يا مصر .. أعطيني الأمان
يا مصر ! أعطيني الأمان
لأموت ثانيةً .. شهيداً لا أسيرْ
السدُّ عالٍ شامخ ، وأنا قصير
والمنشآت كبيرةٌ ، وأنا صغير
والأغنيات طليقةٌ ، وأنا أسير
يا مصر ! أعطيني الأمانْ
إني حرستُك . كانت الأشياء آمرةً وآمنةً وكان المطرب
الرسميُّ يصنع من نسيج جلودنا وتر الكمان
ويطرب المتفرّجين .
قد زيّفوا يا مصر حنجرتي

وقامةَ نخلتي

والنيل ينسى

والعائدون إليك منذ الفجر لم يَصِلوا

ولستُ أقول يا مصر الوداع

شَبُتْ خيول الفاتحين

زرعوا على فمك الكروم ، فأينعتْ

قد طاردوكِ ـ وأنتِ مصر

وعذّبوكِ ـ وأنت مصر

وحاصروك ـ وأنت مصر

هل أنت يا مصر ؟

هل أنت .. مصر ! .

الرماديُّ اعترافٌ . والسماء الآن ترتدُّ عن الشارع
والبحر ، ولا تدخل في شيء ، ولا تخرج من
شيء .... ولا تعترفينْ

ساعتي تسقط في الماء الرماديِّ . فلم أذهب إلى موعدكِ
الساطعِ . يأتي زَمَنٌ آخرُ إذ تنتحرين .
وأُسمّي حادثاً يحدث في آيامنا :
قد ذَهَبَ العمر ، ولم أذهب مع العمر إلى هذا المساء
وسأبقى في انتظاركْ .
وأُسمّي حادثاً يحدث في أيامهمْ :
عندما أمشي إلى النهر البعيدْ

يقف النهرُ طويلاً في انتظاري .
وأتابعْ :
عندما أرجع في منتصف الموت ، يجفُّ النهرُ في ذاكرتي
يذبلُ ما بين الأصابعْ .
فلماذا تقفينْ ؟
ولماذا تقفينْ ؟
وتكونين أمامَ الطعنة الأولى . أمام الخطوة الأولى . . . .
ولا تعترفين .
والرماديُّ اعترافٌ . مَنْ رآني قد راى وجهكِ ورداً
في الرمادْ .
مَنْ رآني أخرَجَ الخنجر من أضلاعه ، أو خبَّأ الخنجر
في أضلاعهِ .
حيث تكونين دمي يمطر ، أو يصعد في أيِّ اتجاهٍ
كالنباتات البدائيةِ .
كوني حائطي
كي أبلغ الأفْقَ الرماديَّ
وكي أجرح لون المرحلهْ
من رآني ضاع منّي
في ثياب القَتَلَهْ !
الرماديُّ اعترافٌ وشبابيكٌ . نساءٌ وصعاليكُ

والرماديُّ هو البحر الذي دَخَّنَ حُلْمي زَبَدا
والرماديُّ هو الشّعر الذي أجّر جرحي بلدا
الرماديُّ هو البحرُ
هو الشّعرُ
هو الزهرُ
هو الطيرُ
هو الليلُ
هو الفجرُ
الرماديُّ هو السائرُ والقادمُ
والحلم الذي قرّره الشاعرُ والحاكم
منذ اتّحدا ! .
لستُ أعمى لأرى
لستُ أعمى .. لأرى
إنّني أعبرُ بين الجُثّتين القمّتيْن
كالنباتات البدائية
كوني حائطي كي أعبُرا .
لستُ أعمى .. لأرى .
تزحفُ الصحراء . تلتفُّ على خاصرتي . تمتد تمتد ،
وتلتفُّ على صدري ، وتشتدُّ وتشتدُّ ، ولا أغرق ..
لا أغرق .. لا أغرقُ

لا !.
ليس لي خلف جبال الرمل آبارٌ من النفط، ولا صفصافة
مستشرقةْ .
كان لي سورةُ « اقرأ » وقرأتْ . . .
كان لي بذرةُ قمح في يدٍ محترقه
واحترقتْ .
وليَ الآن شتاءٌ من دم يمتصُّه الرمل ، ويُستخرج
مازوتاً . واسْتَدْعَى إلى الحرب لكي يصبح سعرُ
النفط أعلى .
قلت : كلاَّ !
والرماديُّ اعترافٌ مثل جدران الزنازين التي تكثر بعد
الحربِ . لا. لم يبكِ جنديٌّ على تاجٍ . واسْتَدْعَى
إلى الحرب لكي يصبح لون التاج أغلى .
لستُ أعمى . . لأرى .
هل تركتِ الباب مفتوحاً ؟
تعودين بلا جدوى . .
ينام الحُلُم الكاذبُ في المخفرِ . يُدلي باعترافاتٍ .
يمرُّ الحلُم الهاربُ من قُبَّعة السجّان . يُدلي
باعترافاتٍ على مائدة القرصان ؛
يُدلي باعترافاتٍ . يَنامُ الحُلُم الغائبُ تحت المشنقةْ .
هل تركت الباب مفتوحاً ؟

لكي أقفز من جلدي إلى أوّل عصفور رماديّ ، وأحتجُّ
على الآفاق :
كلا ! .
الرماديُّ من البحْرِ إلى البحرِ
وحُرّاسُ المدى عادوا
وعيناكِ أمامي نقطتانْ
والسرابُ الضوء في هذا الزمان
الواقف الزاحف ما بين وداعين طويلين
ونحن الآن ما بين الوداعين وداع دائمٌ
أنتِ السرابَ ـ الضوء، والضوء ـ السرابْ
مَنْ رآنا أخرج الخنجر من أضلاعه، أو خبّأ الخنجر
في أضلاعِهِ .
حيث تكونين دمي يمطر أو يصعدُ في أي اتجاه
كالنباتات البدائيةِ
كوني حائطي أو زمني
كي أطأ الأفقَ الرماديَّ
وكي أجرح لون المرحلهْ
مَنْ رآنا ضاع منّا
في ثياب القَتَلَهْ
فاذهبي في المرحله
إذهبي
وانفجري بالمرحله ! .

طريق دمشق

من الأزرق ابتدأ البحرُ . .
هذا النهار يعود من الأبيض السابقِ . .
الآن جئتُ من الأحمر اللاحقِ . .
اغتسلي يا دمشق بلوني
ليولد في الزمن العربيِّ نهار .

أحاصركم : قاتلاً أو قتيلْ
وأسألكم ، شاهداً أو شهيدْ :
متى تفرجون عن النهر ،حتى أعود إلى الماء أزرقَ
أخضرَ

أحمرَ

أصفرَ أو أي لون يحدِّده النهرُ

إنّي خرجتُ من الصيف والسيفِ

إنّي خرجتُ من المهد واللحدِ

نامت خيولي على شجر الذكرياتِ

ونمتِ على وتر المعجزاتِ

ارتدتني يداكِ نشيداً إذا أنزلوه على جبل ، كان سورةَ

« ينتصرون » . . .

دمشق ، ارتدتني يداك ، دمشق ! ارتديت يديك ،

كأنّ الخريطة صوتٌ يُفرِّخ في الصخرِ

نادى . . . وحركني

ثم نادى . . . وفجَّرني

ثم نادى . . وقطّرني كالرخام المذاب

ونادى .

كأن الخريطة أنثى مُقَدَّسة فجَّرتني بكارتُها ، فانفجرتُ

دفاعاً عن السرِّ والصخرِ

كوني دمشق

فلا يعبرون !

من البرتقاليِّ يبتدىء البرتقالُ

ومن صمتها يبدأ الأمسُ
أو : يولد القبرُ
يا أيها المستحيل . . يسمونك الشام !
أفتحُ جرحي لتبتدىء الشمسُ . ما اسمي ؟ دمشق . .
وكنت وحيداً .
ومثليَ كان وحيداً هو المستحيل .
أنا ساعة الصفر دقّتْ
فشقّتْ
خلايا الفراغ على سرج هذا الحصان
المحاصر بين المياه
وبين المياه .
أنا ساعة الصفر .
جئت أقول :
أحاصرهم قاتلاً أو قتيل
أعدُّ لهم ما استطعتُ . . وينشقُّ في جثتي قمرُ المرحله
وأمتشق المقصله
أحاصرهم : قاتلاً أو قتيل
وأنسى الخلافة في السفر العربيِّ الطويل
إلى القمح والقدس والمستحيل
يؤرّخني خنجران :

العدوُّ

وعورةُ طفل صغير تسمّونهُ

بردى

وسمَّيته مبتدا

وأخبرته أنني قاتل أو قتيل .

« من الأسود ابتدأ الأحمرُ .. ابتدأ الدمُ » .

هذا أنا . هذه جثتي

أيّ مرحلة تعبر الآن بيني وبيني !

أنا الفرق بينهما

همزة الوصل بينهما

قبلة السيف بينهما

طعنة الورد بينهما

آه ، ما أصغر الأرضَ !

ما أكبر الجرحَ ..

مُرّوا

لتتَّسع النقطةُ .. النطفةُ .. الفارق ..

الشارعُ .. الساحلُ .. الأرضُ ..

ما أكبرَ الأرضَ !

ما أصغرَ الجرحَ

هذا طريق الشام .. وهذا هدْيل الحمام
وهذا أنا . هذه جثتي .
والتحمنا
فمُرّوا ..
خذوها إلى الحرب كي أنهيَ الحرب بيني وبيني
خذوها .. احرقوها بأعدائها
أنزلوها على جبل غيمة أو كتاباً
ومُرّوا ..
ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي
هذه جثتي واتهامي
تدلّتْ من الشارع الجانيِّ إلى المكتب البرجوازيَ
مُرّوا
ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي .

طريق دمشق
دمشق الطريق
ومفترق الرسل الحائرين أمام الرماديّ
إني اغادر أحجاركم ـ ليس مايو جدارا
أغادر أحجاركم وأسير
وراء دمي في طريق دمشق

أحارب نفسي . . وأعداءها .
ويسألني المتعبون ، أو المارة الحائرون عن اسمي
فأجهلهُ . .
اسألوا عشبة في طريق دمشق !
وأمشي غريباً .
وتسألني الفتيات الصغيرات عن بلدي
فأقول : أفتش فوق طريق دمشق .
وأمشي غريباً .
ويسألني الحكماء المملون عن زمني
فأشير إلى حجر أخضر في طريق دمشق .
وأمشي غريباً .
ويسألني الخارجون من الدير عن لغتي
فأعدُّ ضلوعي وأخطىء
إني تهجَّيتُ هذي الحروف . فكيف أركِّبها ؟
دال . ميم . شين . قاف .
فقالوا : عرفنا ـ دمشق !
ابتسمتُ . شكوتُ دمشق إلى الشام :
كيف محوت ألوف الوجوه .
وما زال وجهكِ واحدْ !
لماذا انحنيت لدفن الضحايا

وما زال صدركِ صاعد !
وأمشي وراء دمي . وأطيع دليلي
وأمشي وراء دمي نحو مشنقتي
هذه مهنتي يا دمشق . .
من الموت تبتدئين . وكنت تنامين في قاع صمتي ولا
تسمعين . .
وأعددتِ لي لغةً من رخام وبرق .
وأمشي إلى بردى ، آه مستغرقاً فيه أو خائفاً منه . .
إنْ المسافة بين الشجاعة والخوفِ
حُلْمٌ
تجسَّد في مشنقهْ
آه ، ما أوسع القبلة الضيِّقهْ !
وَأَرْخني خنجران :
العدوُّ
ونهر يعيش على مَهَلٍ .
هذه جثتي ، وأنا
أفقٌ ينحني فوقكم
أو حذاء على الباب يسرقه النهرُ
أقصد :
عورةَ طفل صغير يسمّونه

بَرَدى
وسميته مبتدا
وأخبرته أنني قاتل أو قتيل .

تُقلّدني العائداتُ من النَّدَم الأبيضِ
الذاهباتُ إلى الأخضر الغامضِ
الواقفاتُ على لحظة الياسمين .
دمشقَ ! انتظرناكِ كي تخرجي منك
كي نلتقي مرة خارجَ المعجزات
انتظرناكِ . .
والوقت نام على الوقتِ
والحب جاء ، فجئنا إلى الحربِ
نغسل أجنحة الطير بين أصابعك الذهبيَّةِ
يا امرأة لونها الزبد العربيُّ الحزين .
دمشق الندى والدماء .
دمشق النداء
دمشق الزمان
دمشق العرب !
تقلدني العائداتُ من النُّدم الأبيضِ
الذاهباتُ إلى الأخضر الغامضِ
الواقفاتُ على ذبذبات الغضب

ويحملك الجند فوق سواعدهم
يسقطون على قدميك كواكبَ
كوني دمشقَ التي يحلمون بها
فيكون العرب .

قلتُ شيئاً ، وأكمله يومَ موتي وعيدي :
من الأزرق ابتدأ البحرُ
والشام تبدأ مني ـ أموت
ويبدأ في طرق الشام أسبوع خَلْقي
وما أبعد الشام ، ما أبعد الشام عني !
وسيف المسافة حزُّ خطاياي . . حز وريدي
فقرَّبني خنجران :
العدوُّ وموتي
وصرتُ أرى الشام . . ما أقرب الشام مني
ويشنقني في الوصول وريدي .

وقد قلتُ شيئاً ، وأكملُهُ :
كاهن الاعترافات ساومني يا دمشقُ
وقال : دمشق بعيده

فكسَّرْتُ كرسيَّ ، وصنعتُ من الخشب الجبلي صليبي
أراكِ على بُعْدِ قلبين في جسدٍ واحدٍ
وكنتُ أطلُّ عليك خلال المسامير
كنت العقيده
وكنتُ شهيد العقيده .
وكنتِ تنامين داخل جرحي
وفي ساعة الصفر ، تمَّ اللقاء
وبين اللقاء وبين الوداع
أودِّعُ موتي . . وأرحل .
ما أجملَ الشامَ ، لولا الشامُ ، وفي الشامِ
يبتدىء الزمن العربيُّ وينطفىء الزمن الهمجيُّ
أنا ساعة الصفر دقتْ
وشقَّتْ
خلايا الفراغ على سطح هذا الحصان الكبيرِ
الحصان المحاصر بين المياه
وبين المياه
أعِدُّ لهم ما استطعتُ . .
وينشقّ في جثتي قمرٌ . . ساعةُ الصفر دَقَّتْ . .
وفي جثتي حبَّة أنبتت للسنابلِ
سبع سنابلَ ، في كل سنبلةٍ ألفُ سنبلةٍ . .

هذه جثتي .. أفرغوها من القمح ثم خذوها إلى الحربِ

كي أنهي الحرب بيني وبيني

خذوها ، احرقوها بأعدائها

خذوها ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي

وامشي أمامي

ويولد في الزمن العربي .. نهار .

تلك صورتها
وهذا إنتحار العاشق

١٩٧٥

١

وأريدُ أن أتقمص الأشجارَ :
قد كذب المساء عليه . أشهدُ أنني غطّيتهُ بالصمتِ
قرب البحرِ
أشهدُ أنني ودَّعتُهُ بين الندى والانتحار .

وأُريدُ أن أتقمَّص الأسوارَ :
قد كذبَ النخيلُ عليه . أشهد أنه وجد الرصاصةَ .
أنه أخفى الرصاصةَ

أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار .
وأُريد أن أتقمص الحُرَّاسَ :
قد كذب الزمانُ عليه . أشهد أنه ضد البدايةِ
أنه ضد النهايةِ

كانت الزنزانةُ الأولى صباحاً
كانت الزنزانة الأخرى مساءً
كان بينهما نهارْ .

وكأنَّهُ انتحرَ
السماءُ قريبة من ساقهِ
والنحل يمشي في الدم المتقدِّمِ
الأمواجُ تمشي في الصَّدى
وكأنه انتحرَ
العصافيرُ استراحت في المدى
وكأنه انتحرَ
احتجاجاً
أو وداعاً
أو سدى .

وكأنه انتحرَ
الظهيرةُ لا تمرُّ . . ولا يمرُّ
كأنه انتحر
السماء قريبةٌ من ساقهِ
والنحل يمشي في الدم المتقدِّمِ
البركان يولد بين حبّات الندى .

والصوتُ أسودُ
كنتُ أعرف أن برقاً ما سيأتي
كي أرى صوتاً على حجر الدجى .
والصوتُ أسودُ
كنتُ في أوج الزفافْ
الطائرات تمرُّ في عرسي
- كتبتُ -
حبيبتي فحمٌ
- كتبتُ -
وكنتُ أعرف أنَّ برقاً ما سيأتي
كي يعود المطربون إلى ملابسهم
وإنَّ الطائرات تمرُّ في يومي
أنا المتكلِّم الغائبْ
الطائراتُ تمرُّ في عرسي
فاختزل الفضاءَ ، وأشتهي العذراءَ
إنَّ الطائرات تمرُّ في يومي وفي حُلمي تمرُّ الطائرات
فأشتهي ما يُشْتَهى
وأُحبّ قبل الحبّ .
في زمن الدخان يضيء تُفّاحُ المدينة
تنزل الرؤيا إلى الجدرانِ

في زمن الدخان يخبِّيء السجّانُ صورته . .
رأيتُ رأيتُ عصفورين يحتلّان قُبّعةً
رأيت الذكريات تفرُّ من شُبّاك جارتنا
وتسقط في جيوب الفاتحين . .
واشتهي ما يُشتهى
والطائراتُ تمرّ
والزمن المُكَلّس ينتهي في الانهياراتِ
الأصابعُ ظلٌّ ذاكرة على الجدرانِ
والدمُ نُطفةٌ أو بذرةٌ
لا لون لي
لا شكل لي
لا أمس لي
إن الشظايا حاصرتني
فاتَّسعتُ إلى الأمامِ
وصرتُ أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيدُ
أنا الشظايا و . . . الهدايا
أرتديكِ ، وأخلع الأيامَ
لا تاريخ قبل يديكِ
لا تاريخ بعد يديكِ
سمّوكِ البديل

لأنَّ لون الثورة احتلَّ الكآبةَ
والغزاة يمشُطون يديكِ من آثار ظهري .
أرتديكِ ، وأخلع الأيامَ
سمّوكِ البديل
وبدُلوكِ
كأنَّ أغنيةً تغيِّر او تطهِّرُ أو تدمِّرُ أو تفجِّرْ .
هم يبحثون عن البكارة خندقاً
ويمارسون الغزو ضد الغزو في خلجان جسمكِ
أرتديكِ .. وأخلع الأيامَ
سمّوك البديلَ
وهم ضحاياكِ .
اتَّسعْتُ إلى الأمام ، وصحت بالأيام :
لي يومٌ
وخطوتُها . . .

أنا ضدّ المدينةِ :
في زمان الحرب غطّتني الشظيّةُ
في زمان السلم غطّاني العراءُ :
عادوا إلى يافا . ولم أذهب

أنا ضد القصيدةِ :
غَيَّرَتْ حزن النبيِّ ولم تغيِّر حاجتي للأنبياءْ .
والطائراتُ تعود من عرسي . تغادرني بلا سببٍ ،
فأبحثُ عن تقاليدي . . وموتايَ الذين يحاصرون الليل ،
يقتربون من صدري ، ويزدحمون في صدري ،
ولا يَصلون لا يصلون
كان يصيح بالأسوار :
لي يومٌ
وخطوتُهم
وكان البحر يرحل في المساء

وحضرتُ في جرحي وقمحك
لا لذاكرتي
ولا لقصيدة الآثارِ
لا لبكائك الصفصافِ
لا لنبوءة العرّافِ
يومُكِ خارج الأيام والموتى
وخارج ذكريات الله والفرح البديل .

حدّقْتُ في جرحي وقمحكِ
للأشعّة فيهما وطنٌ يدافع عن مسافته ،

ويسقط عندما نمضي
ونسقط عندما نبقى حدوداً للأشعةِ
والمدينةُ قرب حنجرتي تغني حين تسقط في مرايا النهرِ
صوتي ليس لافتة
ولكني أسمّيكِ البديل .

حدَّقتُ في جرحي
سأتّهمُ المدينة بالعذوبة والجمال الشائع الموروثِ
من جبل جميل .
هبطتْ نساء من قشور الضوءِ
جاء البحرُ من نومي على الطرقاتِ
جاء الصيف من كسل النخيل .
أحصيتُ أسباب الوداعِ
وقلتُ :
ما بيني وبين اسمي بلادٌ
ليس لي لغةٌ
ولكني أسمّيك البديل .

ضدُّ العلاقةِ :
أن يجيء الوجهُ مثل الزرقة الخضراءِ
أن يمضي لأرسمه على جدران هذا السجن
أن يغزو شراييني ويخرج من يدي ـ

●●●

هذا هو الحبُّ الجميل .
وأحبُّ أن تأتي لتمضي .
طائراتٌ
طائراتٌ
طائراتٌ .
حاور السجّانُ صمتي
قال صمتي برتقالاً
قال صمتي هذه لغتي
وأرّختُ اللقاء .
الصخرُ يهتف لاسملكِ الوحشيِّ كُمَّثرى
وأسأل : هل تزوّجتِ الجبال
ووصمتني بالعار والسفح البطيء ؟

وأصدِّقُ الراوي ، وأنكسرُ :
الرجالْ
يبقون كالندم . . الخطيئة . . والبنفسج فوق أجساد النساء .
وأصدِّق الراوي ، وأنفجرُ :
النساءْ
يذهبن كالعنب . . الغبار . . وضربة الحُمّى
عن الذكرى وأجساد الرجال .

وأصدّقُ الراوي
ولا أجد الإشارة والدليل
وأُكذِّبُ الراوي
ولا أجد البنفسج والحقول .
إنَّ الدروب إليكِ تختنقُ . .
الدروبُ إليك تحترقُ . .
الدروبُ إليك تفترقُ . .
الدروب إليك حبلٌ من دمي

والليل سقفُ اللصِّ والقدّيسِ
قُبَّعةُ النبيِّ وبزَّة البوليس
أنتِ الآن تُسعين
أنت الآن تتسعين
أنت الآن تتسعين
أرسمُ جثتي ويداك فيها وردتانْ
بيني وبينكِ خيمة أو مهرجان
بيني وبينك صورتان .
وأُضيف كي تنسي وكي تتذكّري :
بيني وبين اسمي بلاد .

حاور السجّان صوتي
قال صوتي : طائرات طائرات طائرات .
سجّانُ ! يا سجّانُ
لي وجهٌ يحاول أن يراني
سجّانُ ! يا سجّانُ
لي وجهٌ أحاول أن أراهْ
لكنهم عادوا إلى يافا ، ولم أذهب
أنا ضدّ القصيدةِ
ضد هذا الساحل الممتدِّ من جرحي
إلى ورق الجريده .
كثر الحياديون . أو كثر الرماديّون
قال البرتقالُ : أنا حيادي رماديّ
وقال الجرح : ما أصلُ العقيده ؟
قلتُ : أن تبقى وأمشي فيكَ كي أُلغيك . .
كي أشفيكَ منّي .
والسجن يتّسع . . البحار تضيق . .
أشهدُ أنني غطيتُهُ بالصمت قرب البحر
أشهدُ أنني ودَّعته بين الندى والانتحار .
والطائراتُ تمرُّ في يومي
كأن الحرب عاداتٌ ولم أذهب إلى الحرب الأخيرةِ .

يخلع السجّان ألواني ويعطيني زمانيْ كي أفكّر فيكِ أو بكِ .
كان يسألها ويسألها ويسألها :
متى تأتين من ساعات هذا السجن أو رئتي ؟
متى تأتين من يافا ولا أمضي إلى بلدي ؟
متى تأتين من لغتي ؟
متى تأتين كي نمضي إلى جسدي !

أنا ضد العلاقةِ :
مرَّ عصفورٌ وغطّاني وسافرَ
مرَّ عصفور وجمَّدني على الأحجار ظلّاً
هل يعيشُ الظلُّ ؟
جاء الليل . جاء الليل . . جاء الليلُ
من يدها ومن نومي .

أنا ضد العلاقةِ :
تشرب الأشجارُ قتلاها وتنمو في ضحاياها
أنا ضد العلاقةِ :
أن تكون بدايةُ الأشياء دائمة البداية
هذه لغتي .
أنا ضدّ البدايةِ :
أن أواصل نهر موسيقى تورِّخني وتفقدني تفاصيل الهوية

هذه لغتي .
أنا ضد النهايةِ :
أن يكون الشيء أوّله وآخره وأذهبُ ـ
هذه لغتي ..

وأشهدُ أنه مات ، الفراشة ، بائع الدم ، عاشق الأبواب .
لي زنزانةٌ تمتدُّ من سنة إلى .. لغةِ
ومن ليل إلى .. خيلِ
ومن جرح إلى .. قمحِ
ولي زنزانة جنسيَّةٌ كالبحرِ
قال : حبيبتي موجٌ
وأمضى عمره في الحائط المتموِّج .. السقف القريبِ
وحلمه الهاربْ .
أنا المتكلّم الغائبْ
سأنتظرُ انتظاري . كنتُ أعرفني
لأنَّ طفولتي رجلٌ أحبُّ ..
أحبُّ إمرأة تمرُّ أمام ذاكرتي ونيراني .
ولا تبقى ولا تمضي .
أُحبُّ يمامةً سمَّيتُها بلدا .
أنا ضد العلاقة ، والبداية ، والنهاية ، ضدّ أسمائي .
أنا المتكلّم الغائبْ

١

يغيبُ ـ رأيتُ عينيها
شهدْتُ سقوط نافذتي .

سماويٌّ هو البحر الذي سَرَقَ الشوارعَ
من يديها قُرْبَ ذاكرتي .
يغيبُ ـ
وإنَّ أجراساً تدقُّ على المسافة بين خطوتها ومذبحتي .
سماويٌّ هو البحر الذي سرق الرسائلَ
من يديها قرب ذاكرتي .

وأحضرُ ـ من وراء الشيء عبرَ الشيء
أحضرُ مل ء قُبلتها على مرأى من النسيان
أحضرُ من خلاياها
ومن عامودها الفقريِّ أحضرُ
من إصابتها ببرق الشهوة العسليّ
أحضرُ مل ء رعشتها
على مرأى من النسيان
لي زَمَنٌ تؤرِّخُهُ بذورُ الجنس والعشبُ الذي يمتدّ
خلف الشي ء والنسيان
أحضرُ

كنتُ شاهدَهُ وشاهدها
وصرت شهيده وشهيدها
آتي من الشهداءِ
إلى الشهداء
أنا المتكلِّم الغائبْ
أنا الحاضر
أنا الآتي .

والصوتُ أخضرُ
إنَّ شلّال السلاسل والبلابل يلتقي في صرخة
أو ينتهي في مقبره
والصوتُ أخضرُ .
قال لي أو قلت لي : أنتم مظاهرةُ البروق
وهم نشيد الاعتدال
والصوتُ موتُ المجزره .
ضدٌ القرنفل . . ضد عطر البرتقال
ومع التراب . . مع اليد الأخرى . .
مع الكفّ التي تلج السلاسل والسنابل .
كدتُ أنسى . كاد ينسى التسميه :
أنتم جذوع البرتقال

وهُمُ نشيد الاعتدال .
والله لا يأتي إلى الفقراء ، إذ يأتي ، بلا سببِ
وتأتي الأبجديةُ معولاً أو تسليه
عادوا إلى يافا، وما عدنا
لأنَّ الله لا يأتي بلا سببِ
ذهبنا نحو يافا ـ الأمنيَه .
يا أصدقاء البرتقال ـ الزينة اتّحدوا !
فنحن الخارجين على الحنين . . الخارجين على العبير
نسير نحو عيوننا . . ونسير ضد المملكه
ضدَّ السماء لتحكم الفقراءَ
ضدَّ محاكم الموتى
وضدَّ القيد قومياً
وضدّ وراثة الزيتون والشهداءِ
نحن الخارجين من العراء لتلبس الأشجار أثواب السماء نسير
ضدَّ المملكه
ضدَّ المغنّي حين يرضى
ضد اعتقال المعركه ! .
والصوتُ أخضرُ . .
كان ينتظر المفاجأة ـ الجدارَ
يقول : يومٌ ما سيأتي من هواء البحرِ ،

أو من خصرها المشدود بين الماء والأملاحِ
آخُذُ موجَةً وأُعيد تركيب العناصر :
خصرها
يدها
نعاس جفونها
وبروق ركبتها .
سآخذ موجة وتكون صورتها وأُغنيتي .
وأشهدُ أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه الانفجار .
الأرضُ تبدأ من يديهِ
وكان يرمي الأرض بالأحلامِ
فنبلتي قرنفلتي
وحاول أن يموت فلم يَفُزْ بالموتِ
كان محاصراً بتشابُهٍ يعطي المساة مداه . ينتظر النتيجة :

كان لي يومٌ يكونْ
وفراشةٌ بَنَتِ السجون

والأرض تبدأ من يديهِ . وكان ضد الأرض . .
ضد مساحة الصدَف التي تأتي وتذهب في الفصول .
المستحيل هويَّتي
وهويتي ورق الحقول .

والأرض تبدأ من يديهِ . كأنني سجّان نفسي .
غاصتِ الجدرانُ في عضلاته ومحاولاتُ الانتحار .

يا من يحنُّ إليك نبضي
هل تذكرين حدود أرضي !

والأرض تبدأ من يديه ، ومن زغاريد القرى البيضاءِ
تبدأ من دفاتر صِبْيَةٍ يتعلمون
الأبجديةَ فوق ألغام الحروب وخلف أبواب النهار :

جاء وقتُ الانفجارْ
وعلى السيف قمرْ
وطني ليس جدارْ
وأنا لستُ حجرْ

والأرض تبدأ من يديه ومن نهايتها .
ويسأل: أين وقتي ؟
قال : إنَّ الوقت من قمحٍ
وقال : رصاصة أولى تثير الأرض توقظها ، فتنكشف
الفضائح والعصافيرُ العنيفةُ واحتمالاتُ البداية .
من هنا . . من هذه الأجراس في جدران سجني
يبدأ الوقت الفدائي

أُخرجي من أيِّ ضلعٍ
خنجراً أو سوسنه

وادخلي في أيِّ ضلعٍ
· خنجراً أو سوسنه .

والأرض تبدأ من نسيج الجرح - أشبهُها
وأمشي فوق رأس الرمح - تشبهني
وأمشي في لهيب القمح
واشتعلتْ يداهُ
فرأى يدين جديدتين
يدين حافيتين:
هل سقط الجدار ؟
سقطتْ كواكبُ فوق عينيه ، فغنّى أو تنفس :
إنَّ قنبلتي قرنفلتي
أُريد الانتحار الانتحار الانتحار .

- من أين يبدأ جسمه ؟
* من كلِّ قيد وانكسار
قال للبركان : يا بيتي البديل
وجدتُ وقت الانفجار .

والياسمينُ اسمٌ لأمّي . قهوةُ الصبحِ .

الرغيفُ الساخنُ . النهرُ الجنوبيُّ . الأغاني
حين تتّكىء البيوتُ على المساء
أسماء أمّي .

ـ من أين تبدأ أرضهُ ؟
* من جسمه المحتلِّ بالمستعمرات .
الطائرات . الانقلابات . الخرافات . الأناشيدِ
الرديئةِ ، والمواعيد البطيئه .
والياسمين اسمٌ لأمّي . باقةُ الزَّبَدِ .
الأغاني حين تنحدر الجبال إلى الخريف . القطنُ .
أصواتُ البواخر حين تمخرني ،
وأسماء السبايا والضحايا .
أسماءُ أمي .

ـ من أين يبدأ صوتُهُ ؟!
* من أوّل الأيام حين تبارَزَ الحكماء في مدح النظام
ومُتعة السَّفر البعيد
فأتى ليرميهم بجُثّتِهِ
وكان دويّها . . والأنبياء . .
لكُمُ انتصاراتٌ ولي حُلمٌ

دمي يمشي وأتبعه ـ إليها
لكُمُ انتصارات ولي يومٌ
وخطوتُها . .
فيا دَميَ اختصرني ما استطعتْ .

وأُريدها :
من ظلِّ عينيها إلى الموج الذي يأتي من القدمين ،
كاملة الندى والانتحارِ .
وأُريدها :
شجرَ النخيل يموت أو يحيا .
وتتّسع الجديلةُ لي
وتختنق السواحلُ في انتشاري
وأُريدها :
من أول القتلى وذاكرة البدائيّين
حتى آخر الأحياء
خارطةً
أُمزّقها وأُطلّقها عصافيراً وأشجاراً
وأمشيها حصاراً في الحصار .
أمتدُّ من جهة الغد الممتدِّ من جهة انهياراتي العديدة
هذه كفّي الجديدة

هذه ناري الجديدة

وأمْعَدنُ الأحلام

هل عادوا إلى يافا ولم تذهبْ ؟

سأذهب في دمي الممتد فوق البحر فوق البحر فوق البحر

هل بدأ النزيف ؟

أُريدها .

قد أحرقتني من جهات البحرِ ،

والحُرّاسُ ناموا عند زاوية الخريف .

والوقتُ سرداب وعيناها نوافذ عندما أمشي إليها .

والوقت سرداب وعيناها ظلام حين لا أمشي إليها .

وأُريدها

زمني أصابعها . أعود ولا أعود

أُسرِّحُ الماضي وأعجنه تراباً

ليست الأيام آباراً لأنزلَ

ليست الأيام أمتعة لأرحلَ

لا أعودُ . .

لأنها تمشي أمامي في يدي .

تمشي أمامي في غدي .

تمشي أمامي في انهياراتي .

وتمشي في انفجاراتي .

•

أعودُ . .
لأنها ذرَّاتُ جسمي . أيُّ ريح لم تبعثرني على الطرقات .
كان السجن يجمعني . يُرَتِّبني وثائق أو حقائق .
أيُّ ريح لا تبعثرني
أعود . .
لأنها كفني . أعود لأنها بدني
أعود
لأنها
وطني
أعود

حين انحنتْ في الريحِ
قال : تكون قنطرةً وأعبرها إليها
وبنى أصابعه من الخشب المخبَّأ في يديها .
البندقيَّةُ والفضاء وآخر القتلى . سأدفن جُثَّتي في راحتيها
وستضرمين النار .
قالت : أين كنتَ
ففرُّ من يدها إلى اليوم المرابط خلف قامتها .
وغنَّى : أيها النَدَمُ اختصرني بندقيَّه
قالت : لتقتلني ؟

فقال : لكي أُعيد لي الهويَّه

وقفتْ ، كعادتها ، فعاد من انحناءتها إلى قدميهِ
كان طريقهُ طرقاً وكان نزيفُهُ أفقاً
وكان يدور في الماضي ولا يجد اليدين وكان يحلم باكتمال الحلمِ
ما بيني وبين اسمي بلادٌ .
حين سمَّيت البلاد فقدتُ أسمائي . وحين مررتُ باسمي،
لم أجد شكل البلاد .
الحلم جاء الحلم جاء وكان يسأله :
مَنِ الأصلُ العيون أم البلاد ؟ .

قال المغنّي للضفاف :
الفرقُ بين الضفتين قصيدتي .

قال المهاجر للوطنْ :
لا تنسني .
والياسمينُ اسمٌ لأمي . والزمنْ
عشبٌ على الجدرانِ
قال البحر . قال الرمل . قال البيت . قال الحقل . قال
الصمتُ .

لكنَّ المغنّي قال قربَ الموت :

إنَّ الفرق بين الضفتين قصيدتي

وأراد أن يلغي الوطن
وأراد أن يجد الوطن .
هل تُكلمين البحر ؟
هل تأتين من ساعات هذا الموج
أم تأتين من رئتي . . وهل تأتين ؟
هل نمشي على السكين برقاً
أم دماً نمشي ؟
أحبُّكِ . . أم أحبُّ نتيجتي في حُبِّكِ التكوين ؟
قد قالت لي الأيّامُ :
إذهب في الزمانِ
تجد مكانك جاهزاً في وقت عينيها
فقلتُ : العمرُ لا يكفي لقُبلتها
وهذا العمر . .
قد قالت لي الأيامُ :
إذهب في المكانِ
تجد زمانك عائداً في موج عينيها

فقلت : الجسمُ لا يكفي لُنظرتها
وهذا البحر

ما اسمُ الأرض ؟
بحرٌ أخضرٌ . آثار أقدام . دويلاتٌ . لصوص . عاشقات .
أنبياء . آهِ ما اسمُ الأرض ؟
شكلُ حبيبة يرميكَ قرب البحر .

ما اسمُ البحر ؟
حدُّ الأرض. حارسُها . حصار الماء . أزرقُ أزرقُ
امتدَّتْ يدان إلى عناق البحر فاحتفل القراصنةُ
البدائيّون والمتحضرون بجُثَّتِهِ . فصرختُ : أنت
البحرُ . ما اسمُ البحر؟
جسمُ حبيبة يرميك قرب الأرض .

قد قالت لنا الأيّام :
تلتقيان . تلتحمان . تنهمران
قلت : لها انفجاراتٌ
كأنَّ البرتقال لهيبُها الأبديُّ
تنفجرين . تنفجرين . تنفجرين في صدري وذاكرتي .
واقفز من شظاياك الطليقة وردةً ، ورصاصة
أولى ، وعصفوراً على الأفق المجاورْ

ولي امتدادٌ في شظاياك الطليقة .
إنَّ نهراً من أغاني الحب يجري في شظيْه .
قد بعثرتني الريحُ ، فاختنقتْ بأصوات الملايينِ
ارتفعتُ على الصدى وعلى الخناجر .
شكراً ! أنام على الحصى فيطير
شكراً للندى .
وأمرُّ بين أصابع الفقراء سنبلة ، ولافتةً ،وصيغةَ بندقيّة .

ضدَّ اتجاه الريحِ
تنفجرين تنفجرين في كل اتجاهٍ
تنتهي لُغَةُ الأغاني حين تبتدئين
أو تجدُ الأغاني فيك معدنها .. رصاصتها .. وصورتها
أقول : البحرْ لا
والأرض لا
بيني وبينك « نحنُ » .
فلنذهب لنلغينا ويتّحد الوداع .

الآن أغنيتي تمرّ ..
تمرُّ اغنيتي على أفق نبيذيّ .
ويسقط في أغانيك البياض .
الآن أغنيتي تمرّ .. تمرُّ أغنيتي على مُدُن السواد .

فتسرّحين الشّعر ، أو تتناثرين على الخرائط والبلاد .
والآن أُغنيتي تمرّ . .
تمرُّ أغنيتي على حَجرٍ فيزهر في يديكِ اسمي ويتّحد اللقاء .
ماتوا ولا تدرين. لكنّ الجدار يقول ماتوا في تساقطه
ولا تدرين . ماتوا . .
تلك أُغنيتي ووجهك طائرٌ ومدى
يودّعني الوداع
وساعةُ الدم دقّت الموتى
وموعدَنا النحاسيَّ ،الدخانيَّ ، الحريريَّ المزوَّد بالزلازل
والمقيَّدَ بالجدائل .
الآن تنتحرين . . تنتصرين . . تنطفئين . . تشتعلين في
الميدان والنسيان
دقّتْ ساعةُ الدم
دقّتْ الموتى
ليفتتحوا نشيدَ الفرق بين العشق واللغة الجميله .
هو أنتِ
أنتِ أنا
يغيبُ الحاضرُ العلنيُّ .
يأتي الغائب السريُّ . .
يلتحمان . .

يتحدان في المتكلّم المفقود بين البحر والأشجار والمدن
الذليله .
والآن أشهد أنني غطّيته بالصمت قرب البحر . .
أشهد أنني ودعته بين الندى والانتحار .

قال : انتحرتُ . وردَّ معتذراً : أتيتُ .
وقال حارسُهُ الزمانيُّ : انتحارك انتصار .
الانتحار - الانتصار يمدُّ جسراً
هكذا يبنون نهراً
قال : ماتوا
ردَّ معتذراً : لقد وضعوا حدود الانتحار .
والآن أغنيتي تمرُّ . . تمرُّ أغنيتي
وتلتحق الخطى بدمي
دمي المتقدِّم
الفتياتُ تخرجُ من أزيز الطائراتِ
البحرُ يخرج من خدوش الأسطواناتِ
المدينةُ قد أعدَّتْ عُرْسها
وجنازتي

وتمرُّ أغنيتي ، وترمي عادة الأزهار في الأنهار .
سيِّدتي ! سأهديك انتحاري الساطعَ اختصري نعاسكِ

وانفجار الشارعِ ،ا اختصري المسافة بين
سكّيني وصدري
واستقرّي أنتِ بينهما بلاد .
النهرُ يعفيني من التاريخ
والجلّاد أعفاني من الذكرى
فأنسى حصّتي من جثتي الأخرى
وأُهديك التتمّة والحوار .

قال انتحرتُ .
وردٌ معتذراً : أتيت .
وقال حارسه : رأيتُ القمح مل ء يديه .
عند الانتحار
كانت يداهُ خريطتين : خريطة للحلم تمطر حنطةً
وخريطةً لمحاورات الانتظار
والطائرات ؟ سألتُ
قال : تمرُّ في يومي القديم . . يحَلِّقُ الأطفال . يبتهجون
في السنة الجديدة . يجعلون البحر أصغر من زوارقهم
أنا أعتاد هذا الموت . أعتاد الرحيل إلى النهار .

والآن أشهد أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار .

الحلمُ يأخذ شكله

فيخاف
لكنَّ المدينة واقفهْ
في أوج قيدي
وانفجار العاصفه
مَطرٌ على خيلٍ
وأعددنا لك الفرح الترابيَّ الجديد
خيلٌ على ليلٍ
وأعددنا لك الفصح الخواتم والنشيد
والحلم يأخذ شكله
ويصير صورتك العنيفه
موتي : أو اختصري هنا موتاكِ
كوني ياسميناً أو قذيفه .
والحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنَّ المدينة واقفه
في قمَّة الجرح الجديد
وفي انفجار العاصفهْ .
ماذا تقول الريح ؟
نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب
والخيام مع العروش الزائفه

ماذا تقول الريحُ

نحن الريحُ

ننشر عار فخذيك السماويينِ

ننشر عارنا

ونُطيل عمر العاصفه .

ليلٌ على موتٍ

وأعددنا لك المهدَ الحضانةَ والجبلْ

والحلم يشبهنا

ويشبهكِ المغني والمنادي والبطلْ

والحلم يأخذ شكله

فيخاف

لكنَّ المدينة واقفهْ

في شعلة النار الطليقة

في شرايين الرجال

ذوبي ! أو انتشري رماداً أو جمال

ماذا تقول الريح ؟

نحن الريح

نحن الريح

نحن الريح . . .


أعراس
١٩٧٧

أعراس

عاشقٌ يأتي من الحرب إلى يوم الزفافْ
يرتدي بدلَتَهُ الأولى
ويدخلْ
حلبة الرقص حصاناً
من حماس وقرنفلْ

وعلى حبل الزغاريد يُلاقي فاطمه
وتُغنّي لهما
كل أشجار المنافي
ومناديل الحداد الناعمهْ

ذَبَّلَ العاشقُ عينيه

وأعطى يَدَهُ السمراء للحنّاء
والقطن النسائيّ المقدس

وعلى سقف الزغاريد تجيء الطائرات
طائرات

طائرات
تخطفُ العاشقَ من حضن الفراشه
ومناديل الحداد
وتُغنّي الفتيات :
قد تزوَّجْتَ
تزوجت جميع الفتيات
يا محمَّدْ !
وقضيتَ الليلة الأولى
على قرميد حيفا
يا محمد !
يا أمير العاشقين
يا محمد !
وتزوَّجتَ الدوالي
وسياج الياسمين
يا محمد !
وتزوَّجَتَ السلالمْ
يا محمد !
وتقاوم
يا محمد !
وتزوَّجْتَ البلاد
يا محمد !
يا محمد !

كان ما سوف يكون

إلى راشد حسين

في الشارع الخامس حيّاني . بكى . مال على السور
الزجاجي ، ولا صفصاف في نيويورك .
أبكاني . أعاد الماءَ للنهرِ . شربنا قهوة . ثم افترقنا في
الثواني .

منذ عشرين سنهْ
وأنا أعرفه في الأربعينْ
وطويلاً كنشيدٍ ساحليٍّ ، وحزينْ
كان يأتينا كسيف من نبيذٍ . كان يمضي كنهايات
صلاهْ
كان يرمي شَعره في مطعم « خريسْتو »

وعكا كلها تصحو من النومِ
وتمشي في المياه
كان أُسبوعاً من الأرض ، ويوماً للغزاهْ
ولأمي أن تقول الآن : آه !

ليديه الوردُ والقيدُ . ولم يجرحْهُ خلفَ السور إلاّ
جرحُهُ السيِّدُ . عُشّاقٌ يجيئون ويرمون المواعيدَ .
رفعنا الساحل الممتدَّ. دشَّنا العناقيدَ . اختلطنا في
صراخ الفيجن البريِّ . كسرنا الأناشيدَ . انكسرنا
في العيون السود . قاتلنا . قُتلنا . ثم قاتلنا . وفرسان
يجيئون ويمضونَ .

وفي كل فراغْ
سنرى صمت المغني أزرقاً حتى الغيابْ
منذ عشرين سنهْ
وهو يرمي لحمه للطير والأسماك في كل اتجاه
ولأمي أن تقول الآن : آه

إبنُ فَلاّحين من ضلع فلسطينَ
جنوبيٌّ
شقيٌّ مثل دوريٍّ
قويّ

فاتحُ الصوتِ ،
كبير القدمين

واسع الكف . فقير كفراشه
أسمرٌ حتى التداعي
وعريض المنكبين
ويرى أبعد من بوابة السجن
يرى أقرب من أطروحة الفن
يرى الغيمة في خوذة جنديَ
يرانا ، ويرى كرت الاعاشه

وبسيطً . . في المقاهي واللغهْ
ويحب الناي والبيرةَ
لم يأخذ من الألفاظ إلاّ أبسط الألفاظ
سهلاً كان كالماء .
بسيطاً . . كعشاء الفقراء .

كان حقلاً من بطاطا وذره
لا يحب المدرسهْ
ويحب النثر والشعر
لعل السهل نثرٌ
ولعل القمح شعرٌ .

ويزورُ الأهلَ يوم السبتِ
يرتاح من الحبر الإلهي
ومن أسئلة البوليسِ .
لم ينشر سوى جزئين من أشعاره الأولى
وأعطانا البقيهْ
شوهدت خطوتُهُ فوقَ مطار اللد من عشر سنين
واختفى . .

كان ما سوف يكونُ
فضحتني السنبله
ثم أهدتني السنونو
لعيون القتله

. . شاحباً كالشمس في نيويورك :
من أين يمر القلب ؟ هل في غابة الاسمنت ريش لحمامٍ ؟
وبريدي فارغٌ . والفجر لا يلسعُ .
والنجمة لا تلمع في هذا الزحام .

ومسائي ضيِّقٌ . جسم حبيبي ورقٌ . لا أحد حول
مسائي « يتمنى أن يكون النهرَ والغيمةَ » . . من
أين يمر القلب ؟ مَنْ يلتقط الحلم الذي يسقط قرب

الأوبرا والبنك ؟ شلاّلُ دبابيس سيجتاح الملذات
التي أحملها .

لا أحلم الآن بشيء
اشتهي أن أشتهي
لا أحلم الآن بغير الانسجام
أشتهي
أو
انتهي
لا .ليس هذا زمني

شاحباً كالشمس في نيويوركَ
اعطيني ذراعي لأعانقْ
ورياحي لأسير .

ومن المقهى إلى المقهى . أُريد اللغة الأخرى
أُريد الفرق بين النار والذكرى
أُريد الصفة الأولى لأعضائي
وأعطيني ذراعي لأعانق
ورياحي لأسير

ومن المقهى إلى المقهى
لماذا يهرب الشعر من القلب إذا ما ابتعدتْ يافا ؟ لماذا
تختفي يافا إذا عانقتُها ؟
لا . ليس هذا زمني .

وأُريد الصفة الأولى لأعضائي
وأعطيني ذراعي لأعانق
ورياحي لأسير
. . . واختفى في الشارع الخامس ، أو بوابة القطب
الشماليِّ . ولا أذكر من عينيه إلاّ مدناً تأتي وتمضي .
وتلاشى . . وتلاشى . . .

والتقينا بعد عام في مطار القاهرة
قال لي بعد ثلاثين دقيقة :
« ليتني كنت طليقاً
في سجون الناصرة » ـ

نام أسبوعاً. صحا يومين. لم يذهب مع النيل إلى الأرياف
لم يشرب من القهوة إلاّ لونها .
لم يرَ المصريَّ في مصرَ

ولم يسأل سوى الكُتّاب عن شكل الصراع الطبقيّ
ثم ناداه السؤال الأبديّ الاغتراب الحجريّ
قلت : من أي نبيٍّ كافرٍ قد جاءكَ البعدُ النهائيّ ؟

بكى من كَسَل في نظراتي . هل تغيرت ؟
تغيَّرتُ . ولم تذهب حياتي
عبثاً .
مال إلى النيل وقال : النيل ينسى ؟
قلت : لاينسى كما كنا نظن
وتذكُرنا معاً إيقاعنا الماضي
وموجاتِ السنونو فوق كفٍّ تقرع الحائطَ
والأرضَ التي نحملها في دمنا كالحشرات
وتذكرنا معاً إيقاعنا الماضي وموتَ الأصدقاءْ
والذين اقتسموا أيامنا ، وانتشروا
لم يحبونا كما نشاء
لم يحبونا ولكن عرفونا . .

كان يهذي عندما يصحو . ويصحو عندما يبكي
ويمشي كخيام في البعيد العربيّ
ذهب العمر هباء
وفقدت الجوهريّ
واختفى قرب غروب النيل

أعددتُ له مرثية أخرى وجنّاز نخيلْ

يا انتحاري المتواصلْ
أوقف العمرَ لكي نبدأ من أي رحيلْ
وتأجَّجْ كنباتات الجليل
وتوهَّجْ كقتيل

يا انتحاري المتواصل
قف على ناصية الحلم وقاتلْ
فَلَكَ الأجراسُ ما زالت تدقُّ
ولك الساعة ما زالت تدقُّ

وتلاشى مرة أخرى

وخانتني الغصون
كان ما سوف يكونُ
فضحتني السنبله
ثم أهدتني السنونو
لسيوف القتله

كانت نيويورك في تابوتها الرسمي تدعونا إلى تابوتها.
في الشارع الخامس حيّاني. بكى . مال على نافورة

الاسمنتِ . لا صفصاف في نيويورك . أبكاني .
أعاد الظل للبيت . اختبأنا في الصدى . هل مات
منا أحَدٌ ؟ كلاّ . تغيّرتَ قليلاً ؟ لا . هل الرحلة
ما زالت هي الرحلة والميناءُ في القلب ؟ . نعم .

كان بعيداً وبعيداً ونهائيَّ الغيابْ
دَخَّنَ الكأسَ . .
تلاشى
كغزالٍ يتلاشى
في مروج تتلاشى في الضبابْ
ورمى سيجارة في كبدي وارتاحَ
لم ينظر إلى الساعةِ
لم يسرقْهُ هذا الشحرُ الواقفُ تحت الطابق العاشر في
منهاتنَ . التفَّ بذكراه . . تغشّاه رنينُ الجرس
السريّ . مَرَّتْ بين كفينا عصافيرُ عصافيرُ وموتٌ
عائليّ . ليس هذا زمني . عاد شتاءٌ آخر . ماتتْ
نساءُ الخيل في حقل بعيد . قال إنَّ الوقت لا يخرج
مني . فتبادلتُ وقلبي مُدُناً تنهار من أوّل هذا
العمر حتى آخر الحلمِ . .
أنبقى هكذا نمضي إلى الخارج في هذا النهار البرتقالي
فلا نلمس إلاّ الداخل الغامضَ ؟

من أينَ أتيتَ ؟
اخترقت عصفورةٌ رمحاً
فقلتُ اكتشفتْ قلبي
أنبقى هكذا نمضي إلى الداخل في هذا النهار البرتقاليّ
فلا نلمس إلّا شرطة الميناء ؟

يهذي خارج الذكرى : أنا الحامل عبء الأرض ،
والمنقذ من هذا الضلال . الفتيات انتعلت روحي
وسارت . والعصافير بنت عشًا على صوتي وشقتني
وطارت في المدى . .
لم يتغيَّر أيُّ شيء
والأغاني شردتني شردتني
ليس هذا زمني .
لا ، ليس هذا وطني .
لا ليس هذا بدني .
كان ما سوف يكونُ
فضحته السنبله
ثم أهدته السنونو
لرياح القتلهْ . .

١

آحمد الزعتر

ليدين من حَجَر وزعترْ
هذا النشيدُ .. لأحمد المنسيِّ بين فراشتين
مَضَت الغيومُ وشرَّدتني
ورمتْ معاطفها الجبالُ وخبأتني

.. نازلاً من نحلة الجرح القديم إلى تفاصيل
البلاد وكانت السنةُ انفصال البحر عن مدن
الرماد وكنت وحدي
ثم وحدي . . .
آه يا وحدي ؟ وأحمدْ
كان اغترابَ البحر بين رصاصتين

مُخيّماً ينمو ، ويُنجب زعتراً ومقاتلين
وساعداً يشتدُّ في النسيان
ذاكرةً تجيء من القطارات التي تمضي
وأرصفةً بلا مستقبلين وياسمين
كان اكتشاف الذات في العرباتِ
أو في المشهد البحريِّ
في ليل الزنازين الشقيقةِ
في العلاقات السريعة
والسؤال عن الحقيقةْ
في كلِّ شيء كان أحمدُ يلتقي بنقيضهِ
عشرين عاماً كان يسألْ
عشرين عاماً كان يرحلْ
عشرين عاماً لم تلده أمه إلّا دقائق في
إناء الموز
وانسَحَبَتْ .
يريد هويةً فيصاب بالبركانِ ،
سافرت الغيومُ وشرّدتني
ورَمَتْ معاطفَها الجبالُ وخبّأتني

أنا أحمد العربيُّ ـ قالَ
أنا الرصاصُ البرتقالُ الذكرياتُ

وجدتُ نفسي قرب نفسي
فابتعدتُ عن الندى والمشهد البحريّ
تل الزعتر الخيمه
وأنا البلاد وقد أتتْ
وتقمَّصتني
وأنا الذهاب المستمر إلى البلاد
وجدتُ نفسي ملء نفسي . . .

راح أحمدُ يلتقي بضلوعه ويديه
كان الخطوة ـ النجمه
ومن المحيط إلى الخليج، من الخليج إلى المحيط
كانوا يُعدّون الرماحَ
وأحمد العربيُّ يصعد كي يرى حيفا
ويقفزَ .
أحمد الآن الرهينهْ
تركتْ شوارعَها المدينه
وأتتْ إليه
لتقتلهْ
ومن الخليج إلى المحيط ، من المحيط إلى الخليج
كانوا يُعدُّون الجنازةَ
وانتخاب المقصلهْ

أنا أحمدُ العربيُّ ـ فليأتِ الحصارْ
جسدي هو الأسوار ـ فليأت الحصار
وأنا حدود النار ـ فليأت الحصار
وأنا أحاصركم
أحاصركم
وصدري بابُ كلِّ الناس ـ فليأت الحصار

لم تأتِ أغنيتي لترسم أحمد الكحليَّ في الخندقْ
الذكرياتُ وراء ظهري ، وهو يوم الشمس والزنبق
يا أيها الولد الموزَّع بين نافذتين
لا تتبادلان رسائلي
قاومْ
إنَّ التشابه للرمال . . . وأنتَ للأزرقْ

وأعُدُّ أضلاعي فيهرب من يدي بردى
وتتركني ضفاف النيل مبتعدا
وأبحثُ عن حدود أصابعي
فأرى العواصمَ كلَّها زَبَدَا . . .

وأحمدُ يفرك الساعات في الخندقْ

لم تأتِ أُغنيتي لترسم أحمد المحروق بالأزرق
هو أحمد الكَوْنيُّ في هذا الصفيح الضيِّقِ
المتمزِّق الحالمْ
وهو الرصاص البرتقاليُّ .. البنفسجيةُ الرصاصيَّة
وهو اندلاعُ ظهيرة حاسمْ
في يوم حريَّة
يا أيها الولد المكرّس للندى
قاوِمْ !
يا أيها البلد ـ المسدَّس في دمي
قاوِمْ !
الآن أكمل فيك أُغنيتي
وأذهبُ في حصاركْ
والآن أكمل فيك أسئلتي
وأولد من غبارك
فاذهب إلى قلبي تجد شعبي
شعوباً في انفجارك

... سائراً بين التفاصيل اتكأتُ على مياهٍ
فانكسرتُ
أكلّما نَهَدَتْ سفرجلةٌ نسيتُ حدود قلبي

والتجأتُ إلى حصارٍ كي أحدِّد قامتي
يا أحمد العربيُّ ؟
لم يكذب عليَّ الحب . لكن كُلَّما جاء المساء
امتصَّني جرس بعيد
والتجأتُ إلى نزيفي كي أُحدِّد صورتي
يا أحمد العربيُّ .
لم أغسل دمي من خبز أعدائي
ولكنْ كُلّما مرَّت خطاي على طريق
فرَّت الطرقُ البعيدةُ والقريبةُ
كلّما اخيتَ عاصمة رمَتني بالحقيبةِ
فالتجأتُ إلى رصيف الحلم والأشعار
كم أمشي إلى حُلُمي فتسبقني الخناجرُ
آه من حلمي ومن روما !
جميلٌ أنت في المنفى
قتيلٌ أنت في روما
وحيفا من هنا بدأتْ
وأحمد سُلّم الكرمل
وبسملة الندى والزعتر البلدي والمنزلْ

لا تسرقوه من السنونو

١

لا تأخذوه من الندى

كتبت مراثيها العيونُ

وتركت قلبي للصدى

لا تسرقوه من الأبدْ

وتبعثروه على الصليب

فهو الخريطةُ والجسد

وهو اشتعال العندليب

لا تأخذوه من الحَمَامْ

لا ترسلوهُ إلى الوظيفهْ

لا ترسموا دمه وسام

فهو البنفسج في قذيفه

.. صاعداً نحو التئام الحلم

تتّخذُ التفاصيلُ الرديئةُ شكل كُمثرى

وتنفصلُ البلادُ عن المكاتبِ

والخيولُ عن الحقائبِ

للحصى عرقٌ . أقبِّلُ صمتَ هذا الملح

أعطي خطبة الليمون لليمون

أوقدُ شمعتي من جرحي المفتوح للأزهار

والسمك المجفّف
للحصى عَرَقٌ ومرآةٌ
وللحطّاب قلبُ يمامةٍ
أنساكِ أحياناً لينساني رجالُ الأمنِ
يا امرأتي الجميلة تقطعين القلب والبَصَل
الطريَّ وتذهبين إلى البنفسج
فاذكريني قبل أن أنسى يديَّ

وصاعداً نحو التئام الحلمِ
تنكمش المقاعد تحت أشجاري وظلّكِ . . .
يختفي المتسلّقون على جراحك كالذباب الموسميّ
ويختفي المتفرجون على جراحك
فاذكريني قبل أن أنسى يديَّ !
وللفراشات اجتهادي
والصخورُ رسائلي في الأرض
لا طروادة بيتي
ولا مسّادةٌ وقتي
وأصعد من جفاف الخبز والماء المصادَرِ
من حصان ضاع في درب المطارِ
ومن هواء البحر أصعدُ

من شظايا أدْمَنَتْ جسدي
وأمدُّ من عيون القادمين إلى غروب السهلِ
أصعد من صناديق الخضارِ
وقوة الأشياء أصعدُ
أنتمي لسمائي الأولى وللفقراء في كل الأزقَّة
ينشدون
صامدون
وصامدون
وصامدون

كان المخيَّمُ جسم أحمد
كانت دمشقُ جفونَ أحمدْ
كان الحجاز ظلال أحمد
صار الحصارُ مرور أحمد فوق أفئدة الملايين
الأسيره
صار الحصار هجوم أحمد
والبحر طلقته الأخيره !

يا خَصْرَ كلِّ الريح
يا أسبوع سُكَّرْ !

يا اسم العيون ويا رُخاميّ الصدى
يا أحمد المولود من حجر وزعترْ
ستقول : لا
ستقول : لا
جلدي عباءةُ كلِّ فلاح سيأتي من حقول التبغ
كي يلغي العواصم
وتقول : لا
جسدي بيان القادمين من الصناعات الخفيفةِ
والتردد . . والملاحم
نحو اقتحام المرحله
وتقول : لا
ويدي تحياتُ الزهور وقنبله
مرفوعة كالواجب اليوميِّ ضدَّ المرحله
وتقول : لا
يا أيها الجسد المُضرَّج بالسفوحِ
وبالشموس المقبلهْ
وتقول : لا
يا أيها الجسد الذي يتزوج الأمواج
فوق المقصلهْ
وتقول : لا

وتقول : لا

وتقول : لا !

وتموت قرب دمي وتحيا في الطحين
ونزور صمتك حين تطلبنا يداكَ
وحين تشعلنا اليراعةْ
مشت الخيول على العصافير الصغيرة
فابتكرنا الياسمين
ليغيب وجهُ الموت عن كلماتنا
فاذهب بعيداً في الغمام وفي الزراعه
لا وقتَ للمنفى وأُغنيتي . . . .
سيجرفُنا زحامُ الموت فاذهب في الزحام
لنُصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين

واذهب إلى دمك المهيَّأ لانتشارك
واذهب إلى دميَ الموحَّد في حصارك
لا وقتَ للمنفى . . .
وللصور الجميلة فوق جدران الشوارع والجنائز
والتمني
كتبتْ مراثيها الطيورُ وشرَّدتني
ورمتْ معاطفها الحقولُ وجمعتني
فاذهبْ بعيداً في دمي ! واذهب بعيداً في الطحين

لنُصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين

يا أحمدُ اليوميّ !
يا اسم الباحثين عن الندى وبساطة الأسماء
يا اسم البرتقاله
يا أحمد العاديّ !
كيف مَحَوْتَ هذا الفارقَ اللفظيَّ بين الصخر والتفّاح
بين البندقية والغزاله !
لا وقت للمنفى وأغنيتي . .
سنذهب في الحصار
حتى نهايات العواصم
فاذهبْ عميقاً في دمي
اذهبْ براعمْ
واذهبْ عميقاً في دمي
اذهبْ خواتم
واذهب عميقاً في دمي
اذهب سلالم
يا أحمدُ العربيُّ . . قاومْ !
لا وقت للمنفى وأغنيتي . .
سنذهب في الحصار
حتى رصيف الخبز والأمواجِ

تلك مساحتي ومساحة الوطن ـ المُلازِمْ
موت أمام الحُلْمِ
أو حلم يموتُ على الشعار
فاذهب عميقاً في دمي واذهب عميقاً في الطحين
لنُصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين

... ولَهُ انحناءات الخريف
لَهُ وصايا البرتقال
لَهُ القصائد في النزيف
لَهُ تجاعيدُ الجبال
لَهُ الهتافُ
لَهُ الزفافُ
لَهُ المجلاّتُ المُلوَّنة
المراثي المطمئنةُ
ملصقات الحائط
العَلَمُ
التقدُّمُ
فرقةُ الإنشاد
مرسوم الحداد
وكل شيء كل شيء كل شيء
حين يعلن وجهه للذاهبين إلى ملامح وجههِ

يا أحمد المجهول !
كيف سَكَنْتَنا عشرين عاماً واختفيت
وظَلَّ وجهك غامضاً مثل الظهيره
يا أحمد السريّ مثل النار والغابات
أشهِرْ وجهك الشعبيَّ فينا
واقرأ وصيّتكَ الأخيره ؟
يا أيها المتفرّجون ! تناثروا في الصمت
وابتعدوا قليلاً عنه كي تجدوهُ فيكم
حنطة ويدين عاريتين
وابتعدوا قليلاً عنه كي يتلو وصيّتَهُ
على الموتى إذا ماتوا
وكي يرمي ملامحَهُ
على الأحياء ان عاشوا !

أخي أحمد !
وأنتَ العبدُ والمعبود والمعبد
متى تشهدْ
متى تشهدْ
متى تشهدْ ؟

قصيدة الرمل

إنَّهُ الرملُ
مساحاتٌ من الأفكار والمرأةِ ،
فلنذهب مع الإيقاع حتى حتفنا
في البدء كان الشجر العالي نساء
كان ماء صاعداً ، كان لغة .
هل تموت الأرض كالإنسان
هل يحملها الطائر شكلاً للفراغ ؟

البداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا
والرمل شكل واحتمال .
برتقال يتناسى شهوتي الأولى .

أرى فيما أرى النسيان ، قد يفترس الأزهار والدهشةَ ،
والرملُ هو الرمل . أرى عصراً من الرمل يغطينا ،
ويرمينا من الأيام .
ضاعت فكرتي وامرأتي ضاعتْ
وضاع الرمل في الرملِ . .

البداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا

والرمل جسم الشجر الآتي ،
غيومٌ تشبه البلدانَ .
لون واحدٌ للبحر والنومِ .
وللعشاق وجه واحدٌ ،
. . . وسنعتاد على القرآن في تفسير ما يجري ،
سنرمي ألفَ نهرٍ في مجاري الماء .
والماضي هو الماضي ، سيأتي في انتخابات المرايا
سيِّدَ الأيّامِ .
والنخلةُ أمُّ اللغة الفصحى .
أرى ، فيما أرى ، مملكة الرمل على الرمل
ولن يبتسم القتلى لأعياد الطبولْ
ووداعاً . . . للمسافات

وداعاً .. للمساحات

وداعاً للمغنين الذين استبدلوا « القانون » بالقانون كي
يلتحموا بالرمل ..

مرحى للمصابينَ برؤ يايَ ، ومرحى للسيولْ .

البداياتُ أنا

والنهاياتُ أنا

أمشي إلى حائط إعدامي كعصفورٍ غبيٍّ ،

وأظن السهمَ ضلعي

ودمي أغنيةَ الرمّان . أمشي

وأغيب الآن في عاصفة الرمل ،

سيأتي الرمل رملياً

وتأتين إلى الشاعر في الليل ، فلا

تجدين الباب والأزرق ،

ضاعت لفظتي وامرأتي ضاعتْ ..

سيأتي .. سوف يأتي عاشقان

يأخذان الزنبق الهارب من أيامنا
ويقولان أمام النهر :
كم كان قصيراً زمنُ الرمل
ولا يفترقان

والبداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا

قصيدة الخبز

(إلى إبراهيم مرزوق)

كان يوماً غامضاً ..
تخرجُ الشمسُ إلى عاداتها كسلى
رمادٌ مَعْدنيٌّ يملأ الشرق ..
وكان الماءُ في أوردة الغيمِ
وفي كل أنابيب البيوتْ
يابساً
كان خريفاً يائساً في عمر بيروت
وكان الموتُ يمتدُّ من القصرِ
إلى الراديو إلى بائعة الجنس إلى سوق الخضار
ما الذي أيقظك الآن
تمام الخامسه ؟

كان إبراهيمُ رسّامَ المياه
وسياجاً للحروب
وكسولاً عندما يوقظُهُ الفجرُ
ولكنْ لإبراهيم أطفالاً من الليْلَكِ والشمسِ
يريدون رغيفاً وحليب
كان إبراهيمُ رسّاماً وأب
كان حيّاً من دجاج وجنوب وغضب
وبسيطاً كصليب

ألمساحاتُ صغيرةْ
مقعدٌ في غرفة . لا شيء .. لا شيء
وكان الرسمُ بالماء وطنْ
والتفاصيلُ لكمْ . وجهي أنا برقيّةْ
هل تقرأون الماءَ كي نتّفق الآن ؟
البياضُ الأسودُ احتلَّ المسافات
أنا الورد الذي لا يومىءُ
القيدُ الذي يأتي من الحرية ـ الفوضى
أو العجز الذي يأخذ شكل الوطن ـ البوليس
هل كان الوطنْ
انطباعاً أم صراعْ ؟

وضياعاً أم خلاصْ
كان يوماً غامضاً . .
وجهي أنا برقيّةُ الحنطة في حقل الرصاص

ما الذي أيقظك الآن
تمام الخامسةْ ؟
كنتَ تعرفْ
هي بيروت الفوارقْ
هل بيروت الحرائقْ
ما الذي أيقظك الآن
تمام الخامسةْ ؟
إنهم يغتصبون الخبز والإنسان
منذ الخامسه . ! . .

لم يكن للخبز في يوم من الأيّامِ
هذا الطعمُ ، هذا الدمُ
هذا الملمسُ الهامسُ
هذا الهاجسُ الكونيُّ
هذا الجوهرُ الكلي
هذا الصوتُ هذا الوقتُ

هذا اللونُ هذا الفنُّ
هذا الاندفاعُ البشريُّ . السرُّ . هذا السِّحرُ
هذا الانتقالُ الفذُّ
من كهف البدايات إلى حرب العصابات
إلى المأساة في بيروت
من كان يموت
في تمام الخامسه ؟

كان إبراهيم يستولي على اللون النهائيّ
ويستولي على سرِّ العناصرْ
كان رسّاماً وثائر
كان يرسمْ
وطناً مزدحماً بالناس والصفصاف والحرب
وموج البحر والعمال والباعة والريف
ويرسمْ
جسداً مزدحماً بالوطن المطحون
في معجزة الخبزِ
ويرسمْ
مهرجان الأرض والإنسان ،
خبزاً ساخناً عند الصباح

كانت الأرض رغيفاً

كانت الشمس غزاله

كان إبراهيم شعباً في رغيف

وهو الآن نهائيٌ . . نهائي

تمام السادسه

دَمُهُ في خبزه

خبزُهُ في دمه

الآن

تمام السادسه ! . .

قصيدة الأرض

- ١ -

في شهر آذارَ ، في سَنَة الانتفاضةِ ، قالتْ لنا الأرض
أسرارها الدمويَّة . في شهر آذار مَرَّتْ أمام
البنفسج والبندقية خمسُ بناتٍ . وقَفْنَ على باب
مدرسة ابتدائيَّةٍ ، واشتعلن مع الورد والزعترِ
البلديِّ . افتتحنَ نشيدَ التراب . دخلن العناقَ
النهائيَّ - آذارُ يأتي إلى الأرض من باطن الأرض
يأتي ، ومن رقصة الفتياتِ - البنفسجُ مال قليلاً
ليعبر صوتُ البنات . العصافيرُ مَدَّتْ مناقيرها
في اتجاه النشيد وقلبي .
أنا الأرضُ

والأرضُ أنتِ
خديجةُ ! لا تغلقي الباب
لا تدخلي في الغياب
سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الجليل .
وفي شهر آذار ، مَرَّتْ أمام البنفسج والبندقية خمسٌ
بنات . سقطن على باب مدرسة ابتدائيَّةٍ . للطباشير
فوق الأصابع لونُ العصافير . فيَ شهر آذار قالت
لنا الأرض أسرارها .

- 1 -

أُسمّي التراب امتداداً لروحي
أُسمّي يديَّ رصيفَ الجروحِ
أُسمّي الحصى أجنحه
أُسمّي العصافير لوزاً وتين
أُسمّي ضلوعي شجرْ
وأستلُّ من تينة الصدر غصناً
وأقذفه كالحجرْ
وأنسف دبّابة الفاتحين .

- ٢ -

وفي شهر آذار، قبل ثلاثين عاماً وخمس حروب ،
وُلدتُ على كومة من حشيش القبور المضيء .
أبي كان في قبضة الانجليز . وأمّي تربّي جديلتها
وامتدادي على العشبِ . كنتُ أُحبُّ « جراح
الحبيب » وأجمعها في جيوبي ، فتذبل عند الظهيرة ،
مَرَّ الرصاصُ على قمري الليلكيِّ فلم ينكسر
غير أن الزمان يُمر على قمري الليلكيِّ فيسقط في
القلب سهواً . .
وفي شهر آذار نمتد في الأرض
في شهر آذار تنتشر الأرض فينا
مواعيدَ غامضةً
واحتفالاً بسيطاً
ونكتشف البحرَ تحت النوافذِ
والقمرَ الليلكيَّ على السرو
في شهر آذار ندخل أول سجن وندخل أول حُبٍّ .
وتنهمرالذكريات على قرية في السياج
وُلدنا هناك ولم نتجاوز ظلال السفرجلِ
كيف تفرّين من سُنُبلي يا ظلال السفرجل ؟
في شهر آذار ندخل أول حُبّ

وندخل أول سجن

وتنبلج الذكرياتُ عشاء من اللغة العربية

قال لي الحبُّ.يوماً : دخلتُ إلى الحلم وحدي فضعتُ

وضاعَ بي الحلمُ . قلتُ : تكاثر ! تَرَ النهر يمشي

إليك .

وفي شهر آذار تكتشف الأرض أنهارها

ـ 2 ـ

بلادي البعيدةَ عني .. كقلبي !

بلادي القريبةَ مني .. كسجني !

لماذا أُغنّي

مكاناً ، ووجهي مكانْ ؟

لماذا أُغني .

لطفل ينام على الزعفران

وفي طرف النوم خنجر

وأُمّي تناولني

صدرها

وتموتُ أمامي

بنسمة عنبر ؟

ـ ٣ ـ

وفي شهر آذار تستيقظ الخيلُ

سيدتي الأرضَ !

أيُّ نشيد سيمشي على بطنك المتموّج ، بعدي ؟
وأيُّ نشيد يلائمُ هذا الندى والبخور
كأنَّ الهياكل تستفسر الآن عن أنبياء فلسطين في بدئها
المتواصلِ
هذا اخضرار المدى واحمرار الحجارةِ ـ
هذا نشيدي
وهذا خروج المسيح من الجرح والريح
أخضرَ مثل النبات يُغطّي مساميره وقيودي
وهذا نشيدي
وهذا صعود الفتى العربيِّ إلى الحلم والقدس

في شهر آذار تستيقظ الخيلُ .
سيدتي الأرض !
والقممُ اللولبيَّةُ تبسطها الخيلُ سجّادةً للصلاة السريعة
بين الرماح وبين دمي .
نصفَ دائرة ترجع الخيلُ قوسا
ويلمع وجهي ووجهك حيفا وعُرسا

وفي شهر آذار ينخفض البحرُ عن أرضنا المستطيلة مثل
حصان على وترِ الجنسِ .
في شهر آذار ينتفض الجنسُ في شجر الساحل العربيّ .

وللموج أن يحبس الموج .. أن يتموّج .. أن
يتزوّج ... أو يتضرّج بالقطن
أرجوك - سيدتي الأرض - أن تَسكنيني وأن تُسكنيني
صهيلَكِ
أرجوك أن تدفنيني مع الفتيات الصغيرات بين البنفسج
والبندقية
رجوك - سيدتي الأرض - أن تخصبي عمريَ المتمايلَ
بين سؤالين : كيف ؟ وأين ؟
وهذا ربيعي الطليعيُّ
هذا ربيعي النهائيُّ
في شهر آذار زوّجت الأرض أشجارها .

- 3 -

كأني أعودُ إلى ما مضى
كأني أسيرُ أمامي
وبين البلاط وبين الرضا
أُعيدَ انسجامي .
أنا ولدُ الكلمات البسيطه
وشهيدُ الخريطه
أنا زهرة المشمش العائليه .
فيا أيها القابضون على طرف المستحيل

من البدء حتى الجليل
أعيدوا إليَّ يدي
أعيدوا إليَّ الهويّه !

- • -

وفي شهر آذار تأتي الظلال حريرية والغزاة بدون ظلال
وتأتي العصافيرُ غامضةً كاعتراف البنات
وواضحةً كالحقول
العصافيرُ ظلُّ الحقول على القلب والكلمات .
خديجةُ !
ـ أين حفيداتك الذاهبات إلى حبِّهن الجديد ؟
ـ ذهبن ليقطفن بعض الحجارة ـ
قالت خديجةُ وهي تحثُّ الندى خلفهنّ .
وفي شهر آذار يمشي التراب دماً طازجاً في الظهيرة .
خمسُ بنات يخبِّئنَ حقلاً من القمح تحت الضفيرة
يقرأن مطلع أُنشودة عن دوالي الخليل . ويكتبن
خمس رسائل :
تحيا بلادي
من الصِّفْرِ حتى الجليل
ويحلمن بالقدس بعد امتحان الربيع وطرد الغزاة .
خديجةُ ! لا تغلقي الباب خلفك

لا تذهبي في السحاب
ستمطر هذا النهار
ستمطر هذا النهار رصاصاً
ستمطر هذا النهار!
وفي شهر آذار، في سنةِ الانتفاضة، قالت لنا الأرض
أسرارها الدمويَّةَ: خمسُ بنات على باب مدرسة
ابتدائيَّةٍ يقتحمن جنود المظلات. يسطع بيت
من الشعر أخضر.. أخضر. خمسُ بنات على
باب مدرسة ابتدائية ينكسرن مرايا مرايا
البنات مرايا البلاد على القلبِ..
في شهر آذار أحرقت الأرضُ أزهارها.

- 4 -

أنا شاهدُ المذبحه
وشهيدُ الخريطه
أنا ولدُ الكلمات البسيطه
رأيتُ الحصى أجنحه
رأيت الندى أسلحه
عندما أغلقوا باب قلبي عليّا
وأقاموا الحواجز فيّا
ومنع التجوُّل
صار قلبيَ حارهْ

وضلوعي حجارهْ
وأطلُّ القرنفل
وأطلُّ القرنفل

- ٥ -

وفي شهر آذار رائحةٌ للنباتات . هذا زواجُ العناصرِ .
« آذار أقسى الشهور » وأكثرُها شَبَقاً . أيُّ
سيفٍ سيعبر بين شهيقي وبين زفيري ولا يتكسَّرُ !
هذا عناقي الزراعيُّ في ذروة الحبّ . هذا انطلاقي
إلى العمر .
فاشتبكي يا نباتاتُ واشتركي في انتفاضة جسمي ، وعودة
حلمي إلى جسدي .
سوف تنفجر الأرض حين أُحقِّقُ هذا الصراخ المكبَّلَ
بالريِّ والخجل القرويّ .
وفي شهر آذار نأتي إلى هَوَس الذكريات ، وتنمو علينا
النباتاتُ صاعدةً في اتجاهات كلِّ البدايات . هذا
نموُّ التداعي . أُسمّي صعودي إلى الزنزلخت التداعي .
رأيتُ فتاة على شاطىء البحر قبل ثلاثين عاماً
وقلت : أنا الموجُ ، فابتعدتْ في التداعي . رأيتُ
شهيدين يستمعانِ إلى البحر : عكا تجيء مع الموج .
عكا تروح مع الموجِ . وابتعدا في التداعي .
ومالت خديجةُ نحو الندى ، فاحترقتُ ، خديجةُ ! لا

تغلقي الباب !
إنَّ الشعوب ستدخل هذا الكتاب وتأفل شمس أريحا
بدون طقوس .
فيا وَطَنَ الأنبياء .. تكاملْ !
ويا وطن الزارعين .. تكامل
ويا وطن الشهداء .. تكامل
ويا وطن الضائعين .. تكامل
فكلُّ شِعاب الجبال امتدادٌ لهذا النشيد .
وكلُّ الأناشيد فيك امتداد لزيتونةٍ زمَّلتني .

ـ 5 ـ

مساء صغير على قرية مُهمله
وعينان نائمتانْ
أعود ثلاثين عاماً
وخمسَ حروب
وأشهد أن الزمانْ
يخبِّيءُ لي سنبله

يغنّي المغنّي
عن النار والغرباء
وكان المساء مساء
وكان المغنّي يُغَنّي

ويستجوبونه :
لماذا تغنّي ؟
يردُّ عليهم :
لأنّي أُغَنّي

— —

وقد فتّشوا صدرَهُ
فلم يجدوا غير قلبهْ
وقد فتشوا قلبَهُ
فلم يجدوا غير شعبهْ
وقد فتّشوا صوتَهُ
فلم يجدوا غير حزنهْ
وقد فتّشوا حزنَهُ
فلم يجدوا غير سجنهْ
وقد فتّشوا سجنَهُ
فلم يجدوا غيرهم في القيود

وراء التلال
ينام المغنّي وحيداً
وفي شهر آذار
تصعد منه الظلال

ـ ٦ و 6 ـ

أنا الأملُ السهلُ والرحبُ ـ قالت لي الأرض والعشب

مثل التحيَّةِ في الفجرِ

هذا احتمال الذهاب إلى العمر خلف خديجةَ . لم يزرعوني

لكي يحصدوني

يريد الهواء الجليليُّ أن يتكلّم عني ، فينعس عند خديجة

يريد الغزال الجليليُّ أن يهدم اليوم سجني ، فيحرس ظل

خديجة وهي تميلُ على نارها

يا خديجةُ ! إني رأيتُ . . [illegible] وياي . تأخذني

في مداها وتأخذني في هواها . أنا العاشقُ الأبديُّ ،

السجينُ البديهيُّ . يقتبسُ البرتقالُ اخضراري ويصبح

هاجسَ يافا

أنا الأرض منذ عرفتُ خديجةَ

لم يعرفوني لكي يقتلوني .

بوسع النبات الجليليّ أن يترعرعَ بين أصابع كفي ويرسم

هذا المكان الموزَّعَ بين اجتهاديَ وحبُّ خديجةَ

هذا احتمال الذهاب الجديد إلى العمرِ من شهر آذار حتى

رحيل الهواء عن الأرضِ

هذا التراب ترابي

وهذا السحاب سحابي

وهذا جبين خديجه

انا العاشق الأبديُّ ـ السجن البديهيُّ
رائحةُ الأرض توقظني في الصباح المبكِّر .
قيدي الحديديُّ يوقظها في المساء المبكر
هذا احتمال الذهاب الجديد إلى العمر ،
لا يسال الذاهبون إلى العمر عن عمرهم
يسألون عن الأرض : هل نَهَضَتْ
طفلتيَ الأرض !
هل عرفوكِ لكي يذبحوكِ ؟
وهل قيَّدوكِ بأحلامنا فانحدرتِ إلى جرحنا في الشتاء؟
وهل عرفوكِ لكي يذبحوكِ
وهل قيَّدوكِ بأحلامهم فارتفعتِ إلى حلمنا في الربيعْ ؟
أنا الأرضُ . .
يا أيها الذاهبون إلى حبة القمح في مهدها
أحْرثوا جَسَدي !
أيها الذاهبون إلى جبل النار
مرّوا على جسدي
أيّها الذاهبون إلى صخرة القدس
مرّوا على جسدي
أيها العابرون على جسدي
لن تمروا

أنا الأرض في جَسَدٍ
لن تمروا
أنا الأرض في صحوها
لن تمروا
أنا الأرض . يا أيها العابرون على الأرض في صحوها
لن تمروا
لن تمروا
لن تمروا !

نشيد إلى الأخضر

إنّكَ الأخضرُ . لا يشبهك الزيتونُ ، لا يمشي إليكَ
الظلُّ ، لا تتّسع! الأرضُ لرايات صباحكَ .
ووحيدٌ في انعدام اللونِ ،
تمتدُّ من اليأس إلى اليأسِ
وحيداً وغريباً كالرجاء الآسيويّ
إنّكَ الأخضرُ ، من أوّل أمٍّ حمّلَتْكَ الاسمَ حتى
أحدث الأسلحةِ
الأخضرُ أنت الأخضرُ الطالعُ من معركة الألوانِ
والغاباتُ ريشٌ في جناحك .
وقتُكَ القمحُ الجماعيُّ ، الزفافُ الدمويّ .
إنّكَ الأخضرُ مثل الصرخة الأولى لطفلٍ يدخل العالمَ

من باب الخياناتِ ،
ومثل الطلقة الأولى لجنديٍّ
رأى قصر الشتاء الملكيّ .
وانتظرناكَ على النرجسِ
أجراساً وقتلى
وخلقناكَ ، لكي تخلقنا
ضوءاً وظلاّ .

إنّكَ الأخضرُ . لا يشبهك الزيتونُ ، لا يمشي إليك
الظلُّ . لا تتّسع الأرضُ لرايات صباحكْ
ونشيدي لك يأتي دائماً أسود من كثرة موتي قرب نيران
جراحكْ
فلتجدِّدْ أيها الأخضرُ موتي وانفجاري
إنَّ في حنجرتي عشرةَ آلاف قتيلٍ يطلبون الماءَ ،
جدِّدْ أيها الأخضر صوْتي وانتشاري
إنَّ في حنجرتي كفّاً تهزُّ النخلَ
من أجل فتىً يأتي نبيّاً
أي : فدائيّا
وجَدِّدْ أيها الأخضر صوتي . إنَّ في حنجرتي خارطةَ
الحلمِ وأسماءَ المسيح الحيّ
جَدِّدْ أيها الأخضرُ موتي

إنَّ في جُثّتيَ الأخرى فصولا وبلاد .
أيها الأخضرُ في هذا السواد السائدِ، الأخضرُ في بحث
المناديل عن النيل وعن مهر العروس
الأخضر الأخضر في كل البساتين التي أحرقها السلطانُ
والأخضرُ في كلِّ رمادْ
لن أسمّيكَ انتقال الرمز من حُلم إلى يوم
أسمّيكَ الدمَ الطائر في هذا الزمانْ
وأسمّيك انبعاث السنبله
وأنا أكتب شعراً ، أي : أموتُ الآن . فلتذهب أصولُ
الشعر وليتضح الخنجر ولينكشف الرمز : الجماهيرُ
هي الطائرُ والأنظمةُ الآن تُسمّى قَتَلَهْ
أيها الطائر من جُثّتي الكاملة المكتملهْ
في فضاء واضح كالخبزِ . .
يا أخضرُ ! لا يقتربُ الله كثيراً من سؤالي
أيها الأخضرُ
لا يبتعد البحر كثيراً عن سؤالي
وأنا أذكرُ ،
أو لا أذكرُ الحادثة الأولى ،
ولكني أرى طقس اغتيالي
وأنا العائدُ من كلِّ اغتيال

مستحيلا في جسد .
فلتواصلْ أيها الأخضرُ
لونَ النار والأرض وعمرَ الشهداء
ولتحاول أيها الأخضرُ
أن تأتي من اليأس إلى اليأس
وحيداً يائساً كالأنبياء
ولتواصلْ أيها الأخضر لونك
ولتواصلْ أيها الأخضر لوني
إنَّكَ الأخضرُ . والأخضرُ لا يعطي سوى الأخضر،
لا يشبهنا الزيتونُ ،
لا يمشي إلينا الظلُّ ،
لا تتسع الأرضُ لوجهي
في صباحك ! . . .

ستقولُ : لا . وتمزِّقُ الألفاظَ والنهرَ البطيءَ . ستلعن
الزمن الرديء ، وتختفي في الظلّ . لا ـ للمسرح
اللغويّ . لا ـ لحدود هذا الحلم . لا ـ للمستحيلْ

تأتي إلى مُدُنٍ وتذهبُ . سوف تعطي الظلَّ أسماء
القرى . وتحذِّر الفقراء من لغةِ الصدى والأنبياء .
وسوف تذهبُ . . سوف تذهبُ ، والقصيدةُ
خلف هذا البحر والماضي . بتشرح هاجساً فيجيء
حُرّاسُ الفراغ العاجزون الساقطون من البلاغة
والطبولْ .

لنشيدكَ انكسرتْ سماءُ الماء . خَطّابٌ وعاشقةٌ .

وينفتحُ الصباح على المكان . تواصل الكلماتُ
نسياناً تزوّج ألفَ مذبحةٍ . يجيء الموتُ أبيضَ .
تهطلُ الأمطار . يتضح المسدَّسُ والقتيلْ .

سيجيئك الشهداءُ من جدران لفظتك الأخيرةِ . يجلسون
عليكَ تاجاً من دمٍ ، ويتابعون زراعةَ التفّاح
خارجَ ذكرياتكَ . سوف تتعبُ .. سوف تتعبُ .
سوف تطردهم فلا يمضونَ . تشتمهم فلا يمضونَ .
يحتلّون هذا الوقتَ . تهرب من سعادتهم إلى وقت
يسير على الشوارع والفصولْ .

ويجيئكَ الفقراءُ . لا خبزٌ لديك .ولا دعاءٌ ينقذ القمح
المهدَّدَ بالجفاف . تقول شيئاً ما عن الغضب الذي
زفَّ السنابل للسيوف . تقول شيئاً ما عن النهر
المخبّأ في عباءات النساء القادمات من الخريف .
فيضحكون ويذهبون ، ويتركون الباب مفتوحاً
لأسئلة الحقولْ .

لنشيدك اتسعت عيونُ العاشقات . نعمْ تُسَمّي خصلةَ
القمح البلادَ ، وزرقةَ البحر البلادَ . نعم ، تسمّي
الأرض سيِّدةً من النسيانِ . ثم تنام وحدك بين

رائحة الظلال وقلبكَ المفقود في الدرب الطويلْ .

ستقول طالبةٌ : وما نفعُ القصيدةِ ؟ شاعرٌ يستخرج
الأزهارَ والبارودَ من حرفين . والعُمّالُ مسحوقون
تحت الزهر والبارود في حربين . ما نفع القصيدة
في الظهيرة والظلال ؟ تقول شيئاً ما وتخطىء : سوف
يقترب النخيل من اجتهادي ، ثم يكسرُكَ النخيلْ .

لنشيدك انتشرتْ مساحاتُ البياض وحنكَةُ الجلّاد .
تأتي دائماً كالانتحار فيطلبون الحزن أقمشة .
وتأتي دائماً كالانفجار فيطلبون الوردَ خارطةً . ستأتي
حين تذهب ، ثم تأتي حين تذهبْ ، ثم يبتعد
الوصولْ .

ستكون نسراً من لهيبٍ ، والبلادُ فضاؤكَ الكحليُّ .
تسأل : « هل أسأتُ إليك يا شعبي ؟ » وتنكسر
السفوحُ على جناح النسر . يحترق الجناح على بخار
الأرض . تصعد ، ثم تهبط ، ثم تصعد ، ثم تدخل
في السيولْ .

وتمر من كل البدايات احتفالاً : « هل أسأتُ إليك
يا زمني ؟ » تُغَنّي الأخضرَ الممتدَّ بين يدين

يابستين : تدخل وردةٌ وتصيح : ما هذا الزحام ؟ .
ترى دماً فتصيح : من قتل الدليلْ ؟

وتموتُ وحدَكَ . سوف تتركك البحار على شواطئها
وحيداً كالحصى . ستفرُّ منك المكتباتُ ، السيِّدات ،
الأغنياتُ ، شوارعُ المدن ، القطاراتُ ، المطاراتُ ،
البلاد تفرُّ من يدك التي خلقتْ بلاداً للهديلْ .

وتموت وحدك. سوف تهجرك البراكين التي كانت
تُطيع صهيلك الدامي . وتهجرك اندفاعاتُ الدمِ
الجنسيّ . والفرحُ الذي يرميك للأسماك . يهجركَ
التساؤل والتعاملُ بين أُغنية وسجّان ، ويهجرك
الصهيلْ .

وسيدفنون العطر بعدك . يمنحون الوردَ قَيدكَ .
يحكمون على الندى المهجور بالإعدام بعدك .
يشعلون النار في الكلمات بعدك . يسرقون الماءَ من
أعشاب جلدك . يطردونك من مناديل الجليلْ .

وتقولُ : لا ـ للمسرح اللغويّ
لا ـ لحدود هذا الحلم
لا ـ للمستحيلْ .

الحديقة النائمة

سرقتُ يدي حين عانقها النومُ ،
غطيت أحلامها ،
نظرت إلى عسل يختفي خلف جفنين ،
صليت من أجل ساقين معجزتين ،
انحنيت على نبضها المتواصل ،
شاهدت قمحاً على مرمر ونحاس ،
بكت قطرة من دمي
فارتجفتُ . .
الحديقة نائمة في سريري .

ذهبت إلى الباب ،
لم ألتفت نحو روحي التي واصلت نومها

'

سمعت رنين خطاها القديم وأجراس قلبي
ذهبت إلى الباب
ـ مفتاحها في حقيبتها
وهي نائمة كالملاك الذي مارس الحب ـ
ليل على مطر في الطريق ، ولا صوت يأتي
سوى نبضها والمطر .

ذهبتُ إلى الباب ،
ينفتح الباب ،
أخرج .
ينغلق الباب ،
يخرج ظلي ورائي .
لماذا أقول وداعاً ؟
من الآن صرت غريباً عن الذكريات وبيتي .
هبطت السلالم،
لا صوت يأتي
سوى نبضها والمطر
وخطوي على دَرَج نازلٍ
من يديها الى رغبة في السفر .

وصلتُ إلى الشجره
هنا قبلتني

هنا ضربتني صواعقُ من فضة وقرنفل .
هنا كان عالمها يبتدىء
هنا كان عالمها ينتهي .
وقفت ثواني من زئبق وشتاء ،
مشيت ،
ترددت ،
ثم مشيت ،
أخذتُ خطاي وذاكرتي المالحه
مشيتُ معي . .

لا وداع ولا شجره
فقد نامت الشهوات وراء الشبابيك ،
نامت جميع العلاقات ،
نامت جميع الخيانات خلف الشبابيك ،
نام رجال المباحث أيضاً . .

وريتا تنام . . تنام وتوقظ أحلامها .
في الصباح ستأخذ قبلتها ،
وتُتمه .
ثم تحضر لي قهوتي العربية

وقهوتها بالحليب .
وتسأل للمرة الألف عن حبِّنا
وأجيب
بأني شهيد اليدين اللتين
تعدان لي قهوتي في الصباح .

وريتا تنام .. تنام وتوقظ أحلامها
- نتزوج ؟
نعم .
- متى ؟
حين ينمو البنفسج
على قبعات الجنود .

طويت الأزقة ، مبنى البريد ، مقاهي الرصيف ، نوادي
الغناء ، وأكشاك بيع التذاكر .
أحبك ريتا . أحبك . نامي وأرحل
بلا سبب كالطيور العنيفة أرحل
بلا سبب كالرياح الضعيفة أرحل
أحبك ريتا . أحبك . نامي
سأسأل بعد ثلاثة عشر شتاء

سأسأل :
أما زلت نائمة
أم صحوت من النوم . .
ريتا ! أحبك ريتا
أحبك . .

حالات وفواصل

- ١ -

هكذا قالت الشجرة المهملة

خارجَ الطقس ،
أو داخل الغابة الواسعةْ
وَطَني .
هل تحسُّ العصافير أنّي
لها
وَطَنٌ . . أو سَفَرْ ؟

إنني أنتظرْ . .

في خريف الغصون القصيرْ

أو ربيع الجذور الطويل
زَمَني .
هل تحسُّ الغزالة أنّي
لها
جَسَدٌ .. أو ثَمَرْ ؟

إنني أنتظرْ ..

في المساء الذي يتنزه بين العيون
أزرقاً ، أخضراً ، أو ذَهَبْ
بدني
هل يحسُّ المحبّونَ أني لهم
شرفةٌ .. أو قمرْ ؟

إنني أنتظر ..

في الجفاف الذي يكسرُ الريح
هل يعرف الفقراء
أنني
منبع الريح ؟ هل يشعرون بأني لهم
خنجرٌ .. أو مطرْ ؟

إننيَ أنتظر . .

خارجَ الطقس ،
أو داخل الغابة الواسعه
كان يهملني مَنْ أُحبُّ
ولكنني
لن أُودِّع أغصاني الضائعه
في زحام الشجر

إنني أنتظر . .

- ٢ -

قطار الساعة الواحدة

رَجُلٌ وامرأةٌ يفترقانْ
ينفضان الورد عن قلبيهما ،
ينكسرانْ .
يخرج الظلُّ من الظلّ
يصيران ثلاثة :
رجلاً
وامرأةً

والوقتَ

لا يأتي القطارْ
فيعودان إلى المقهى
يقولان كلاماً آخراً،
ينسجمان
ويحبان بزوغ الفجر من أوتار جيتار
ولا يفترقان . . .

. . . . وتلفتُّ أجيل الطرفَ في ساحات هذا القلب .
ناداني زقاق ورفاق يدخلون القبو والنسيان في مدريد
لا أنسى من المرأة إلّا وجهها أو فَرَحي . .
أنساكِ أنساكِ وأنساكِ كثيراً

لو تأخرنا قليلاً
عنْ قطار الواحده .
لو جلسنا ساعةً في المطعم الصينيِّ ،
لو مَرَّتْ طيورٌ عائده .
لو قرأنا صحف الليل
لكنا
رجلاً وامرأة يلتقيان . . .

- ٣ -

لمساء آخر

كُلُّ خوخ الأرض ينمو في جَسَدْ
وتكون الكلمه
وتكون الرغبة المحتدمه
سقط الظل عليها
لا أحدْ
لا أحدْ . .

وتغني وحدها
في طريق العربات المهملهْ
كلُّ شيء عندها
لقبٌ للسنبله
وتغني وحدها .

البحيراتُ كثيره
وهي النهر الوحيد .
قصتي كانت قصيره
وهي النهر الوحيد .

سأراها في الشتاء
عندما تقتلني
وستبكي
وستضحك
عندما تقتلني
وأراها في الشتاء .

انني أذكرُ
أو لا أذكرُ
العمر تبخَّرْ
في محطات القطاراتِ
وفي خطوتها .
كان شيئاً يشبهُ الحبُّ
هواء يتكسَّرْ
بين وجهين غريبين ،
وموجاً يتحجَّرْ
بين صدرين قريبين ،
ولا أذكرها . .
وتغني وحدها
لمساء آخر هذا المساء

وأنادي وردها

تذهب الأرض هباء

حينْ تبكي وحدها .

كلماتي كلماتْ

للشبابيك سماءَ

للعصافير فضاء

للخطى دربٌ وللنهر مصبٌّ

وأنا للذكريات .

كلماتي كلماتْ

وَهيَ الأولى . أنا الأوّلُ

كنا . لم نكن

جاء الشتاء

دون أن تقتلني . .

دوْن أن تبكي وتضحك

كلمات

كلمات .

- ٤ -

يوم أحد أزرق

تجلسُ المرأةُ في أغنيتي

تغزل الصوف ،
تصب الشاي ،
والشباكُ مفتوحٌ على الأيامِ
والبحرُ بعيدْ : .

ترتدي الأزرقَ في يوم الأحدْ ،
تتسلى بالمجلات وعادات الشعوب ،
تقرأ الشعر الرومنتيكي ،
تستلقي على الكرسي ،
والشباكُ مفتوحٌ على الأيامِ ،
والبحرُ بعيدْ .

تسمع الصوتَ الذي لا تنتظر .
تفتح الباب ،
ترى خطوة إنسان يسافر .
تغلق الباب ،
ترى صورته . تسألها : هل أنْتَحِرْ ؟
تنتقي موزارت ،
ترتاح مع الأرض السماوية ،
والشباكِ مفتوح على الأيامِ

والبحر بعيد .

. . . والتقينا ،
ووضعتُ البحر في صحن خزف ،
واختفتْ أغنيتي
أنت ، لا أغنيتي
والقلبُ مفتوحٌ على الأيامِ ،
والبحر سعيد . .

ـ ٥ ـ

حالة واحدة لبحار كثيرة

إلتقينا قبل هذا الوقت في هذا المكانِ
ورمينا حجراً في الماء ،
مر السمك الأزرقُ
عادت موجتانِ
وتموَّجنا .
يدي تحبو على العطر الخريفيِّ ،
ستمشين قليلاً
وسترمين يدي للسنديان
قلتُ : لا يشبهك الموجْ

ولا عمري .
تمدَّدْتُ على كيس من الغيم
وشقَّ السمكُ الأزرقُ صدري
ونفاني في جهاتِ الشَّعْر ، والموتُ دعاني
لأموت الآن بين الماء والنار
وكانت لا تراني
ان عينيها تنامان تنامان . .

سأرمي عِرَقي للعشب ،
لن أنسى قميصي في خلاياكِ ،
ولن أنسى الثواني ،
وسأعطيك انطباعاً عاطفياً . .

لم تقل شيئاً
سترميني إلى الأسماك والأشواك ،
عيناها تنامان تنامان . .
سَبَقْنا حُلْمَنا الآتي ،
سنمشي في اتجاه الرمل صيادَيْنِ مقهورين
يا سيدتي !
هل نستطيع الآن ان نرمي بجسمينا إلى القطْةِ
يا سيدتي ! نحن صديقانِ .

ونامَ السَّمَكُ الأزرقُ في الموج
وأعطتنا الأغاني
سرَّها ،
فاتضح الليلُ ،
أنا شاهدتُ هذا السر من قبل
وَلا أرغب في العودة ،
لا أرغب في العودة ،
لا أطلب من قلبك غير الخفقانِ .

كيف يبقى الحلم حلماً
كيف
يبقى
الحلم
حلماً
وقديماً ، شردتني نظرتان
والتقينا قبل هذا اليوم في هذا المكان !

- ٦ -

الصهيل الأخير

وأصبُّ الاسمنه
مثلما ينتحر النهر على ركبتها .

هذه كل خلاياي
وهذا عسلي .
وتنام الأمنيةْ .

في دروبي الضيِّقهْ
ساحةٌ خاليةٌ ،
نسرٌ مريضٌ ،
وردة محترقهْ
حُلُمي كان بسيطاً
واضحاً كالمشنقهْ :
ان أقول الأغنيه .

أين أنتِ الآن ؟
من أي جبلْ
تأخذين القمر الفضّيْ
من أيِّ انتظارْ ؟
سيِّدي الحبُّ ! خطانا ابتعدتْ
عن بدايات الجبلْ
وجمالُ الانتحار
وعرفنا الأوديه .

أسبقْ الموتَ إلى قلبي
قليلاً
فتكونين السفرْ
وتكونين الهواء
أين أنتِ الآن
من أيّ مطرِ
تستردين السماء؟
وأنا أذهب نحو الساحة المنزويه

هذه كل خلاياي .
حروبي ،
سبلي .
هذه شهوتي الكبرى
وهذا عسلي ،
هذه أغنيتي الأولى
أغني دائماً
أغنية أولى ،
ولكن
لن أقول الأغنيهْ .

الفهرس '

أوراق الزيتون

(١٩٦٤)

عاشق من فلسطين

(١٩٦٦)

آخر الليل

(١٩٦٧)

أغنيات الى الوطن

العصافير تموت في الجليل

(١٩٧٠)

حبيبتي تنهض من نومها

(١٩٧٠)

أحبك أو لا أحبك

١٩٧٢

محاولة رقم ٧

تلك صورتها
وهذا انتحار العاشق

١٩٧٥

أعراس

١٩٧٧


دار المعارف